كتاب الآداب

لابن شمس الخلافة
جعفر بن محمد بن مختار الأفضلي

ضبطه وشرحه وعلّق حواشيه
الدكتور ياسين الأيوبي

المكتبة العصرية
صيدا بيروت

كتاب الآداب

لابن شمس الخلافة
جعفر بن محمد بن مختار الأفضلي
المتوفى سنة ٦٢٢هـ/١١٢٥م.

ضبطه وشرحه وعلق حواشيه
الدكتور ياسين الأيوبي

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - 2001م

شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع

المكتبة العصرية للطباعة والنشر

الدار النموذجية   المطبعة العصرية

بيروت - ص.ب ١١ ٨٣٥٥ - تلفاكس ٠٠٩٦١١٦٥٥٠١٥
صيدا - ص.ب ٢٢١ - تلفاكس ٠٠٩٦١٧٧٢٠٣١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشارح

كثيرة هي الكتب والمصنفات الأدبية التي وضعها قدماؤنا عبر العصور. بعضُها اتخذ صفة شمولية متناهية الطول والسّعة، كنهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري، الذي تجاوز الثلاثين مجلداً، وكتاب: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لابن عمر البغدادي البالغ اثني عشر مجلداً من الحجم الكبير؛ وبعضها الآخر اتخذ صفةً أضيق مدًى وألْصق بالأدب وغُرره، ككتاب: زهر الآداب وثمر الألباب، لأبي إسحاق إبراهيم الحُصْري، البالغ أربعة مجلدات؛ ومنها ما اتخذ إطاراً خاصاً في باب من أبواب الأدب، ككتاب: أدب الكاتب لابن قتيبة، والاقتضاب في شرح أدب الكتّاب لابن السيد البطَلْيوسيّ، أو كتاب: جواهر الأدب للسيد أحمد الهاشمي.

هذه الكتب والمصنفات، عُنيتْ بصناعة الأدب لغةً، وأداةً، ومضامين، وفنوناً، وأساليب، وعلوماً إنسانية شتى طالما دعا إليها العرب القدامى واعتمدوها في النظرة والمعالجة.

وأما الأدب بمعناه الخُلقي الحِكميّ السلوكيّ، فالكتب التي عرضتْ له وعُنيت به، قليلة نسبياً، لأنها تدخل في الحقل التربوي التعليمي الذي يشكل حيِّزاً واسعاً من الهمّ الديني والفلسفي.. ولا نكاد نعثرُ عليه إلّا في كتب الأمثال وثنايا القصائد والأشعار المبثوثة في شتى ميادين العلوم الإنسانية ومصنَّفاتها. وهي عبارة عن حكايات طريفة صاغتها الألْسن، فطارتْ في الآفاق؛ أو حواراتٍ خاطفة حفظتها الذاكرةُ فغدتْ ترجيعاتٍ نفسيةً يثلجُ لها الصدرُ ويبتردُ الفؤادُ؛ أو أقوال صدرتْ عن رجال حنَّكَتْهم الأيَام وتجاريبها، فنطقوا بالحكمة وأدَّوا بكلمات قليلة معدودة، ما حقُّه الصحائف، والكراريس؛ أو أبياتٍ من الشعر المعصور، تجمّعتْ في زوايا الوجدان حقباً طويلة، ثم انسربتْ عبر القصائد والمقطعات، في مناسبات مثيرة وموحية، تطول أو تقصر وفقاً لعوامل الدفع والتأثير؛ لكنها بعامة، لا تتجاوز الأبيات الخمسة أو العَشرة، دفعةً واحدة، إلّا فيما ندر؛ ذاك أن دُررَ الكلام لا تكون إلّا في التضاعيف والأغوار، كمحار الأصداف، ولقاح الأزاهير..

من هذه الكُتب التي تعتّق فيها المحارُ، واختالت بحواملها الجِرارُ: كتاب **الآداب لابن شمس الخلافة، مجْد المُلْك،** (جعفر بن محمد الأفضلي) الأديب الألمعي، وصائغ درر الكلام، وجامع خواص السلوك الأدبي، في حياة الفرد والمجتمع، من بطون الدواوين، وكُتب الأمثال، وخطب الحكماء من أنبياء وخلفاء وعلماء وشعراء، وما تخلله أو استقلّ عنه من آي الذكر الحكيم، اختارها **مجْدُ الملك** بعناية وتُؤَدةٍ، واضعاً كل معنى في بابه، وكل حكمة في خَانتها السلوكية؛ النثر مع النثر، والشعر مع الشعر؛ كذلك الخطبُ، والحوارات، والأمثال، والأقوال المأثورة المعبِّرة، كلها وفقاً لتوزيع رسمَه المصنفُ، وعكفَ بموجبه على نوع من الأداء الموضوعي والإحاطي، والألفبائي، تيسيراً للتناول والإفادة، واتباعاً لمنهجية متطورة وهامة لم يطبقها القدامى كما ينبغي، وإنما هي روح التنظيم والتنسيق الجمالي الذي أُوتيهُ بعضُ المصنِّفين والكتّاب في تاريخ العربية، ومنهم أديبُنا: **مجْدُ الملك.**

طُبع هذا الكتاب منذ ما يزيد على السبعين عاماً ١٩٣٠م في القاهرة بعناية الأستاذ **محمد أمين الخانجي،** وصدر في ١٥٨ صفحة من الحجم المتوسط، عن مكتبة الخانجي بالقاهرة، مشفوعاً، أي عنوان الكتاب، بدَوْر الشارح (الخانجي) من (تصحيح وضبط ألفاظ وتفسير) لهذا الكتاب.

ونتصفح الكتاب جيداً، ثم نُنعمُ النظر فيه، فلا نكاد نجد أثراً لتصحيح، أو ضبط، أو شرح إلّا فيما ندر.

وقد لا يحتاج القارئ الحصيف إلى ضَبْطٍ أو تصحيح، لأن سياق الكلام يَسمح في الغالب الأعم، بحسْن القراءة والفهم؛ ولكنَّ البابين الأخيرين: **«باب أبيات الأمثال المفردة»** و**«باب أعجاز الأبيات»** لا يسمحان بذلك إلّا بعد التمحيص والمعاودة، ومراجعة مصادر الشعر واللغة في بعض الأحيان، على شيء من المغامرة في احتمال الوقوع في الخطأ المحْدِق؛ لأن البيت المفردَ، لا نعرف فيه ضمير الخطاب، أو المعلوم والمجهول، على غير ما هو عليه في سياق القصيدة.. فكم بالحري إذا كنّا مع مصراع بيتٍ لا تتيَّسر قراءتُه إلّا بجهد جهيد، أو باستذكاره ووضعه في موضعه الصحيح..

فنتساءل كيف يحقُّ لكاتبٍ أو ناشرٍ، أن ينسب إليه شيئاً لا وجود له، ولا نقول مَسْروقاً أو منتَحَلاً؟

وننتهز هذه الفرصة لِنُناشد الكتّاب والمحقّقين والمعلِّقين والشارحين، أن لا **يُطلقوا في عناوين كتبهم أوصافاً ومهمّاتٍ، لا تمتُّ إليهم بصلة، أو لا وجودَ لها، أو مُقْحَمةً إقحاماً؛** من مثل: **التحقيق** الذي لا يجوز أن يُعتمَد إلّا مع النُسَخ المخطوطة ومراجعاتها في كتب اللغة والأمهات، **والشرح والتعليق،** الذي يُكْتفى فيه بالشرح

القاموسي والإشارات العابرة، ومثلُ ذلك عناوين الصَّنْعَة التي استخدمها القدماء عانِينَ بذلك الشرحَ الشخصي والمقاربات والتعليقات والتصويبات المختلفة.

لِنُشِرْ فقط، وبدقَّةٍ علمية وأمانة موضوعية، إلى المهامّ والجهود التي قمنا بها فعلاً وبجهدنا الشخصي، غيرَ عابئينَ بقيمة هذه الجهود في نَظَر الآخرين، **ولا ننسبُ إلى ذواتنا جهوداً وأفعالاً قام بها غيرُنا ممَّن سبقَنا**، فنكونَ بذلك أمناءَ على حقوق التحقيق والتأليف والنشر، ومكابدة البحث الدؤوب، مُفترضين على الدوام إمكانيةَ انتحال جهودنا أو سرقتِها بالكامل، من كتَّابٍ دخلاء مأجورين لا يَرعَوْن حُرمةً لحقٍّ أو مكابدة.

وأعود إلى النسخة التي اعتمدتُها في عملي بهذا الكتاب، **فأؤكد أنَّ ما نَسبْتُه إلى نفسي من ضَبْطٍ وشرحٍ وتعريفِ أعلامٍ ومصطلحاتٍ وخلافها، صحيحٌ كلَّ الصحة إلّا** ما رأيتُه مقبولاً من شروحٍ عرضيَّة في حواشي **الخانجي**. وما على المشككين إلّا مراجعةُ الأصل، فأبقيتُ عليه دونما إشارة، لأنه لا يشكِّل حيِّزاً يمكن حسبانه. وهنا لا بد من التنويه بالجهد الذي بذله الزميل الدكتور **أنطونيوس بطرس** في شرح بعض الأقوال والأبيات الشعرية، والتعريف ببعض الأعلام، وذلك قبل قيامي بما قمت به، فله خالص التقدير.

قيمة الكتاب

إنَّ ما جمعَه مصنِّفُ **ابن شمس الخلافة** بين دفَّتَيْه ـ على قِصَر ما بينهما ـ لا نجدهُ في أي كتاب آخر، بهذا التقسيم والتبويب، وحسْن الاختيار، وبلاغة المعاني والأساليب البيانية المشرقة.

فقد طاف على تراث العربية منذ عهد الجاهلية الأدبية حتى أيامه، في مطالع القرن السابع الهجري، موجِّهاً أنظاره وأحاسيسه الذوقية إلى كل ما يعكس صورة العصر ونفاذ العبرة والتأمل، ونصوع الحقيقة.

فتوقف عند مأثور الحكمة في أدبيات النثر العربي القديم، وما يقابله في الأدب اليوناني القديم، والتفت ملياً إلى حِكَم الرسول ﷺ وأصحابه وتابعيه، وصعَّد نحو الخلفاء والأمراء والوُلاة، مستحدثاً فصولاً طريقة العنوان مألوفة المضمون، كقوله: «فصل اثنين» ومؤدّاه أمران أو شيئان أو خَلَّتان، مما تتحقَّقُ بهما الأمورُ سلباً أو إيجاباً، أو يَكْتملُ بهما المسارُ ويبلغ الغاية المرجوة. كقول **رسول الله ﷺ** لأصحابه عن أَشْقى الأشقياء: «قال: ذاكَ مَن اجتمع عليه شيئان: فَقرُ الدنيا وعذابُ الآخرة» (كتاب الآداب، شرح الخانجي/ ص٤٠).

وهكذا فصولٌ بعناوين: **فصل ثلاثة، وفصْل أربعة**، صعُداً حتى العشرة. أو

فصولٌ وعناوين طريفة من مثل: «**الإخبار بما أوّله أَلِف**» و«**الإخبار بسائر الحروف**». ومثْلُها في ما عانيتُ من قراءته وتشكيله، في البابَيْن الأخيرين (**الأبيات المفردة**) و(**أعجاز الأبيات**).

وهذا لا يعني أنَّ كل ما اختاره المصنِّف وأورده في كتابه، جليلُ القَدْر، متوهِّج الجمر؛ إذ نجد بين المثال الحكمي والآخرِ، أو بين المقطع الشعري، والمقطع الآخر، أو بين الأبيات المفردة، ما لا نستشعر معه أيَّ تجاوب أو تأثر، ربما لأن بعض هذه الأمثلة والشواهد الحكمية الشعرية، قد خَبا وهَجُها عبر العصور، وتلاشى صداها جيلاً بعد جيل، كقوله في «**فصل الأخبار بسائر الحروفِ**»/ ص٧٣:

«وقع حيث لم يتوقع. وجبَ الرحيلُ عن الربع المَحيل. لأَنْ تُبْتَلىٰ بمجنونٍ كاملٍ، خير لك من نصف مجنون. صديقُ الجاهل مغرور.. عِشْرةُ الصِّغار صَغَار..»/ ص٧٣. فهي كما نرى كلماتٌ مسجَّعة لا تخلو من الصحة، ولكنها لا تصلح لكل وقت، وفي كل حال.

ومثال ذلك قوله من «مزدوجات» الأبيات الشعرية، في آخر الكتاب:

يا رُبَّ مَن أسخَطَنا بجُهْدِهِ ... قد سرَّنا اللهُ بغير حَمْدِهِ

على أن هذا قليل جداً بالنسبة إلى صفحات الحِكم الخالدة والأقوال السَّديدة المأثورة. والإشارات اللطيفة الموحية المعبِّرة بكل لسان ولأيٍّ كان.

ومن هذا القبيل، على سبيل التمثيل:

كلُّ الصيد في جَوْف الفَرا؛ عِلْمٌ لا ينفَعُ ككنزٍ لا يُنْتَفَع به.. حُبُّكَ للشيء يُعْمِي ويُصِمُّ... لسانُ **الجاهل مالِكٌ له**، ولسانُ العاقل مملوكٌ معه. خيرُ مالِكَ ما وَقاكَ، وشرُّ مالِكَ، ما وقَيْتَه.. الخ/ (ص٧٠ ـ ٧١).

فنجد المعنى والمبنى مرتَّبَيْن، مَسْبوكَيْن ببساطةٍ وعناية، في تناغمية صوتية وموازنة تركيبيَّة، لم يَغْلب فيها شيءٌ على شيء، ولم يختلَّ سياقٌ في سبيل قَفْلة صوتية أو إقحام معنوي.

ومنه في المقطعات الثنائية، وما أكثر بريقَ الكلام ودلالاته فيها:

ليس في كل ساعةٍ وأوانِ ... تَتَهيَّا صنائعُ الإحسانِ

فإذا أمكَنَتْ فبادِرْ إليها ... حَذراً من تَعذُّرِ الإمكانِ

(ص٩٩)

ومنه للقاضي بن معروف:

إحـــذَرْ عـــدوَّكَ مـــرَّةً واحـــذَرْ صـديـقَـك ألـف مـرَّهْ
فـلـربـمـا انـقـلـب الـصـديـــقُ فـكـان أخْـبَـرَ بـالـمـضـرَّهْ

(ص٩٠)

رحمَ اللّه كاتِبَنا أبا الفضل، وجميعَ المستنيرين المجاهدين في سبيل الكلمة الطيبة التي تُطاوِلُ في آثارها وثمارها: الشجرةَ المتجذِّرة، الباسقةَ الأغصانِ، الدانية القطوفِ في كل المواسمِ والفصول، يقدِّمونها إلينا شرْحاً اعتبارياً لآية كريمة أو حديث شريف، أو تحليلاً لصورة بلاغية مُوْحية في بيت شعري، أو سرْداً لحكاياتٍ وسيرٍ بديعة الخطوط والمحطات، شاخصةً إلى الأجيال كأنما هذه الأخيرة هي التي صنعتها وحاكتْها.

رحمه اللّهُ ورحمَنا في دنيانا، نَقْبِسُ نورَ الهداية واليقين، من لدنْ لطيفٍ حكيم، فتقوى أعوادُنا وتعظمَ نفوسُنا، ونُشْرف من فوقُ، متخطين أَجْبُلَ الأعراف، فنحْمَدَ اللّه مخلصين له الدين، أنْ لم يجعلْنا في المقلب الآخر، إنه نعْمَ المولى ونعْم النصير.

طرابلس ـ لبنان

١٦ جمادى الثانية ١٤٢١هـ

الموافق ١٤ أيلول ٢٠٠٠م

ياسين الأيوبي

ترجمة المؤلف

هو جعفر الكبير مجد المُلْك، أبو الفضل، جعفر بن شمس الخلافة أبي عبد الله محمد بن مختار الأفضلي (نسبة إلى الأفضل: أمير الجيوش في مصر) المصريُّ، القوصيُّ، سيد الشعراء في زمانه.

ولد في قوص سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م، وخدم مع السلطان صلاح الدين الأيوبي أميراً، وبعد وفاة السلطان خدم مع ابنه العزيز، ثم خدم بحلب مع الظاهر، ثم رجع إلى مصر ليستقرَّ فيها، متخذاً من حرفة الخطِّ، سبيلَ مباهاة على من حوله، لجمال هذا الخط وضبطه والحفاظ على أصوله ولا سيما خطّا الثُّلُث والنَّسْخ.

لم يرو المؤرخون شيئاً عن حياته وتربيته ودراسته وأساتذته وتلامذته، واكتفوا بذكر نسبه واسمه وألقابه، بالكامل، عل شيء من الاختلاف بين مترجم وآخر. فقال بعضهم: هو جعفر بن محمد شمس الخلافة؛ وهذا القول هو الأكثر تداولاً لدى معظم المؤرخين.

وقال أحدهم (ابن الشعار الموصلي، صاحب «عقود الجمان»): هو جعفر بن إبراهيم بن علي.

وقيل فيه أيضاً:

كان ذكياً، أديباً بارعاً، بديع الكتابة. له «ديوان» وتصانيف، وكثير من قصائد المدح لكبار رجال الدولة.

هذا أهم ما أورده شيخ الإسلام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٧٤هـ[1].

وأما أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلّكان المتوفى سنة ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م؛

فهو أقدم من ترجم له، والأوفى ـ على ضآلة حجم الترجمة ـ فيما تناهى إلينا من المصادر.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للحافظ الذهبي، الجزء ٢٢ تحقيق د. بشار عواد معروف ود. محيي هلال السرحان. مؤسسة الرسالة، بيروت سنة ١٩٨٥، ص٣٠٠.

قال ابن خلِّكان ـ وعنه أخذ معظمُ المصنفين من بعد ـ هو: أبو الفضل جعفر بن شمس الخلافة أبي عبد الله محمد بن مختار الأفضليّ الملقب مجد الملك، الشاعر المشهور. كان فاضلاً حسن الخط، وكتب كثيراً (ونرجح أن يكون ذلك نَسْخاً وتخطيطاً).

وخطه مرغوب فيه لحسنه وضبطه، وله تواليف (مصنفات) جمع فيها أشياء لطيفة دلَّت على جودة اختياره، وله ديوان شعر أجاد فيه[١]..

ذاك هو معظم ما ورد في كتاب «الوفيات»، عن سيرة المصنِّف، واسمه، ونسبه، وحرفته الأدبية والخطية.

أعقبَ ابنَ خلِّكان في ترجمة أديبنا مجدِ الملك، عددٌ من المصنفين المؤرخين، لم يزيدوا على ما قاله ابن خلكان، شيئاً يذكر، كابن العماد الحنبلي، وقبله جلال الدين السيوطي، وحاجي خليفة، وإسماعيل البغدادي، وعمر رضا كحالة، وخير الدين الزركلي وغيرهم.

فانحصر كلام الحنبلي[٢]، بترديد سطور قليلة وردت كما هي لدى ابن خلكان حرفياً، واكتفى خليفة[٣] بذكر مؤلف واحد له، تحت عنوانين:

العنوان الأول: «ديوان أبي الفضل» مكتفياً بذكر اسم الشاعر ونسبه ووفاته[٣].

العنوان الثاني: «ديوان جعفر بن شمس الخلافة»[٤].

أما البغدادي، فذكر له ما يلي: «ديوان الآداب النافعة في الألفاظ المختارة الجامعة» في الأمثال؛ ثم ذكر اسمه ونسبه ووفاته[٥].

ومثل ذلك فعل كحالة والزركلي؛ توسّع الأول بقائمة مصادره ومراجعه[٦]، واكتفى الثاني بالمصدر الأول، «وفيات الأعيان»[٧].

(١) «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» لابن خلِّكان، تحقيق د. إحسان عباس. دار صادر، بيروت سنة ١٩٧٨، جزء أول ص٣٦٢.

(٢) «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» لابن العماد الحنبلي، دار المسيرة، بيروت، طبعة ثانية، سنة ١٩٧٩. الجزء الخامس، ص١٠٠.

(٣) «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» لحاجِّي خليفة، مكتبة المثنى، بغداد، لا تاريخ، جزء أول ص٧٢٣.

(٤) «كشف الظنون»، جزء ١/ ص٧٨٢.

(٥) «إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون» مكتبة المثنى، بغداد جزء أول، ص٤.

(٦) «معجم المؤلفين»، لعمر رضا كحالة، مكتبة المثنى ـ بيروت، ودار إحياء التراث العربي ـ بيروت لا تاريخ. جزء ٣/ ١٤٩.

(٧) «الأعلام» للزركلي. دار العلم للملايين، بيروت ـ طبعة سابعة سنة ١٩٨٦. جزء ٢/ ص١٢٨ ـ ١٢٩.

ومما جاء في «**وفيات الأعيان**» تمثيلاً لجودته في المدح والحكمة، قول ابن **شمس الخلافة**، في سرعة انقضاء أوقات الغمّ والشدة:

هي شدّةٌ يأتي الرخاءُ عَقيبَها   وأسًى يُبشّر بالسرور العاجلِ
وإذا نظرتَ فإنّ بؤساً زائلاً   للمرءِ، خيرٌ من نعيمٍ زائلِ

ثم قوله في المنحى نفسه:

أعْطِ وإن فاتَكَ الثراءُ وَدَعْ   سبيلَ مَنْ ضَنَّ وهو مُقتدرُ
فكم غنيٍّ بالناس عنه غِنًى   وكم فقيرٍ إليه يُفتقَرُ؟

ثم قوله، غامزاً من قناة أحد وزراء عصره: **الصاحب ابن شُكْر** الذي عُرف بعداوته الشديدة لكثير من الرؤساء وكبار الكتاب، وبخاصة **القاضي الفاضل**:

مَدَحَتْكَ ألسِنَةُ الأنام مخافةً   وتشاهدتْ لك بالثناء الأحسَنِ
أترى الزمانَ مُؤَخِّراً في مُدّتي   حتى أعيش إلى انطلاق الألسُنِ(١)

أترى لهذا الهجاء المبطن، والتعريض الذكي والتصوير الجزل الموحي؟

وأما ابن شكر(٢) هذا، فكان أحد الفقهاء المحدِّثين الكبار في زمانه، عني كثيراً بمسائل الدين والعبادة ودُورها، مُؤْثراً لأهل العلم والصالحين، كثيرَ البرِّ والتفقد لهم؛ لكنه كان ذا دهاء مفرط في هوج، وخبْث في طيش ورعونة وحقد لا تخبو ناره.

وكان يقول: ما في قلبي حسرة إلا ابن البيساني، ما تمرَّغ على عتباتي، يعني: **القاضي الفاضل**.

وقيل إن ابن شمس **الخلافة** عاش بعده بعض الوقت، وانطلق لسانه فيه(٣).

يتضح لنا مما سبق، أن مجدَ المُلْك بن شمس الخلافة، كان يتمتع بثقافة واسعة، وقريحة شعرية مؤاتية، وتجارب إنسانية غنية، وإحساس مرهف يستشرف ما وراء الأشياء، ويعتصر المعارف والعلوم في مصنفات جليلة مختارة، لا إسهاب فيها ولا تطويل، حاول ألا يكون خارجاً عن المشاركة الفعلية فيها، على غرار كثير من كتاب عصره ومصنفيه الذين حرصوا، وهم يَجمعون ويختارون ويتمثلون، أن يكون

---

(١) «**وفيات الأعيان**»، جزء أول/ ص٣٦٢ و٣٦٣.

(٢) هو عبد الله بن علي بن الحسين، الصاحب الوزير، صفي الدين بن شكر. المولود سنة ٥٤٨هـ والمتوفى سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م. «**الوافي بالوفيات**» للصفدي. بعناية دوروتيا كرافولسكي. فسبادن سنة ١٩٨١، جزء ١٧/ ٣٢٧.

(٣) المصدر نفسه. ص٣٣٠.

لهم نصيب في المجموع المختار. لكنه لم يكثر من شواهده حفاظاً على الموضوعية وتعميم الفائدة.

وبقدر ما أُهملت سيرة كاتبنا هنا، وعلاقاته وتنقلاته وآثاره، فقد عني بدقة، بتاريخي ميلاده ومماته؛ فذكر ابن خلكان إنه ولد في المحرّم سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، وتوفي في الثاني عشر من المحرّم، وقيل في الثالث عشر منه، بالموضع المعروف بالكَوْم الأحمر، ظاهر مصر. وهو اسم لمواضع متعددة في مصر، بعضها بأعلى قرى الصعيد، وبعضها في أسفل مصر، وبعضها قرب الإسكندرية[١].

ولم يكتفوا بذلك، بل أرّخوا لولادة والده شمس الخلافة أبي عبد الله محمد بن مختار، وقالوا: توفي والده في ذي الحجّة سنة تسع وستين وخمسمائة، ومولده سنة عشرين وخمسمائة[٢].

---

(١) «معجم البلدان» لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت سنة ١٩٧٧، جزء ٤/ ٤٩٥.

(٢) وفيات الأعيان ١/ ٣٦٣.

نبذة عن الكتاب

وُضع هذا الكتابُ برسم صاحب ديوان الإنشاء في بلاط السلطان **صلاح الدين الأيوبي**، **القاضي الفاضل** (عبد الرحيم بن علي البيساني ٥٢٩ ـ ٥٩٦هـ/ ١١٣٥ ـ ١٢٠٠م) كبير كتاب السلطان، ووزرائه وقضاته، وسيف السلطان وقلمه في آن.

جعله في خمسة أبواب، تدور بمعظمها، حول الحكمة والسلوك وما يؤدي إليهما من وسائل ومعاناة وسبل، عبَّرتْ عنها بامتياز فصول محكمة ومختارة من النثر والشعر، وأقوالٌ مأثورة حفظَتْها الأجيال والعصور، كتابة وشفاهاً، جمعها **مجد الملك** في هذا الكتاب، ليهتدي به الإنسان، ويقتدي بمعانيها كلُّ من ضاع عن جادة الحق وضل عن سواء السبيل.

وإن شئنا شيئاً من التفصيل، **فإن الأبواب الرئيسة** قد تضمنت قرابة الخمسين فصلاً بعضها طويل مسهب، وبعضها الآخر قصير مختصر؛ وهي بعامة **لا تخرج عن قواعد السلوك، والاتعاظ والاعتبار من تجارب الحياة وأحداثها وظواهر التعامل بين الناس**، وفي **مختلف الوجوه والحالات، والأزمنة والأعمار**، اختار المصنِّفُ لكل حال سلوكية وعِظةٍ خلقية، عدداً من الأقوال البليغة من أمثال وأشعار تنضح بالحكمة والاعتبار!

وإذا كان لهذا الكتاب من ميزة، فهي الاختصار، وحسْنُ الاختيار، وسَدادُ النظرة، ولطفُ الإشارة، ويُسْر التناول والاستيعاب، إن دلَّ على شيء، فعلى طول باع المصنف في سعة الاطلاع، وجمال الذوق، وصدق اللهجة والتعبير، في الغالبية العظمى مما قدَّمه لنا وجمعه وبوَّبه...

رحمه الله ومتَّعنا بجليل ما قدم واختار.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلواتهُ على محمد خاتَمِ النبيين، وآلِهِ الطاهرينَ وصَحْبه المنتخَبين، وسلامهُ.

وبعدُ: فإنَّ ألطَف الكلام مَوْقعاً وأشرفَه، موضعاً، كلمةُ حكمةٍ يَقتدي الإنسانُ بسَناها فَيهتدي. وَيَتْبَعُ هُداها فيرتَدِعُ. ومثَلٌ سائرٌ يُغني بإيراده في المحافل عن ألفاظٍ يُؤلِّفُها، ومعانٍ يتكلَّفها، ويُنزِلُ صاحبَه من العلم فوقَ منزلَتِه، ويُرتِّبُ من الأدب في أعلى مَرْتبتِهِ. وقِدْماً قيل: يكفيكَ من الأدب أن ترويَ الشاهدَ والمثلَ.

وقد جمعتُ في كتابي هذا: ما يَصْقُلُ[١] الخواطرَ الصَديَّة[٢]، ويُحِدُّ القرائحَ الكالَّة[٣]، ويَبعثُ الأفهام اللاغية[٤]، ويقودُ القلوبَ الجامحة[٥]؛ وصنَّفْتُه في خمسة أبواب:

باب الحكمة من النثر.

باب الفصول القصار من الحكمة.

باب الحكمة من الشعر.

باب أبيات الأمثال المفردة.

باب أعجاز الأبيات

وعنونْتُه [بكتاب الآداب] وأرجو أن يَسيرَ ذِكْرهُ سيَرورةَ مَنْ أَلِفَ برسْمِه، وشُرِّفَ باسْمه، مُزيلَ نَبواتِ[٦] الأيام ومُقيلَ[٧] عثراتِ الكِرام. ومُوضِحَ سُبل المعروفِ، ومُنْجِحَ أَمَلِ الملهوف [القاضي الأجلِّ عبد الرحيم بن علي][٨] أبقاه اللّهُ بقاءَ ذِكْرِه الجميلِ، وذلك بقاءٌ ما معَه فَوْتٌ. وأحياهُ حياةَ نائلةَ الجزيلِ؛ وتلك حياةٌ لا يَعْقبها موتٌ؛ ولا زال يأمرُ الدهرَ بمنافع فيأتمِرُ، ويزجُرهُ عن مضارِّهم فينزجِرُ. وهذا حينُ الابتداء، والله الموفقُ للاهتداء.

---

(١) يشحذ.　　(٢) المعطشى.

(٣) التعبة.　　(٤) الخاطئة.

(٥) التي خرجت عن جادة الصواب وعَثَتْ في سلوكها.

(٦) نبوات، جمع: نبوة: النَبف كلَّ وارتدّ.　　(٧) مُنهض.

(٨) هو القاضي الفاضل وزير السلطان صلاح الدين الأيوبي، ورئيس ديوان الإنشاء لديه. انظر ترجمة موسّعة له في «سير أعلام النبلاء» للحافظ الذهبي جـ٢١/٣٣٨ ـ ٣٤٤ وكثير من مصادر ترجمته في حاشية الصفحة ٣٣٨. وكانت وفاته سنة ٥٢٩هـ/١٢٠٠م.

بـــاب

الحكمة من النثر

قال الله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(١). وقال رسوله ﷺ: «الحكمةُ تَزيدُ الشريفَ شرفاً» وقال عليه الصلاةُ والسلامُ: «نِعْمَ الهديةُ الكلمةُ من كلامِ الحكْمةِ».

وقال أميرُ المؤمنين عليٌّ رضي الله عنه: «الحكمةُ ضالَّةُ(٢) المؤمنِ، فاطلبْ ضالَّتَكَ ولو في أهلِ الشِّرْك».

وقال عليهِ السلامُ: «مَنْ عُرِفَ بالحكمة لاحظَتْه العيونُ بالوقار».

وقال بعضُ الحكماء: تحتاجُ القلوبُ إلى أقواتها من الحِكْمة، كما تحتاج الأجسامُ إلى أقواتها(٣) من الطعام.

قال رسولُ الله ﷺ: «أفضلُ الصَّدَقةِ جُهْدُ المُقِلِّ(٤)، وأسوأُ الناسِ حالاً مَنْ لا يثِقُ بأحدٍ لسوء ظنه، ولا يثِقُ به أحَدٌ لسوء فِعْله، وأصْبَرُ الناس مَنْ لا يُفْشي سرَّه إلى صديقٍ له مخافةَ التقلُّبِ يوماً ما، وأعجزُ الناسِ المفرِّطُ في طلب الإخوان، وأعزُّ الأشياء أخٌ يُوثَقُ بعَقدِه ويُسكَنُ إلى غَيبه».

وقال عليه الصلاة والسلام: «أُنظُروا إلى مَنْ هو دونكم، ولا تَنظُروا إلى مَنْ هو فوقكم، فإنه أجدَرُ أنْ لا تَزْدروا(٥) نعمةَ اللهِ عليكم».

وقال عليه الصلاة والسلام: «لو أنَّ الرجلَ كالقِدحِ(٦) المقوَّمِ لقال الناسُ فيه لَوْ وَلوْلا».

وقال ﷺ: «أَقيلوا ذوي المرُوآتِ عَثَراتِهم، فما يَعثُرُ منهم عاثرٌ إلّا ويَدُه بيد اللّهِ تعالى».

* * *

وقال أميرُ المؤمنين علي رضي اللّهُ عنه: من لم يتأمَّلْ الأُمورَ بعينِ عقلِه، لم يقعْ

(١) سورة البقرة، الآية ٢٦٩.
(٢) الضالّة: الشيء المفقود الذي يسعى المرء وراءه.
(٣) أقوات. مفردها، قوت: طعام.
(٤) الذي لا يملك شيئاً ذا بالٍ.
(٥) لا تحتقروا.
(٦) السّهم، يلعب به أهل الميسر.

سيفُ حيلتِه إلّا على مقاتِلِه. وقيلَ له ما الكرمُ؟ فقال: الاحتيالُ للمعروف، وتَرْكُ التقصّي[١] عن الملهوف.

وقال عليه السلام: «انتهِزوا هذه الفُرصَ فإنَّها تمُرمرَّ السحابِ، ولا تطلُبوا أثَراً بَعْد عَيْنٍ»[٢].

وقال: الإيمان أن تُؤثِر الصدقَ حيث يضرُّكَ، على الكذِبِ حيث ينفعُك.

وقال: إذا أقبلت الدنيا على رجلٍ، أعارَتْه محاسِنَ غيرِه، وإذا أدبرتْ[٣] عن رجل، سلَبَتْه محاسنَ نفسِه.

* * *

وكتب أبو بَكْر[٤] رضي الله عنه: إلى عِكْرِمة بن أبي جهل - وهو عاملُه على عَمّان - إيّاكَ أن تُوعِد على معصيةٍ بأكْثرَ مِن عُقوبتها، فإنَّكَ إن فعلتَ أثِمْتَ، وإن لم تفعلْ كذَبْتَ.

* * *

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما عاقبْتَ مَنْ عَصىٰ اللّهَ فيك، بمثلِ أنْ تُطيعَ اللّهَ فيه.

وقال: لا حُرْمةَ للنائحة، لأنها تأمر بالجزَع[٥]، وقد نَهىٰ اللّهُ عنه؛ وتَنْهىٰ عن الصبر وقد أمرَ اللّهُ به؛ وتبكي شجْوَ غيرِها وتأخذُ الأُجْرَة على دمعها؛ وتحزِنُ الحيَّ؛ وتؤذي الميْتَ.

وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: من لم يستحْي من العَيْب؛ ويَرْعوِي[٦] عند الشيْبِ؛ ويخشَىٰ اللّهَ بظهر الغيب، فلا خيرَ فيه.

وقال علي بن الحسن رضي الله عنهما: هلكَ مَنْ ليس له حكيمٌ يُرشِدُه، وذَلَّ من ليس له سفيهٌ يعْضُدُه.

---

(١) الابتعاد.

(٢) مَثل يُضرب لمن يطلب أثر الشيء بعد فوْت عينه.

(٣) ذهبت.

(٤) هو الخليفة الراشدي الأول أبو بكر الصدّيق.

(٥) عدم الصّبر والحزن.

(٦) يرتدع، وحقُّه حذف (الياء) لدواعي الجزم، وكذلك «يخشى». وسيَردُ التعريف بجعفر، لاحقاً.

من المأثور عن الحكماء

وقال **أفلاطون**[١] الحكيم: الدليل على ضعف الإنسان أنه ربما أتاه الخيرُ مِنْ حيثُ لا يَحتسبُ، والشرُّ مِن حيثُ لا يَرتقِبُ.

وقال: لا تَطلبْ سرعةَ العملِ؛ واطْلُبْ تجويده[٢]؛ فإنَّ الناس لا يسألون في كَم فَرغَ؛ وإنما ينظرون إلى إتقانه وجُودِ صَنْعته.

وقال: إذا أعجَبكَ ما يتواصَفُه الناسُ مما ظهرَ مِنْ محَاسِنِك، فانظُرْ فيما بَطَنَ مِنْ مَساويكَ، ولْتكُنْ معرفتُكَ بنفسِكَ أوثَقَ عندَكَ من معرفةِ الناس بِكَ.

وقال: يَنبغي للعاقلِ أنْ يكونَ رقيباً على نفسه، فيستَعظمَ خطأَهُ ويستصغِرَ صوابه، لأنَّ الصوابَ داخلٌ في شَرْط إنسانيته[٣]، والخطأ مغيِّرٌ لِمَا استقرَّ في نفوس الناس منه.

وقال: حُبُّك للشيء سِتْرٌ بينكَ وبين مَساويه، وبُغْضُك له سِتْرٌ بينكَ وبين مَحاسِنه.

وقال: إذا أنجزْتَ ما وعدْتَ، فقد أحرزْتَ فضيلتَيْ الجُود والصِّدْقِ.

وقال: مَودَّةُ الرأيِ ما تموتُ ومودّةُ الهوىٰ ما تَبقىٰ.

وقال: إذا أغضبكَ صديقٌ لكَ فقد أجْراكَ في مضمارٍ يَعرِفُ منك فيهِ حُسْنَ العَهدِ، وجميلَ الوفاءِ؛ فمهما أشرفْتَ عليه من عيوبه وسقطاته فلا تطلْ لشيءٍ من ذلك عليه.

وقال: لا تستصغِرَنَّ عدوَّكَ فيقتحمَ عليكَ المكروهَ من زيادة مقداره على تقديرِك.

وقال: مَنْ مدَحَك بما ليس فيكَ من الجميلِ وهُوَ راضٍ عنكِ، فقد ذَمَّك بما ليس فيكَ من القبيحِ، وهو ساخطٌ عليك.

وقال: الأَشرارُ يتَّبعونَ مَساويَ الناس ويتركون محاسِنَهُم، كما يبتغي الذُّبابُ المواضعَ الفاسِدةَ من الجسَد ويَتركُ الصحيحةَ.

---

(١) **أفلاطون**: فيلسوف يوناني من أثينا. ولد سنة ٤٢٨ وتوفي سنة ٣٤٨ قبل الميلاد.

(٢) جعْلُه جيِّداً.

(٣) المقصود بذلك قوام الحُسْن أو الإحسان، في شرط الإنسانية التي تعني العطاء والاستقامة وغير ذلك من شروط الخُلق الرفيع.

وقال: لا تعتَبْ [أن][١] أذمَّ فيه ما مدحْتَه أو أَمدحَ فيه ما ذَممْتَهُ، وذلك يوم ظفرِ الهوى فيه بالرأي والجهلِ بالعقل.

وقال: لا تُعَادُوا الدولَ المقبلةَ وتُشربوا أَنفسَكم استثقالها فتُدْبِرَ بإقبالها[٢].

وقال: العَدْلُ في الشيء صورةٌ واحدة، والجَوْر[٣] صُوَرٌ مختلفة، ولهذا سهُلَ ارتكابُ الجَوْر وصعُبَ تحرِّي العدلِ، وهما يُشْبهان الإصابةَ والخطأَ في الرماية؛ فإنَّ الإصابةَ تحتاجُ إلى ارتياضٍ[٤] وتعاهُدٍ، والخطأَ لا يحتاجُ إلى شيءٍ من ذلك.

وقال: من جمعَ إلى شَرَفِ أَصْلِهِ شرَفَ نفسِه، فقد قضىٰ الحقَّ عليه واستدعىٰ التفضيلَ بالحجة؛ ومن أَغفلَ نفسَه واعتمد على شرَف آبائه، فقد عقَّهم واستحقَّ بأن لا يُقَدَّم بهم على غيره.

وقال: كما أنَّ مَنْ كان له سلَفٌ في الشجاعة والسَّخاء، لا يَستحقُّ أن يَكْرُمَ اتصافُه إذا كان جباناً بخيلاً؛ وكذلك سائرُ أنواع الشرف. إنما يستحق المنتسبُ إليها التقديمَ إذا حوى ما يُذكَرُ به أَسلافُه.

وقال: السعيدُ من الملوك من تَمَّتْ به رياسةُ آبائه؛ والشقيُّ منهم مَن انقطعتْ عنده.

وقال: إذا قامت حُجَّتُكَ على كريمٍ في المناظرة أكرمَكَ وعظَّمَك، وإذا قامتْ على لئيم عاداكَ واصطَنعها عليكَ.

وقال: لا تدفَعَنَّ عملاً عن وقته[٥]، فإن للوقت الذي تدفعُه إليه عملاً آخر، ولستَ تُطيقُ ازدحامَ الأعمالِ لأنها إذا ازْدَحَمَتْ دخلَها الخلَلُ.

وقال: حيثُ يَزيدُ القولُ ينقصُ العملُ، وحيثُ تَقوىٰ التُهمةُ يضْعُفُ الاسترسالُ.

وقال: ليس ينبغي للمرء أن يُعمِلَ الفكرةَ فيما ذهَبَ عنه، ولكن ليُعمِلْها في حفظِ ما يَبْقىٰ له.

وقال: لا تأسَفنَّ على شيء اغتُصبتَه في هذا العالم، فلو كان بالحقيقة لكَ لما وَصَل إلى غيرك.

---

(١) وردت هذه الكلمة في النسختين هكذا: (لا نعب) مهملة من التنقيط وحرف (أن) مزيد على الأصل لتصح الجملة.

(٢) أي لا تكرهوا الحاكم الجديد وتدبروا عنه قبل التعرّف إلى سلوكه ونظامه وفعاله.

(٣) الظُلم، والانحراف عن الحق.

(٤) تدريب ومراس.

(٥) لا تنحِّ عملاً حان موعد إنجازه. وهو شبيه بالقول المأثور: لا تؤخر عمل اليوم إلى الغد.

وقال: أضعفُ الناسِ من ضَعفَ عن كتمان سِرِّه، وأقواهم من قويَ على غَضَبه، وأَصْبَرُهم من ستر فاقته[١]، وأغناهم من قنع بما تيسّر له.

وقال: أصعبُ الأحوال حالٌ، عَجزتَ فيه عن التنقُّل إلى ما تَرْجُو فيه راحةً؛ وأضيقُ المذاهب طريقٌ لم تَجدْ فيهِ مُعيناً لك ولا مُشيراً عليك، وأكدى[٢] المطالب الرغبةُ إلى غير مُناسِبٍ لك ولا مُتأمِّلٍ فاقَتَكَ، وأخوفُ المسالِكِ مَسْلكٌ حَسَّنْتَ فيه مفارقةَ حريتِك وجميلَ أوصافِك، وتعبَّدتَ فيه لرذائلِكَ؛ وأغلظُ المواقف مقامُكَ على متَّهِمٍ لكَ لا يَقْبل منك حُجةً ولا يسمعُ لك معذِرةً؛ وأسوأُ المجاورة مجاورةُ لئيم يَجْرِي مَجْراك من سلطانك، فهو يُحَرِّف محاسِنَك ويحسِدُ فضائلَك وَيبتغي غوائلَك[٣].

وقال: إذا رفضْتَ أحداً فلا تُخرجْه من أَسْر الطمع فيك؛ وإذا كافَحْتَه فلا تُوئِسْهُ من مراجعتك؛ فإنَّك تُرسِل عليه ليلاً من المكيدة يَسْري فيه إليه، وهو نائم عنك، غيرَ مُبْصرٍ لك.

وقال: الحرُّ يَشكُرُ على حسَب الإمكان من المُنْعِم والمَوقِع من الراغب. والنذْل[٤] إنما يشكر على حسَب الكَثْرة والزيادة فقط.

وقال: الرغبةُ إلى الكريم تَخلِطُكَ به وتُقرِّبُك منه، وتَرْفَعُ سجوفَ[٥] الحِشْمةِ بينكَ وبينَهُ، والرغبةُ إلى اللئيم تُباعِدُك عنه وتُصَغِّرك في عينه.

وقال: الحرُّ مَنْ وَفىٰ بما يَجبُ عليه وسمَحَ بكثيرٍ مما يجبُ له، وصبَرَ على عشيرِهِ على ما لا يَصبرُ له على مِثْلِه. وكانت حُرْمةُ القصد عندهُ توازي حرمةَ النَّسَب، وذِمامُ المودة لديه يفوق ذِمام الإفضال عليه.

وقال: أَمْطِلْ[٦] نفسَك بما تُؤْثر أن تَشتريَه بالنسيئة[٧]، فإنَّ صبرها عليكَ أولى من صَبْر غريمك.

وقال: لا تُبَكِّتنْ[٨] أحداً في الظاهر بما يأتيه في الباطن. واستحْي من نفسك فإنها تلحَظُ منك ما غاب عن غيرك.

---

(١) الفقر الشديد.
(٢) التي أصابها المَحْل والكَلَلُ البعيد، و«أكدى المطالب» هنا: أبعدُها عن النفع.
(٣) الغوائل، مفردها: غائلة: المصيبة.
(٤) النذل: الحقير الخسيس.
(٥) ستائر.
(٦) سوِّف، وهو من المطل والمماطلة: التأخر في إنجاز الوعد.
(٧) النسيئة: المبلغ من المال يُؤخَّر قبضه إلى أجل غير معلوم.
(٨) التبكيت: التوبيخ الشديد.

وقال: لا تُترِفْ[١] نفسَك وجسْمَك، فتَفْقُدهما في الشدة إذا وردَتْ عليك.

وقال: إذا أردتَ أن تُبيِّنَ كيف شُكْرُ الرجلِ على المزيد، فانظُرْ كيف صبرُه على النقْص.

وقيل له: بماذا ينتقمُ الرجلُ من عدوِّه؟ قال: بأن يزداد فضلاً في نفسه.

وقيل له: لِمَ يَخْضِبُ[٢] فلان بالسوادِ؟ قال: يخاف أن يؤخذ بحُنْكة المشايخ.

وقيل له: ما الشيءُ الذي لا يَحْسُنُ وإن كان حقاً؟ قال: مدْحُ الإنسانِ نفْسَه.

وقال: لا تلاجِجْ غَضبانَ فإنَّك تُقلِقُه باللُّجاجِ[٣]، ولا تَرُدَّه إلى الصواب، ولا تفرَحْ بسقْطِ غيرِكِ فإنَّك لا تدري تصرُّفَ الأيامِ بك. ولا تنفُخْ[٤] في وقت الظَّفر، فإنَّ دائرَةَ الأيام ليست لك. ولا تهزأْ بخطأ غيرِك فإنك لا تملِكُ المنطِقَ.

وقال: إذا أُنعِمَ عليك بنعمةٍ بها فضْلٌ عنك، فاعْلَمْ أنَّ فيها نصيباً لغيرك. فبادِرْ إلى إخراجه تأمَنْ بغتَةَ الاستدراكِ.

وقال: إذا بلغَ المستورُ إلى كشف حاله لك، فاحذَرْ رَدَّهُ فإنَّه قد أطلعَكَ على سره مع بارئه.

* * *

وقال أرسطوطاليس[٥]: للطالب البالغِ، لذَّةُ الإدراك، وللطالبِ المحروم، راحةُ اليأس.

وقيل له: أيُّ شيء ينبغي للإنسان أن يقتني؟ فقال: الشيءُ الذي إذا غرِقَتْ سفينتُه سبَحَ معَه.

وقال سقراط[٦]: الدنيا كراكبِ البحرِ، إن سَلِم قيل مُخاطِرٌ، وإن عَطِبَ قيل مغرِّر.

وقال: إذا أردتَ أن تصادقَ إنساناً فانظُرْ كيف ظنُّه بنفسِه؛ فإنْ كان بها ضنيناً[٧] فارْجُهُ؛ وإنْ كان بها سَمْحاً[٨] فاحذَرْه!

---

(١) أترف الرجلُ: بطِرَ من النعمة.

(٢) يغيِّر لون شعر الشائب إلى لون أسود، وذلك هو الخضاب، أي التوسُّم بالصِّبا والشباب بصبغ الشعر وخلافه.

(٣) اللُّجاج: مواصلة الكلام والطغيان في النصيحة.

(٤) لا تفخر.

(٥) (٣٨٤ ـ ٣٢٢ق. م) مؤدِّب الاسكندر، فيلسوف يوناني أسَّس «الفلسفة المشّائيّة».

(٦) (٤٦٨ ـ ٣٩٩ق. م) فيلسوف يوناني. ولد وعلّم في أثينا. قاوم تعاليم السفسطة، فتحالف عليه أعداؤه، وحكم عليه بشرب السمّ في السجن. فاستُشهد لأجل الحقيقة.

(٧) حريصاً.

(٨) جواداً.

وقال: طالبُ الدنيا لا يَخْلو من الحزن في حالَيْن. حزنٌ على ما فاتَه كيف لم يَنَلْه، وحزنٌ على ما نالَه يَخافُ أن يُسْلَبَهُ.

وعيَّرَهُ رجلٌ بجنسه. فقال له سقراط: إنْ كان جنسي عاراً عليَّ فإنك عارٌ على جنسك.

وقيل له: ذُكِرتَ لفلانٍ فلم يَعْرِفْك. فقال: لا يَجهلني إلا ساقِطٌ.

وقيل له: إنَّ الكلام الذي قلتَه لمدينةِ كذا لم يَقْبلوه. فقال: لا يلزَمُني أنْ يُقْبَل وإنما يلزمني أن يَكون صواباً.

* * *

وقال بُزُرْجُمهر[1]: الشدائدُ قبل المواهبِ بمنزلة الجوع قبل الطعام، يَحسُنُ به مَوقِعُه ويَلَذُّ معه تناوُلُه.

وقال: أفرَهُ[2] ما يكونُ من الدوابِّ، لا غنى به عن السَّوط، وأعقلُ ما يكون من الرجال، لا غنى به عن المُشَاورة، وأعفُّ ما يكون من النساء لا غنى بها عن الزوج.

وقيل له: ما المروءة؟ قال: تَرْكُ ما لا يَعْني. قيل فما الحَزْم؟ قال: انتهازُ الفرصة. قيل فما الحِلْم؟ قال: العَفْوُ عند القدرة. قيل فما الشدة؟ قال: مَلْكُ الغَضَب. قيل: فما الخُرْف[3]؟ قال: حبٌّ مفْرِط أو بُغْض مُفْرطٌ.

* * *

وقال نصر بن سيار[4]: كلُّ شيء يبدو صغيراً ثم يكْبر، إلا المصيبةُ فإنها تبدو كبيرةً ثم تَصغُر. وكلُّ شيء إذا كثُرَ رَخُصَ، إلّا الأدَبُ فإنه إذا كثُرَ غَلَا.

وقال الإسكندر[5]: لا تَستخفنَّ بالرأي الجليل يأتيك به الرجلُ الحقير، فإنَّ الدُّرَّةَ الرائعَة لا تُسْتَهان لهَوانِ غائصها.

وقيل له ـ وهو عازِمٌ على حرب دارا الأكبر[6]ـ: إنَّ دارا في ثمانين ألفاً. فقال:

---

(١) وزير فارسي عادل. قتله مليكه كسرى، لأنه قدّم له نصيحة لا تُرضيه.

(٢) أكرم وأجمل وأنشط.

(٣) الحمق والبله.

(٤) أمير جيوش المسلمين. سار بالحرب إلى آسيا الوسطى مع قُتيبة بن مسلم. حكم خراسان، لكنه لم يقوَ على مقاومة الدّعاية التي أدّت بالخلافة إلى بني العبّاس، وإلى سقوط الأمويين. توفي سنة ١٣١هـ/ ٧٤٨م.

(٥) (٣٥٦ ـ ٣٢٤ق. م) لقّب بذي القرنين. تعلّم على أرسطوطاليس. تبوّأ الحكم الملكي في مكدونيا محلّ أبيه فيليبس. حارب الفرس مراراً وانتصر عليهم توفي في بابل سنة ٣٢٣ق.م.

(٦) آخر ملوك سلالة الأخمينيين. حكم فارس ست سنوات (٣٣٦ ـ ٣٣٠ق. م) اغتصب الإسكندرُ مملكته.

إن القصّاب[١] لا يَهُولُهُ[٢] كَثرةُ الغنم. ولامُوهُ على مباشرة الحَرْب بنفسه. فقال: ليس مِنَ العَدْل أن يقاتَلَ عني ولا أقاتِلَ عن نفسي.

وقيل له: ما بال تعظيمك لمؤدِّبك أكثرَ من تعظيمك لأبيك؟ فقال: إنَّ أَبي سببُ الحياة الفانية، ومؤدبي سببُ الحياة الباقيةَ.

وقال: اتَّقوا صولةَ[٣] الكريم إذا جاعَ، واللئيم إذا شَبِعَ.

وقيل لبعضهم: أتُحِبُّ أن تُخْبَرَ بعيوبك. فقال: أمَّا مِنْ ناصحٍ فنَعَمْ. وأمَّا من مُوَبِّخ فلا.

* * *

وقال خالد بن برمك[٤]: التعزيةُ بعد ثلاث تَجديدٌ للمصيبة، والتهنئةُ بعد ثلاث استخفافٌ بالمودة.

وقال يحيى بن خالد[٥]: إذا أَحببتَ إنساناً بغير سببٍ، فارْجُ خيرَه، وإذا أَبْغَضْتَ إنساناً بغير سبب فَتَوقَّ شَرَّه.

وقال: خيرُ الناس حالاً في النعمة من استدام نعيمَها بالشكر، واسترجَعَ نافِرَها بالصبر.

وقال: رأيتُ السارقَ ينزع[٦]، وشارِبَ الخمر يُقْلِعُ[٧]. وصاحب الفواحش يَرْجِعُ[٨]، ولم أَر كاذباً قطُّ صار صادقاً.

وقال له رجل: إن أمنتَ الدهرَ أن يرفعَني إلى مرتبتكَ، فلا تأمَنْه أن يَحُطَّكَ إلى منزلتي؛ فارتاع يحيى من قوله وقضى حاجته.

وقال جعفر[٩] لابنه: شَرُّ المال ما لَزِمَك الإثمُ في كَسْبه، وحُرِمْتَ الأَجْرَ في إنفاقه.

وقال بعض ملوك الهند: المُسيء لا يَظُنُّ بالناس إلا سوءاً، لأنه يراهم بعين طَبْعه.

---

(١) اللحّام.
(٢) يخيفه، يرعبه.
(٣) سطوة الجولة والحملة في الحرب.
(٤) خالد بن برمك بن جاماس، أبو البرامكة، جعله أبو منصور على ديوان الغنائم وديوان الجند. وقد وصف بالجود وفصاحته وعلمه. توفي سنة ١٦٣هـ/ ٧٨٠م.
(٥) يحيى بن خالد البرمكي، الوزير الجواد ومؤدِّب الرشيد (وفاته سنة ١٩٠هـ/ ٨٠٥م).
(٦) ينزع: يكفُّ.
(٧) يقلع: ينتهي.
(٨) يرجع ـ هنا ـ يتوبُ.
(٩) لعله جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي (ت١٨٧هـ/ ٨٠٣م).

وقال: ينبغي للعاقل إذا أَصبَح، أنْ ينظُرَ وجهه في المرآة، فإنْ رآه حسناً لم يَشِنهُ[١] بقبيح. وإن رآه قبيحاً، لم يَجْمعْ بين قبيحَيْن.

* * *

وقال آخر: مَثَلُ الذي يُعلِّم الناسَ الخيرَ ولا يَعمل به، كَمَثَلِ أعمى بِيدِه سراجٌ يَستضيء به غيرُه وهو لا يراه.

وقيل لبعض الحُكَماء: ما الصدقُ؟ فقال: هو اسمٌ على غير معنىً، وحيوانٌ غير موجود.

وقال آخر: أطولُ الناس سَفَراً، من كان في طلَب صديقٍ يرضاه.

* * *

وقال آخر: لولا أنَّ بين المحبوبات عوارضَ من المَكاره، لما استُعذِبَ مَذاقُها ولا حَسُنَ موقِعِها.

وقال أبو عبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى[٢]: قال لي أبي يا بُنَيَّ: لَا ترُدَّنَّ على أحدٍ خطأً؛ فإنه يستفيدُ منك عِلْماً ويتخذُكَ عدوًّا.

وقال آخر: مُغضِبُ القادرِ عليه[٣] كمجرُب السمِّ في نفسه، إنْ هلَكَ فقتيلُ حقٍّ، وإن نُجِّيَ فطليقُ حُمْقٍ.

وقال آخر: أعداءُ المرء في بعض الأوقاتِ، ربما كانوا له أنفَعَ مِنْ أصدقائه. لأنهم يُهْدونَ إليه عيوبَه فيتجنَّبُها، ويخافُ شَماتَتَهم فيَضْبِطُ نِعْمَتَه.

وقال آخر: خيرٌ من الحياة، ما لا تَطيبُ الحياة إلَّا به، وشَرٌّ من الموت ما يُتمنَّى الموتُ من أجلِهِ.

وكان الحسن البصري[٤] يقول: اللهمَّ أنزلْتَ بَلاءً، فأَنزِلْ صَبْراً. ووهبْتَ عافيةً، فهَبْ شُكْراً.

وقال أعرابي لعبد الله بن جعفر[٥]: لا ابتلاكَ اللّهُ بمصيبةٍ يَعجَزُ عنها صَبرُكَ، وأنعمَ عليكَ نِعمةً يعجَزُ عنها شُكْرُكَ.

* * *

(١) يلطِّخه بالقبح أو يَعِبْه بشائنة.

(٢) معمر بن المثنى، أبو عبيدة البصري، النحوي. قال عنه الجاحظ: كان أعلم أهل الأرض. عاش بين سنتي (١١٠ ـ ٢٠٩هـ/ ٧٢٨ ـ ٨٢٤م).

(٣) أي من أغضبَ إنساناً أقوى منه وأقدر. كمن يجرِّب اجتراع السمِّ فهو لا محالة هالك.

(٤) الحسن بن يسار البصري، كبيرُ علماء زمانه في اللغة والفقه والفصاحة. ولد في المدينة سنة ٢١هـ وتوفي سنة ١١٠هـ/ ٧٢٨م.

(٥) هو ابن أخي علي بن أبي طالب. ولد في الحبشة، جاء مع أبيه إلى المدينة. لقِّب بـ«بحر الجود» لكرمه. توفي حوالى ٨١هـ/ ٧٠٠م.

وقال بعضُ الحكماء: إياكَ والعجَلة، فإنه مكْسَبَةٌ للمَذَلَّة، مَجْلَبَةٌ للندامةِ، مُنَفِّرةٌ لأهل الثقةِ، مانِعةٌ مِن سَدادِ الرُّوِيَّة.

وقيل لبعضهم: لمَ لا يَجتمعُ الحِكْمة والمالُ؟ قال: لِعِزَّة الكمالِ.

وقال آخر: ليس من شأن الحكيم بَذْلُ الحكمةِ لكل أحد، لأنها بمنزلة ضوء الشمس الذي هو نافعٌ للأبصار الصحيحة، مُضِرٌ بالأبصار الرَّمِدَةِ(١).

وقال آخر: لا تُدِلَّنَّ بحالةٍ بَلغْتَها بغير آلة، ولا تفْخَرَنَّ بمرتبةٍ رَقِيتَها بغير مَنْقَبة(٢)؛ فما بناه الإنفاقُ، هدَمَه الاستحقاقُ.

وقال آخر: أَستحي مِنْ ذمِّ مَن لو كان حاضراً لبالغتُ في مدحهِ، ومَدْحِ مَن لو كان غائباً لسارَعْتُ إلى ذمه.

وقال آخر: إذا نَزلَ بك المُهِمُّ(٣)، فانظرْ! فإنْ كان فيه حيلةٌ فلا تَعْجَزْ، وإنْ لم يكن فيه حيلة فلا تَجزَعْ.

وقال آخر: تَقدَّمْ بالحيلة قبل نزول الأمرِ، فإنَّه إذا نزلَ ضاقت الحيَلُ وطاشتِ(٤) العقولُ.

* * *

وقال خالد بن صفوان(٥) لابنه: يَا بُنَيَّ! كُنْ أَحسَنَ ما تكونُ في الظاهر حالاً، أقلَّ ما تكون في الباطن مالاً.

وقال له رجل: كيف أُسلِّم على الإخْوانِ؟ فقال: لا تَبلغْ بهم النفاقَ، ولا تَقْصُرْ بهم عن الاستحقاقِ.

وقال آخر: لا تَغْتِرِرْ بمن يَميلُ إليكَ حتى تعرفَ علَّةَ مَيْله، فإنْ كانت لشيءٍ من صفاتك الذاتيَّة فَارْجُ ثَبَاتَهُ، وإنْ كان لشيء من أحوالكَ العارضةِ فلا تَحْفِلْ به، فإنه يُقيمُ عليكَ بمقام ذلِكَ الشيءِ، وينْصرفُ عنك بانصرافِهِ.

* * *

وفي كتاب كليلة ودمنة: إذا أحْدَثَ لكَ العدوُّ صداقةً لِعِلَّةٍ أَلْجأتْهُ إليك، فَمَعَ

(١) أصابها الرَّمد، وهو هيجانٌ يصيب العيونَ، وبخاصة في فصل الرّبيع.
(٢) الخلق الكريم.
(٣) الأمر الشديد (ما يجلب الهمّ).
(٤) طاشت العقول: تاهتْ وخفَّت وتشتَّتْ.
(٥) خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو، من فصحاء العرب، كان لقدرته على المدح والذم، نصيب في مجالسة الخلفاء. توفي سنة ١٣٣هـ/ ٧٥٠م.

ذَهابِ العلّة رجوعُ العداوة. كالماء تُسْخِنُه، فإذا أمسكتَ عنه عاد إلى أصله بارداً؛ والشجرةِ المرّة لو طَلَيْتَها بالعَسَل لم تثمر إلّا مُرًّا.

وقيل لبقراط(١): ما أعمُّ الأشياء نفعاً؟ فقال: فقْدُ الأشرار.

وقيل لبعضهم: ما بالُ السريعِ الغضَبِ، سريعُ الرجعةِ، والبطيءِ الغَضَبَ، بطيءُ الرجعة؟ فقال: مَثَلُهما مثَلُ النارِ في الحطب، أسرعُها وقوداً أسرعُها خُموداً.

وقال آخر: لتكنْ سيرتُكَ وأنت خِلْوٌ في منزلك، سِيرَةَ مَنْ هو في جماعةٍ من الناس تستحي منهمْ.

وقال آخر: غايةُ المروءةِ أن يستحِيَ الإنسانُ من نفسِهِ.

* * *

وقال ابن المعتز(٢): الحوادثُ المُمِضَّةُ(٣) مكْسَبةٌ لحظوظٍ جَزيلة. منها ثوابٌ مَدْخورٌ(٤)، وتطهيرٌ من ذنبٍ، وتنبيهٌ عن غفلة، وتعريفٌ بقَدْرِ النعمة، ومرُونٌ على مقارعة الدهر.

وقيل للمهلّب بنِ أبي صُفرةَ(٥): بِمَ نلتَ هذا الظَّفَرَ؟ فقال: بطاعةِ الرأي وعصيانِ الهوىٰ.

وقال: أناةٌ(٦) في عَواقبها فَوْتٌ(٧)، أَحبُّ إليَّ من عَجلةٍ في عواقبها ظَفَرٌ.

وقال لبنيه: أحسَنُ ثِيابكم ما كان على غيركم، وخيرُ دوابِّكم ما كان تحتَ سِواكم.

وقال: لأن أرىٰ لعقلِ الرجلِ فضلاً على لِسانِه، أَحَبُّ إليَّ من أنْ أرىٰ لِلِسانه فضلاً على عقله.

وقال بعضهم: لسانُ العاقل مِنْ وراء قلبه، ولسانُ الجاهل أمام قلبه: فإذا همَّ بالقول قالَ عليه أو لَهُ.

* * *

(١) أبيقراط Epicure: فيلسوف يوناني من أهل أثينا. دعا إلى فلسفة السرور والسعادة. وكانت حياته بين ٣٤١ ـ ٢٧٠ قبل الميلاد.

(٢) عبد الله بن المعتز، أحد خلفاء بني العباس (٢٤٧هـ ـ ٢٩٦/ ٨٦١ ـ ٩٠٨م) انصرف إلى الدراسات الأدبيّة، فكان من أهمّ شعراء العصر العبّاسي بساطةً وسلاسةً في التعبير. بويع له بالخلافة، ولم يتمتّع بها إلّا أيّاماً.

(٣) الموجعة المحزنة.

(٤) المدخور: المُدَّخَر، المخزون.

(٥) من كبار قوّاد بني أميّة. حُمل بالحرب إلى بلاد أفغانستان والهند، ثم إلى سمرقند. ناصر عبد الله بن الزّبير، ثمّ بايع عبد الملك بالخلافة، وظفر بالخوارج الأزارقة. توفي سنة ٨٣هـ/ ٧٠٢م.

(٦) رويّة: تمهُّل.

(٧) الفوتُ: الخسارة والفشل.

وقال **بعضُ الحكماء**: رُبَّ جامعِ مالٍ لزوج حليلته، ومقْترٍ على نَفْسه، وهو توفيرٌ لعدُوِّه.

وقال آخر: لم أرَ أشقى بماله من البخيل، لأنه في الدنيا مُهتمٌّ بجمعهِ، وفي الآخرة محاسَبٌ على مَنْعه، غيرُ آمنٍ في الدنيا من هَمِّه، ولا ناجٍ في الآخرةِ مِن إثمه؛ فعيشُهُ في الدنيا عيشُ الفقراء، وحسابُه في الآخرة حسابُ الأغنياءِ.

وقال: مثَلُ الأغنياء البخلاءِ مثَلُ البغالِ والحمير، تَحملُ الذهبَ والفضةَ وتعتلفُ التبن والشعير.

وقال آخر: إنَّ لَكَ في مالك شريكَيْن، الحدثان[١] والوُرَّاثُ[٢]. فلا تكن أبخسَ الشركاء حظّاً.

وقال آخر: الدراهم مَياسيم[٣]. تَسِمُ حمداً وذمًّا، فمن أمْسَكَها كان لها، ومن أنفقَها كانت له.

وقال بزرجمهر: إذا أقبلتْ عليك الدنيا فأنفِقْ، فإنها لا تفنى. وإذا أدبرتْ عنك فأنفقْ، فإنها لا تَبقى!

وحذَّرَ بعضُ الحكماء صديقاً له من رجلٍ صَحِبَهُ. فقال: إحذرْ فلاناً فإنه كثيرُ البحث، لطيفُ الاستدراجِ، يقيس أوَّلَ كلامِكَ بآخره. ويَعْتبِرُ ما قدَّمتَ بما أخَّرْتَ. فلا تُظهرنَّ له المخافةَ فيرىٰ أنْ قد تحرَّزْتَ منه وتحفَّظْتَ. واعلمْ أنَّ من اليقظة إظهارَ الغفلةِ معَ شِدَّة الحذَرِ. فباثه مُباثَّة[٤] الآمنِ، وتحفَّظْ منه تحفُّظَ الخائفِ. فإنَّ البحثَ يُظهرِ الخفيَّ الباطِنَ ويُبدِي المستتِرَ الكامنَ.

* * *

وقال **حسَّانُ بنُ تُبَّع الحميريّ**[٥]: لا تَثِقَنَّ بالمَلِك فإنه مَلُول، ولا بالمرأة فإنها حرونٌ[٦]، ولا بالدابة فإنها شرودٌ.

وقال آخر: إذا رأيتَ رجلاً يتناولُ أعراضَ الناس، فاجْهَدْ أن لا يَعرفَك. فإن أشقىٰ الأعراض به أعراضُ مَعارفه.

---

(١) النوائب.

(٢) الورّاث، جمع الوارث.

(٣) مفردها: ميسم: آلة يوسم بها.

(٤) كاشفه وحادثه. وحقه أن يقول: بُثَّهُ مُباثَّة. وكلا الاستعمالين، بصيغة الأمر.

(٥) أحد تبابعة بني حمير في الجاهلية، والتبّع، بمنزلة الملك، وكسرى وقيصر، ولا تعرف الحقبة الزمنية التي عاشها. ولعلها قبل الميلاد ببضعة قرون.

(٦) عنيدة.

وقال جعفر الصادق[١] رضي الله عنه: لا خير فيمن لا يُحب جمع المالِ لخلالٍ، يصونُ به وجهه، ويقضي به دَيْنه، ويَصلُ بِهِ رَحِمَه.

وقال داود بْنُ علي[٢]: لأَنْ يَجمعَ المرءُ مالاً فيُخْلِفَه لأعدائه، خيرٌ له من الحاجة في حياته لأصدقائِهِ.

وكان عبدُ الرحمن بْنُ عَوْف[٣] يقول: يا حبَّذا المالَ أصونُ به عِرْضي وأتقربُ به إلى ربي.

وقال آخر: ينبغي للعاقل أن يكسِبَ ببعض ماله المَحْمدة[٤]، ويصونَ ببعضه وجْهَه عن المسألةِ.

وقال الحصين بن المنذر[٥]: وددْتُ أنَّ لي مثْلَ أحدٍ ذهباً، ولا أَنتفعُ به بقيراط. قيل فما تَصنَعُ به؟ قال: لكثرةِ مَن يَخدمني عليه.

وقيل للأحنف[٦] بن قيس: ما أحلَمَك؟ قال: لستُ بحليم ولكني أَتحالم[٧]، واللّهِ إني لأَسمعُ الكلمةَ فأُحمُّ[٨] لها ثلاثاً، ما يَمنعني من الجواب عنها إلّا خوفي من أنْ أسمع شَراً منها.

وقال: لأَفعى تَحكُّكُ في جوانب بيتي، أَحبُّ إليَّ من أَيِّم[٩] قد ردَدْتُ عنها كُفواً.

وقال: أكرموا سفهاءكم؛ فإنهم يَقونكم[١٠] العار والنار.

---

(١) (أبو عبد الله): (٨٠ ـ ١٤٨هـ/ ٦٩٩ ـ ٧٦٥م). سادس الأئمّة الاثني عشرية. هو ابن الإمام محمَّد الباقر. ادَّعى أربعةٌ على الأقلّ من أولاده، الإمامة من بعده. توفي في المدينة، ودفن في البَقيع.

(٢) داود بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطَّلب. أحد كبار القائمين بالثورة على بني أمية. وهو عَمُّ السفاح أبي جعفر المنصور (ت١٣٣هـ/ ٧٥٠م).

(٣) عبد الرحمن بن عوف أحد كبار الصحابة، وأحدُ العشرة المبشرين بالجنة. له سيرة جليلة وجهاد مشهود في حروب المسلمين مع كفار قريش. توفي سنة ٣٢هـ/ ٦٥٢م.

(٤) الثناء: ما يُحمد عليه.

(٥) لم نجد الحصين (بالصاد المهملة) بل الحضين (بالضاد المعجمة) بن المنذر من كبار التابعين. روى عنه الحسنُ البصري وشهد الجمل وصفين. وهو من سادات ربيعة. روى له مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه. توفي سنة ٩٧هـ. انظر «الوافي بالوفيات»، للصفدي. بعناية محمد الحجيري فرانز شتاينر بفسبادن سنة ١٩٨٤ جـ١٣/ ٩٤.

(٦) الأحنف: أي الملتوي الساقين، من أنصار عليّ في وقعة صفّين عند الفرات سنة ١٤٨هـ/ ٧٦٥م.

(٧) أتصنّع الحلم: أتعقّل.

(٨) بمعنى أتهيّأ لها في حال من الترقب الحارّ جداً.

(٩) المرأة التي فقدت زوجها.

(١٠) وقى: صان.

وقال: ما خانَ شريفٌ، ولا احتجبَ كريمٌ، ولا كذَبَ عاقلٌ، ولا اغتاب مؤمنٌ.
وسأله معاويةُ عن ابنه يزيد. فقال: أخافُكَ إنْ صدَقْتُ، وأخاف اللَّهَ إن كذَبْتُ.

* * *

وقال آخرُ: النفسُ غيرُ فارغةٍ أبداً، فإنْ شَغَلْتَها بما يُصْلِحُها، وإلّا شغلَتْك بما يُفسِدُك.

وقال آخر: أحسنُ ما في الأَنَفَة، الترفعُ عن معايب الناسِ، وتَرْكُ الخضوعِ لِمَا زادَ عن الكفاية.

* * *

وقال محمد بن عبد الملك الزيات[1]: إحذروا الصديقَ الجاهِل، أكثرَ من حذَرِكم العدوَّ العاقِلَ، فليس مَن أساء وهو يعلمُ أنه مُسيءُ، كمن أساء وهو يظن أنهُ مُحْسنٌ.

وقال آخر: يَنبغي أن يكون حفْظُ الرجلِ للمرأة من حيث لا تَعلمُ. فإنَّ مِن شأن النفس التطلُّعَ إلى ما مُنِعَتْه.

* * *

وقال النعمان بن المنذرِ[2]: مَنْ سأَلَ فوق قَدْرِه استحقَّ الحِرمانَ، ومن أَلْحَفَ[3] في المسألة استحقَّ الردَّ، والرفقُ يُمْنٌ، والخَرْقُ شؤْمٌ، وخيرُ الطاعة ما وافقَ الحاجةَ، وخير العفوِ ما كان مع القُدْرة.

* * *

وقيل لأعرابيٍّ: لِمَ قطَعْتَ أخاك وهو من أبيك وأمك؟ فقال: إني لأَقْطَعُ العُضْوَ الفاسدَ وهو أقربُ إليَّ منه، إذا رأيتُ في ذلك الصلاحَ.

وقيل لأعرابيٍّ آخرَ: ما تقول في ابنِ العمِّ؟ قال: عدوُّكَ وعدوُّ عدوِّكَ.

وقال الأصمعي[4]: سمعتُ أعرابياً يقول: لا يوجدُ العَجُول[5] محموداً، ولا

(١) وزير العباسيين. أسخط المتوكل، فأمر بقتله. وكان من كبار الكتاب البلغاء والشعراء في عصره. قتل سنة ٢٣٣هـ/ ٨٤٧م.

(٢) لقّب بـ«أبي قابوس». آخر ملوك بني لخم في الحيرة (نحو: ٥٨٠ ـ ٦٠٢م). كان مسيحياً، وأخته هند راهبة. كان النابغة الذبياني شاعره أوكل إليه هورمز الرابع ملك فارس، حراسة الحدود، بين فارس وبلاد الروم.

(٣) ألحف: ألحّ ولجّ.

(٤) عبد الملك بن قُرَيب، عالم لغوي وراوية ولد في البصرة. من مشاهير لغويّي العرب. عهد إليه هارون الرشيد بتعليم الأمين. من مؤلّفاته «الأصمعيات». لولاه لكنا فقدنا الكثير من دواوين العرب وأشعارهم. توفي سنة ٢١٦هـ/ ٨٢٨م.

(٥) المستعجل.

الحَسودُ مسروراً، ولا الملول[١] ذا إخْوانٍ، ولا الحَريصُ[٢] حُرًا، ولا الشَّرِهُ غنياً.

وقال: سمعتُ أعرابياً يقول: أقبحُ أعمال المقتدرين الانتقامُ، وما استُنبِطَ الصوابُ بمثلِ المُشَاورةِ، ولا اكتُسِبَتْ البغضاءُ بمثْلِ الكِبْرِ.

* * *

وقال العُتبيُّ[٣]: سمعتُ أعرابياً يقول لآخر: إنَّ فلاناً وإنْ خفَّ عليكَ، فإنَّ عقاربَه تَسْري إليكَ، فإنْ لم تجعلْه عدوًا في علانيتِك، فلا تجعلْهُ صديقاً في سريرتك.

وقيلَ لامرئ القيس[٤]: ما السرورُ؟ فقال: بيضاءُ رُعْبُوبَةٌ[٥]، بالطِّيب مَشْبوبة[٦]، بالشحم مَكْروبة[٧].

وقيل للأعشى[٨]: ما السرورُ؟ فقال: صَهْباءُ[٩] صافية، تَمزِجُها غانية[١٠]، مِن صَوْبِ غاديةٍ.

وقيل لطرفة[١١]: ما السرور؟ فقال: مَطْعمٌ شهيٌّ، ومشْرَبٌ رَويٌّ، وملْبَسٌ دَفيٌّ، ومركب وَطِيٌّ.

وقيلَ لبعض الأعراب: ما السرورُ؟ فقال: الكِفايةُ في الأوطان، والجلوسُ مع الإخْوان[١٢].

وقال الحجاج[١٣] لحزيم الناعم: ما السرورُ؟ فقال: الأَمْنُ، فإني رأيتُ الخائفَ لا

---

(١) المتضجّر.

(٢) البخيل.

(٣) أبو النصر محمد: مؤرّخ حجّة في معرفة أخبار الدولة الغزنوية. له «التاريخ اليمني» وهو تاريخ السلطان يمين الدولة محمد بن سبكتكين. توفي سنة ٤٢٨هـ/١٠٣٦م.

(٤) ولد في نجد وتوفي في أنقرة. صاحب المعلّقة الشهيرة التي مطلعها:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدَّخولِ فحوملِ

شاعر جاهلي حاول استعادة الملك، بعد مقتل أبيه، فلم يفلح، لقب «بذي القروح». طبع ديوانه في باريس، لأوّل مرّة، سنة ١٨٧٧.

(٥) ناعمة.

(٦) مضمّخة: معطّرة، مطيّبة.

(٧) ممتلئة: مكتنزة.

(٨) الأعشى لقب أطلق على اثنين وعشرين شاعراً. أكبرهم أعشى قيس. طَبَع دواوينهم المستشرقُ رودولف هيير (Geyer) ملحقاً لديوان الأعشى الأكبر، بعنوان «الصبح المنير في شعر أبي بصير» فيينا (١٩٢٨).

(٩) خمر.

(١٠) جارية أو امرأة جميلة. سميت كذلك لأنها تَغْنى بجمالها الطبيعي عن التجمل.

(١١) شاعر جاهلي (٥٤٣م؟ - ٥٦٩م؟) ولد في البحرين. من أصحاب المعلّقات. بدّد ثروته على اللذّة. قتله عمرو بن هند، ملك الحيرة.

(١٢) وزاد بعضهم: والسلامة في الأبدان والأديان.

(١٣) الحجّاج بن يوسف ولد في الطائف. ولّاه عبد الملك بن مروان على الحجاز، فرمى مكّة بالمنجنيق، =

عيشَ له؟ قال: زدْني. قال: الغِنىٰ، فإني رأيتُ الفقيرَ لا عيشَ له. قال زدْني: قال الصحّةُ، فإني رأيتُ المريضَ لا عيشَ له. قال زدْني. قال: لا أجد مزيداً.

وقيل للحُصَين بنِ المنذر: ما السرورُ؟ قال اللواءُ المنشورُ: والجلوسُ على السرير، والسلام عليكَ أيها الأمير.

وقيل للحَسَن بن سَهل[١]: ما السرور؟ فقال: توقيعٌ جائز، وأمرٌ نافذ.

وقيل لعبد الله بن الأهتم[٢]: ما السرور؟ فقال رفعُ الأولياء، ووضعُ الأعداء؛ وطولُ البقاء، مع الصحة والنَّماء.

وقيل لآخر: ما السرور؟ فقال: إقبال الزمانِ، وعِزُّ السلطانِ، وكثرةُ الإخوان.

وقيل لضرار بن عمرو[٣]: ما السرور؟ فقال: إقام الحُجَّة واتضاح الشُّبْهة.

* * *

وقال أعرابيٌّ لآخر: إصْحَبْ منَ يتناسىٰ معروفَه عندك، ويتذكَّرُ حقوقَك عليه.

وقال بعضُ الحكماء: لا يكونُ الرجلُ عاقلاً، حتى يكونَ عنده تعنيفُ[٤] الناصحِ ألطَفَ موقعاً من مَلَقِ[٥] الكاشح[٦].

وقال آخر: أُطْلُبْ في الدنيا العلمَ والمالَ، تَحُزْ الرياسةَ على الناس، لأنهم بين خاص وعام، فالخاصة تُفضِّلك بما تَعلم، والعامة تُفضِّلك بما تَملِكُ.

* * *

وقال هارون الرشيد[٧] لإسماعيل بن صبيح: إياكَ والدالَّةَ[٨] فإنها تُفْسد الحُرْمَةَ، وتُنقِصُ الذمّة، ومنها أُتيَ البرامكةُ.

= وقتل مصعب بن الزبير، تولّى على العراق، فأخمد الفتن بحزم وقسوة. كان خطيباً مفوّهاً. وتوفي سنة ١٠٠هـ/ ٧١٨م.

(١) من ولاة المأمون كان من عبّاد النار، ثمّ أسلم. تولّى إدارة بيت المال وحكم جزيرة العرب، وبلاد العراق. قمع الفتن في الكوفة، وبغداد، وواسط، التي ثارت عليه لكونه فارسيّاً. زوّج ابنته من المأمون. أحسن إلى العلماء والشعراء، توفي في سرخس نحو ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م.

(٢) لم نجده.

(٣) ضرار بن عمرو الغطفاني، من كبار قضاة المعتزلة وقبل من المُجبِرة. صنف نحو ثلاثين كتاباً. توفي نحو ١٩٠هـ/ ٨٠٥م.

(٤) توبيخ.

(٥) من التملّق، أي التزلف والتقرّب.

(٦) العاذل والحاسد.

(٧) أعظم الخلفاء العبّاسيين. ولد في الريّ، وتوفّي في طوس. استوزر البرامكة، ثم قتلهم، غلب نقفورس ملك الروم. حالف شارلمان ملك الإفرنج. غمر الرعيّة بالإحسان والعدل. وتوفي سنة ١٩٤هـ/ ٨٠٩م.

(٨) الدالّة: ما تُدِلُّ به (تمارسه من جرأة في السلوك والمحبة) على حميمك وصديقك. والدالّة: الجرأة..

وقال: ما في الدنيا ابنٌ يَستوي عليه ثوبُ أَبيه إلا تمنَّى موته.

وقال المنتصر بالله[١]: واللَّهِ ما ذلَّ ذو حقٍّ ولو اتفقَ العالَمُ عليه؛ ولا عزَّ ذو باطلٍ ولو طلَع القمرُ في جبينه.

* * *

وقال آخر: حركةُ الإقبال بطيئةٌ وحركةُ الإدبار سريعةٌ، لأن الْمُقبلَ كالصاعدِ مرقاةً[٢]، والمدْبرَ كالمقذوف به من موضع عالٍ.

وقال آخر: أحقُّ الأشياءِ بالصبر عليه ما لَيْسَ إلى دفعه سبيل، ولا على تغييره قدرة.

* * *

وقيل لبعضهم: ما الْحَزمُ؟ فقال: سوءُ الظنِّ بالناس. قيل: فما الصواب؟ قال المشورة. قيل: فما الاحتياط؟ قال: الاقتصاد في الحب والبغض. قيل: فما الذي يجمعُ القلوبَ على المودة؟ قال: كفٌّ بذول[٣]، وبِشْرٌ[٤] جميل.

وقيل لآخر: متى يُحْمَدُ الكذبُ؟ قال: إذا جمعَ به بين متقاطعين. قيل: فمتى يُذمُّ الصدقُ؟ قال: إذا كان غيبة. قيل: فمتى يكون الصمتُ خيراً من النطق؟ قال عند المِراء[٥].

وسئل بعضُهم: عن أعدل الناس، وأكْيس الناس، وأحمق الناس، وأسعد الناس، وأشقى الناس. فقال: أعدلُ الناسِ من أنصفَ مِنْ نفسه، وأجْورُ[٦] الناس من ظُلِم لغيره، وأكْيَسُ الناس من أخذَ أُهبة الأمرِ قَبْل نزوله، وأحمقُ الناس من باع آخِرتَه بدنيا غيره، وأسعدُ الناس من خُتِم له في آخرته بخير، وأشقى الناس من اجتمعَ عليه فَقرُ الدنيا وعذابُ الآخرةِ.

* * *

وعرضَ مَروانُ الحِمار[٧] جنْدَه: فكان سبعين ألفَ عربيٍّ على سبعين ألفَ عربي. فقال: إذا انقضتْ المدةُ، فما تَنفعُ العُدَّةُ.

---

(١) الخليفة العبّاسي الحادي عشر واسمه: محمد بن جعفر قتل أباه ومات مسموماً بعد ستة أشهر من مبايعته. سنة ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م.

(٢) درجة سلّم. (٣) كريم.

(٤) بشاشة.

(٥) الجدال على شك وريبة (لسان العرب: [مرا]).

(٦) أظلم.

(٧) مروان بن محمد بن مروان الحكم، آخر خلفاء بني أمية، لُقّب بالحمار، أو بحمار الجزيرة، لجرأته في الحروب، كما لقب بمروان الجعدي نسبة إلى مؤدبه: الجعد بن درهم توفي سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م.

وكتَبَ إلى **الخارجي**(١): إني وإياكَ كالحَجَر والزجاجة، إن وقعَ عليها رَضَّها(٢)، وإن وقعتْ عليه قضها(٣).

وفي كتاب الفرس: إذا أردتَ أن تسألَ فاسأل مَن كان في غنًى ثم افتقر؛ فإنَّ عِزَّ الغنىٰ يَبقىٰ في قلبه أربعين سنةً، ولا تسألْ مَنْ كان في فَقْرٍ ثم استَغْنىٰ؛ فإن ذُلَّ الفقر يَبقىٰ في قلبه أربعينَ سنةً.

وقال آخر: إياكَ مَسْألَةَ مَنْ يسألُ الناسَ، فإنَّ الأَمرَ الذي به يَطْلبُ ما في أيديهم، به يَمنع ما في يَدَيْه منهم.

* * *

وقال بعضُهم **لأبي العيناء**(٤) ـ ورآه ضعيفاً من الكِبَر ـ كيف أصبحتَ أبا العيناء؟ فقال: أصبحتُ في الداء الذي يتمناه الناسُ.

وقال آخر: الخوفُ شيء ليس لأحدٍ من الخلْق استقامةً إلا به، إما ذو دِيْن فيخافُ العقابَ، وإمَّا ذو كَرمٍ فيخافُ العارَ، وإما ذو عقلٍ فيخافُ التَّبعة(٥).

وقال **عامر بن عبد القيس**(٦): إذا خَرَجتِ الكلمةُ من القلب دخلتْ في القلب، وإذا خرجتْ من اللسان لم تُجاوزِ الآذانَ.

وقال حكيم لآخر: يا أخي كيف أصبحت؟ فقال: أصبحتُ وبنا من نِعَم اللَّهِ ما لا نُحصيه مع كثيرٍ ما نَعْصيه، فما نَدري أيُّهما نَشكُرُ؛ جَميلُ ما يُنشَرُ أو قبيحُ ما يُسْتَر.

وقال آخر: لا يكون البكاءُ إلا مع فضلِ قوةٍ، فإذا اشتدَّ الحزنُ، ذهبَ البكاءُ.

وقال آخر: كثرةُ ذنوب الصديق تَمْحَقُ(٧) السرورَ به، وتُسلِّطُ الهمَّ عليه.

وقال **إسحاق بن إبراهيم المصعبي**(٨): كيمياءُ الملوك في الغارة ولا تَحْسُنُ بهم التجارةُ.

---

(١) هو المختار بن عوف، ثائر، فاتك وخطيب وأحد كبار دعاة الخروج على حكم مروان بن محمد الذي قتله سنة ١٣٠هـ/٧٤٨م.

(٢) دقّها كسرها.

(٣) دقّها وفتّها.

(٤) محمّد بن القاسم الهاشمي ولد في الأهواز نشأ وتوفي في البصرة. أديب وشاعر رويت عنه الأخبار في «الأغاني» توفي سنة ٢٨٣هـ/٨٩٦م.

(٥) التَّبِعَة: ما يترتّب على العمل من خير أو شرّ.

(٦) عامر بن عبد الله بن عبد قيس العنبري. تابعيّ من أهل البصرة. لقي أبا موسى الأشعري حين قدم البصرة وتعلّم عليه النسك والتعبد. مات ببيت المقدس سنة ٥٥هـ/٦٧٥م.

(٧) تمحق: تبطل وتمحو.

(٨) إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، ابن عم طاهر بن الحسين..ولي شرطة بغداد، أيام المأمون إلى=

وقال قابوس بن وشمكير[١]: لذةُ الملوكُ فيما لا يُشارِكُهم فيه العامةُ من معالي الأمورِ.

* * *

وقال أبو بكر الخوارزمي[٢]: صغيرُ البِرِّ ألطفُ وأطيبُ، كما أنَّ قليلَ الماء أشهى وأعذبُ.

وقال: مَن طلبَ المنيةَ هربتْ منه كلَّ الهرَبِ، ومَنْ هربَ منها طلَبَتْه كلَّ الطلَبِ.

وقال: الحدَّة والندامةُ فَرَسَا رِهانٍ، والجُودُ والشجاعةُ شريكا عِنَانٍ، والتواني والخَيبةُ رضيعا لِبَانٍ.

* * *

وقيل لشريك بن عبد الله[٣]: إنَّ معاويةَ كان حليماً. فقال: كلا، لو كان حليماً ما سفَّهَ[٤] الحقَّ ولا قاتلَ علياً.

وقال جعفر الصادق[٥] رضي الله عنه: إياكم ومُلَاحاةِ[٦] الشعراء، فإنهم يضنُّون بالمديح ويَجودون بالهجاء.

وقيل لبعضهم: بِمَ أدركتَ هذا العلمَ؟ قال: بقلبٍ ذكيٍّ وأبٍ غنيٍّ.

وكان بعضُ الحكماءِ: يُكثِرُ الاستماعَ، ويُقِلُّ الكلامَ. فسُئل عن ذلك؟ فقال: إن الله تعالى خَلقَ للإنسان أُذنَيْن ولساناً واحداً، ليكون الذي يَسمعُه أكثرَ من الذي يَتكلَّمُ به.

وقال آخر: لو دامتْ صحةُ الإنسان هَلَكَ بَطَراً[٧]، ولو دام صوابُه هلَكَ عَجَباً، ولو دام غِناهُ هَلَكَ طُغْياناً.

= المتوكل. كان جواداً ممدَّحاً، وافر العقل مات سنة ٢٣٥هـ. «الوافي بالوفيات»، للصفدي، بعناية محمد يوسف نجم، فرانز شتاينر فسبادن سنة ١٩٧١. جـ٨/ ٣٩٦ ـ ٣٩٧.

(١) قابوس بن وشمكير، أمير جرجان. خلعه عضد الدولة ومات بجرجان. له رسائل أدبية بليغة وشعر بالعربية والفارسية، توفي سنة ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م.

(٢) كاتب وشاعر، أقام في الشام، وفي نواحي حلب. خلّد اسمه بمجموعة رسائل مسجّعة، وفيها المدائح، والمراثي، والأهاجي، توفي سنة ٣٨٣هـ/ ٩٩٣م.

(٣) شريك بن عبد الله بن الحارث النخعي الكوفي، عالم بالحديث فقيه. ولّاه المنصور على الكوفة، فكان عادلاً. توفي بالكوفة سنة ١٧٧هـ/ ٧٩٤م.

(٤) جعله سفيهاً، أي جاهلاً طائشاً.

(٥) سبقت الإشارة إليه.

(٦) تبادلُ الأوصاف المليحة ذات الوقع الحسن (لسان العرب ٢/ ٦٠١ [ملح]).

(٧) عجرفة وسوء تقدير.

وقال آخَر: لا ينبغي للفاضل من الرجال أن يُخاطِبَ ذوي النقْص، كما لا ينبغي للصاحي أن يُكلِّم السُّكَارىٰ.

وقال آخر: ما سُرِرْتُ وأنا والٍ، ولا اغْتَمَمْتُ وأنا معزولٌ، لأني في العَزْل أرجو الولايةَ، وفي الولاية أتوقعُ العَزْلَ.

* * *

وقال دارا[١] الأكبر: مَثَلُ العدوِّ الضاحك إليكَ، مَثَلُ الحنظلةِ[٢] النَّضِرةِ أوراقُها القاتلِ مذاقُها.

وقال ابن المعتز[٣]: أهلُ الدنيا كَصُوَرٍ في صحيفة إذا طُوِيَ بعضُها نُشِرَ بَعضٌ.

وقال: أهلُ الدنيا كراكبِ سفينةٍ يُسَارُ بهمْ وهُمْ نِيامٌ.

وقال: ما أَبْيَنَ وجوهَ الخيرِ والشرِّ في مرآة العقل، إذا لم يَصُدَّها الهوىٰ.

* * *

وقال آخر: دعْ الكَذِبَ حيثُ ترىٰ أنه يَنفعُك، فإنَّه يَضرُّك. واستعملْ الصدقَ حيث تَرَىٰ أنه يضرك، فإنه يَنْفعُك.

وقال آخر: عقوبةُ الغَضب تبدأُ بالغَضْبان، فيَقْبُحُ وجهُهُ، وَينْثلمُ[٤] دِينُه، ويَعْجَلُ نَدَمُه.

* * *

وقال ابن المقفع[٥]: إذا حاجَجْتَ فلا تَغضَبْ، فإنَّ الغضبَ يَقطعُ عنكَ الحجة، ويُظهِرُ عليك الخَصْمَ.

وَوُجِدَ على صنم مكتوبٌ: حَرامٌ على النفس الخسيسة[٦] أن تَخْرُجَ من هذه الدنيا حتى تُسيء إلى مَنْ أحسنَ إليها.

وقال المسيحُ عليه السلام: عالجتُ الأكْمهَ[٧] والأبرصَ[٨] فأبْرأْتُهما[٩]، وأعياني علاجُ الأحمقِ.

---

(١) سبقت الإشارة إليه.

(٢) ثمرة الحنظل، والحنظل نبات كالبطّيخ، يضرب المثل بمرارة ثمره.

(٣) سبقت الإشارة إليه.

(٤) ثلم: حفر، شقّ. وينثلم دينه: يتصدّع ويضعف.

(٥) مؤلّف عربي من أصل فارسي، نقل من البهلوية إلى العربيّة كتاب «كليلة ودمنة» توفي سنة ١٠٩هـ/ ٧٢٧م.

(٦) الحقيرة، الدنيئة.

(٧) الأعمى.

(٨) المصاب بداء البرص وهو بياض في الجسد لعلّة.

(٩) شفيتُهما.

وقال آخرُ: جَزَعُكَ في مصيبة أخيكَ، أجملُ من صَبْرِك. وصبْرُكَ في مصيبتِكَ، أَجملُ مِن جَزعك.

وقال آخر: موقِعُ الشكرِ من النِّعَم، موقعُ القِرىٰ[1] من الضيف، إنْ وجَدَه لم يَرُمْ[2]، وإن فقَدَه لم يَقُمْ.

وقال آخر: الإنسانُ الخَيِّرُ خيرٌ من الحيوانِ، والإنسانُ الشرير شرٌّ من جميع الحيوان.

وقال آخر: لِسانُ العِيَان[3] أنطقُ من لسانِ البَيَانِ، وشاهدُ الأحوال أَعدَلُ من شاهد الأَقوال.

وقال آخر: إذا دَهِمَنا أمرٌ، تَصَوَّرناه في أَسْوأ حالاته؛ فما نَقَصَ منها كان سروراً مُعجلاً.

وقال آخر: الولدُ رَيْحانَتُكَ[4] سَبْعاً، وخادِمُك سَبْعاً، ثم هو شريكك أو عدُوُّكَ.

وكان يقالُ: لكل جديدٍ لذَّةٌ؛ فلذَّة الثوبِ يومٌ، ولذةُ المركَبِ جمعةٌ، ولذةُ المرأة شهرٌ، ولذةُ الدار أبدُ الأبَد، كلما دخلْتَها سرِرْتَ بها.

ودَعَت أَعرابيةٌ لِرجلٍ فقالت: كبت[5] الله على عَدُوٍّ لكَ إلا نفسَكَ.

وقال آخر: ما أَعطىٰ الإقبالُ أحداً شيئاً إلا سلَبهُ من حُسْنِ الاستعبادِ أكثرَ منه.

وقال آخر: رُبَّ حياةٍ سَبَبُها التعرضُ للوفاة، ووفاةٍ سَبَبُها طلبُ الحياةِ.

---

(١) ما يقدّم للضّيف.

(٢) رام: هنا، طلبَ.

(٣) المُشاهِد الرّائي بالعين المجرّدة.

(٤) موضعُ راحتك وسعادتك.

(٥) ردّه بغيظه.

فصلٌ

في الملوك وذكْرِ أحوالهم

قال أفلاطون[١]: الملِكُ كالنهر الأعظم، تُستمَدُّ منه الأنهارُ الصغارُ. فإنْ كان عذباً عذُبَتْ، وإن كان مِلْحاً مَلُحَتْ.

وقال أبو حازم الأعرج: السلطان سُوقٌ فما نَفَقَ فيه جُلِبَ إليه.

وقال أفلاطون: ينبغي للمَلِك أن لا يَطْلُبَ المحبةَ من أصحابه، إلّا بعد تمكُّن هَيبتِه من نُفوسِهِمْ، فإنه يَجِدُها بأيْسَرِ مؤونةٍ[٢]، فأمَّا إن طلَبها قبلَ أن يَستشعِروا هيبتَه لم يَجتمعوا عليه، ولم يضبِطْهم بها.

وقال: إذا بَغى[٣] الرئيسُ ضيّع الفرصةَ، وترفَّع عن الحيلة، وأَنِفَ من التحرُّز، وظنَّ أنه يَكتفي بنفسه؛ فعند ذلك يَصِلُ إليه مَنْ سدَّدَ نحوهُ، فيَجدُ عورته بارزةً، وَمقاتِلَهُ باديةً.

وقال آخر: إذا رغبَتْ[٤] الملوكُ عن العدل، رَغبتْ الرعيةُ عن الطاعة.

وقال آخر: يَضطَغِنُ على السلطانِ رَجُلانِ، رجلٌ أَحْسَنَ مع مُحسنين فأُثيبوا وحُرِمَ، ورجلٌ أساءَ مع مُسيئين فعُوقِبَ وعُفيَ عنهم.

* * *

وقال بهرام جور: لا شيءَ أَضَرُّ بالملوك مِن استخبار مَنْ لا يُصَدِّقُ أَن خبَّرَ، واستكفاء من لا يَنصحُ إن دبَّرَ.

وقال آخر: يَنبغي للملك أَن لا يُضيعَ التثبُّتَ عندما يقولُ، وعندما يفعل؛ فإنَّ الرجوع عن الصمت، أَحسنُ من الرجوع عَن الكلام، والعطيةَ بَعْد المَنْع أجملُ من المَنْع بعد العطيةِ، والإقدامَ على العمل بَعْدَ التأنِّي فيه، خيرٌ من الإمساكِ عنه بعدَ الإقدام عليه.

* * *

(١) (٤٣٠ ـ ٣٤٧ق. م) من مشاهير فلاسفة اليونان، تلميذ سقراط ومعلّم أرسطاطاليس. من مؤلفاته «الجمهورية». وقد عرّفنا به في مطلع الكتاب.

(٢) ما يدّخر من القوت.

(٣) ظلم ـ جار.

(٤) رغب عن الشيء: تركه.

وقال ابن المقفع[١]: ليس للمَلك أنْ يَغْضَبَ، لأنَّ القدرةَ مِن وراءِ حاجته؛ وليس له أن يَكْذِبَ، لأن أحداً لا يَقْدِرُ على إكراهه على غير ما يريد؛ وليس له أن يَغُلَّ[٢]، لأنه أقلُّ الناس عُذْراً في خيفةِ الفقر؛ وليس له أن يكون حقوداً، لأنَّ خطَرَه قد عظُمَ عن المجازاةِ[٣].

* * *

وكان كسرى[٤] يقول: عامِلوا الأحرارَ بمَحْضِ[٥] المودَّة، وعاملوا العامَّةَ بالرغبة والرهبة، وعامِلوا السَّفَلَةَ[٦] بالمخافة مَحْضاً.

وقال: إذا كَثُرَ مالُ الملكِ مما يَأْخُذُ مِن رعيَّته، كان كَمن يَعْمُرُ سطْحَ بيته مما يَقْلَعهُ من أساس بنائه.

وقال آخر: لا يَنبغي للمَلكِ أن يكون كَذَّاباً، ولا بَخيلاً، ولا حَسُوداً، ولا جَباناً؛ فإنه إنْ كان كذَّاباً ثُمَّ وعَدَ خيراً لم يُرْجَ، أو أَوْعَدَ شرًا لم يُخْشَ. وإنْ كان بخيلاً لم يُناصِحْهُ أَحدٌ، ولا يَصْلُحُ المُلْكُ إلا بالمناصحة[٧]. وإن كان حَسوداً لم يُشَرِّف أحداً، ولا يَصْلُح الناسُ إلا بأشرافهم. وإن كان جباناً اجترأ عليه عدوُّه، وضاعت ثُغورُه.

* * *

وقال عمر بن الخطاب[٨] رضي الله عنه: لا يصلح لهذا الأمر إلا الليِّن في غير ضعف، القويُّ من غير عنف.

وقال معاويةُ بنُ أبي سفيان[٩]: لا أَضعُ سَيفي حيثُ يَكْفيني سوطي، ولا أَضعُ سوطي حيثُ يكفيني لساني، ولو أنَّ بيني وبين الناس شعرةً ما انقطعتْ أبداً. قيل له: وكيفَ ذاكَ؟ قال: كنتُ إذا جبَذُوها أرخَيْتُها، وإذا أَرخَوْها جبَذْتُها[١٠].

وقال عمرو ابن العاص[١١]: لا سلطانَ إلا برجالٍ، ولا رجالَ إلا بمالٍ، ولا مالَ إلا بعِمَارَةٍ، ولا عِمَارَةَ إلا بعدلٍ.

---

(١) سبقت الإشارة إليه.
(٢) يغلّ: يقتصد، لدرجة الشحّ.
(٣) المكافأة أو المعاقبة.
(٤) كسرى: لقبٌ لكل ملك من ملوك الفرس القدماء.
(٥) بخالص.
(٦) ج: سافل وهو النذل.
(٧) تبادل النصائح والوعظ والرأي السديد.
(٨) ثاني الخلفاء الراشدين. زوّج ابنته حفصة من النبيّ ﷺ. في أيامه نشأت المؤسّسات الاجتماعيّة الكبرى، منها «الديوان» لدفع رواتب الجيش، اتّخذ لقب «أمير المؤمنين» وعرف بحكمته وحنكته ورأيه السديد. قتل ٢٤هـ/ ٦٤٤م.
(٩) أول خلفاء بني أمية. وكان والياً على الشام، ثم وليَ الخلافة بعد مقتل علي بن أبي طالب ومات سنة ٦٠هـ/ ٦٨٠م.
(١٠) الجبذ: الجذب، وليست مقلوبة بل هي لغة صحيحة.
(١١) قرشيّ، أسلم في السنة الثامنة للهجرة الشريفة، من أشهر الفاتحين. أسّس مدينة الفسطاط في مصر. =

وقال بعضُ الحكماء: إذا ساوى الوزيرُ الملكَ في زِيِّه ومالِه وطاعةِ الناسِ له، فلْيَصْرَعْه، وإلّا فليعلَمْ أنه المصروعُ.

وقال عبدُ الملك بن مروان[١] لِبَنِيهِ: كلُّكم ترشحُ نفسُه لهذا الأمر، ولا يَصْلُحُ له منكم، إلّا من كان له سيفٌ مَسْلولٌ، ومالٌ مَبْذولٌ، وعَدْلٌ تَطمئنُّ إليه القلوبُ.

وقال لابنه الوليدِ: يا بنيّ: إعلمْ أنه ليس بين السلطانِ وبينَ أنْ يملكَ الرعيَّةَ أو تَمْلِكَهُ، إلّا حَزْمٌ أوْ تَوانٍ[٢].

وقال آخر: فضْلُ الملوكِ في الإعطاء، وشَرَفُهم في العفو، وعِزُّهم في العَدْل.

وقيل لبعض الملوك ـ وقد بلغَ في القَدْر والسلطان ما لم يَبلُغْهُ أحدٌ من ملوك زمانِه ـ: ما الذي بلغَ بكَ هذه المنزلةَ؟ قال: عَفْوي عند قُدْرتي، وليني بعد شِدَّتي، وبَذْلي الإنصافَ ولو مِنْ نَفْسي، واتِّقائي في الحُبِّ والبغْض مكانَ الاستبدادِ.

وقال النبي ﷺ: «عَدْلُ ساعةٍ في حكومة، خَيرٌ مِن عبادةِ ستِّينَ سنةً».

وقال بعضُ الحكماء: إمامٌ عادلٌ خيرٌ مِن مطَرٍ وابلٍ[٣]، وإمامٌ غَشُومٌ[٤] شرٌّ من فتنةٍ تَدُوم.

وقال آخر: مَن شاركَ السلطانَ في عِزِّ الدنيا، شارَكَه في ذُلِّ الآخِرة.

وقال آخر: إذا قال السلطانُ لغِلْمانه هاتُوا، فقد قال لهم: خُذُوا.

وقال آخَر: مَثَلُ أصحابِ السلطان، مثَلُ قومٍ رَقَوا[٥] جبالاً ثم هَوَوْا منه، فكان أقربَهم من التلفِ[٦] أبعدُهُمْ في المَرْقىٰ.

وقال أبو مسلم الخراساني[٧]: خاطرَ مَنْ ركِبَ البحرَ، وأشدُّ منه مخاطرةً مَن داخَلَ الملوكَ.

= ناصر معاوية على علي في صفّين، ثمّ ارتأى بالتحكّم بينهما، فأوقف القتال، وفاز معاوية بالخلافة، فأعاد عمرو بن العاص إلى مصر. توفي سنة ٤٣هـ/ ٦٦٣م.

(١) خليفة أموي. أخضع الشام والعراق والحجاز، أرسل جيوشه إلى آسيا الصغرى وإلى أفريقيا. عزل غير المسلمين عن المناصب. عمّم استعمال اللغة العربيّة في البلاد الإسلاميّة وصكّ النقود الذهبيّة والفضيّة. نظّم سير البريد، وبنى قبة الصخرة، في المسجد الأقصى. وتوفي سنة ٩٧هـ/ ٧١٥م.

(٢) تقصير وفتور.

(٣) غزير.

(٤) ظلوم.

(٥) تسلقوا.

(٦) الهلاك.

(٧) عبد الرحمن بن مسلم، قائد من قواد الثورة العباسية على دولة بني أمية، قتله أبو جعفر المنصور مخافة بطشه سنة ١٣٧هـ/ ٧٥٥ وعمره سبعة وثلاثون عاماً.

فـصـل

فيما يجب على من يَصْحَب السلطانَ

قال الشعبيُّ، قال لي عبد الله بن عباس [١]، قال لي أبي: يا بنيَّ: إني أرىٰ هذا الرجلَ ـ يَعني عمرَ بن الخطاب ـ يُقَدِّمُكَ على الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ، وإني أُوصيكَ بِخلالٍ[٢] أربع: لا تُفْشِيَنَّ له سرًّا، ولا تُجْرِيَنَّ عليكَ كَذِباً، ولا تَطْوِيَنَّ عليه نَصيحةً، ولا تغتابَنَّ عندَه أحداً. قال الشعبي: فقلتُ لابن عباس: كلُّ واحدةٍ خَيرٌ مِن ألفٍ. قال: أيْ واللهِ، ومِنْ عَشْرةِ آلافٍ.

وقال بعضُ الحكماء: إذا زادكَ السلطانُ إكراماً فزِدْه إعظاماً، وإذا جعلَكَ وَلداً فاجعلْه سيِّداً، وإذا جعلكَ أخاً فاجعلْهُ والداً، وإذا جعلَكَ والداً فاجعلْهُ رَبًّا، ولا تُدْمِنِ النظرَ إليه، ولا تُكْثِرْ من الدعاء له، ولا تَتغيَّرْ له إذا سَخِطَ، ولا تَغْتَرَّ به إذا رضيَ، ولا تُلْحِفْ[٣] في مَسْألته!

وقال خالد بن صفوان[٤]: لا تكُنْ صُحْبَتُكَ للمُلوكِ إلّا بعد رياضةٍ منك لنفسكَ؛ فإن كنتَ حافظاً لِمَا وَلَّوكَ، أميناً إذا ائتمنوكَ، حَذِراً إذا قَرَّبوك، ذليلاً إذا صَرَموك[٥]، راضياً إذا أسْخَطوك[٦]، تُعلِّمهم وكأنك تَتعلَّمُ منهم، وتُؤدِّبهم وكأنكَ تتأدَّبُ بهم، وإلّا[٧] فالبُعْدُ منهم كلَّ البعدِ، والحذَرُ منهم كلَّ الحَذَر.

---

(١) عبد الله بن عباس بن المطلب الهاشمي، الحَبْر، البَحْر، ابنُ عم رسول الله ﷺ. ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات وصحب النبي ﷺ وكان ترجمان القرآن، وكان أحد الثقات القلائل في رواية الحديث النبوي، توفي سنة ٦٨هـ/ ٦٨٧م. (الوافي بالوفيات، جـ١٧ باعتناء دوروتيا كرافولسكي فسبادن. سنة ١٩٨١، ص٢٣١ ـ ٢٣٤).

(٢) خصال.

(٣) لا تُلحّ.

(٤) سبق التعريف به.

(٥) صرم: قطع، هجر.

(٦) أغضبوك وأغاظوك.

(٧) قوله: «وإلّا...» تتضمن كلاماً قبلها دلَّ عليه السياق، وهو: قُمْ بصحبتهم ورافقهم!

وقال **الفضلُ بن الربيع**(١): مَنْ كلَّمَ الملوكَ في حاجةٍ في غيرِ وَقْتِها، جُهِلَ مَقامُه وضاعَ كلامُه، وما أَشْبَهَ ذلكَ إلّا بأوقاتِ الصلاةِ التي لا تُقْبَلُ إلّا فيها.

* * *

وقال **خالد بن صفوان**: مَنْ صحِبَ السلطانَ بالنصيحة والأمانة، كان أكْثرَ عَدُوًّا ممنْ صحِبَهُ بالغِشِّ والخِيانة، لأنه يَجتمعُ على الناصح عدوُّ السلطانِ وصديقُه بالعداوة والحَسَد؛ فعدوُّ السلطان يُبْغِضُه لنصيحته، وصديقُه يُنافِسُه مرتَبَتَهُ.

* * *

وقال **أفلاطون**: إذا خدمتَ ملِكاً فلا تُطِعْه في معصية بارئكَ(٢)، فإنَّ إحسانَه إليك أفضلُ من إحسانه، وإيقاعَه بكَ أغلظُ من إيقاعه. وقال: إذا خدَمتَ حازماً فأرْضِهِ بإسخاطِ(٣) حاشيَتِه، وإذا خدمتَ عاجزاً فأسْخِطْه برضاء أتْباعه. وقال: إذا خدمتَ ملِكاً فأظهِرْ له الاستهانةَ بما فضُلْتَ به عليه، وأكثِرِ التعجُّبَ مما فَضُلَ به عليك.

وقال **عبدُ الله بنُ عمر**(٤): إذا كان الإمامُ عادلاً، فله الأَجْرُ وعليك الشكْرُ، وإذا كان جائراً(٥)، فعليهِ الوِزْرُ(٦) وعليكَ الصبْرُ.

وقال آخر: إن استطعْتَ أَن ترىٰ مَنْ خَدَمْتَه غِنَاك عنه، ليس بأن تُوهِمَه كَثْرةَ الجِدَةِ، ولكنْ بأنْ تُعلمه بأنَّ قليلَكَ يُقيم بأحوالِكَ، كما يُقيمُ كَثيرُهُ بأحوالِهِ، فافْعل!

وقال آخر: إصْحَبِ السلطانَ بثلاثٍ؛ بإعمال الحَذَرِ، ورفْضِ الدالَّة(٧)، وإحراز الحُجَّة!

* * *

وقال **أفلاطون**: لا تُشِيرَنَّ على المَلك في أحدٍ بما تَكْرَهُ أن يَعْمَلَه في أمركَ إذا حلَلْتَ مَحلَّه.

وقال آخر: أُخدُمْ الجاهلَ من الرؤساء، باتّباعِ رِضَاه، والعاقلَ بإحراز الحجَّة عليه أَوْ لَهُ.

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) خالقك.

(٣) إغضاب.

(٤) عبد الله بن عمر بن الخطاب، صاحب رسول الله ﷺ. روى عن النبي ﷺ وعن أبي بكر وعمر، وأفتى في الإسلام ستين سنة، وتوفي سنة ٧٣هـ/ ٦٩٢م (الوافي بالوفيات جـ١٨/ ص٣٦٢ وفيه مراجع ومصادر كثيرة عن ترجمته).

(٥) ظالماً.

(٦) التبِعة الثقيلة.

(٧) الإفراط في الصحبة لدرجة امّحاء الحدود، والتجرُّؤ في السلوك والمخاطبة.

فصل

في ذمِّ الحسد

قال أميرُ المؤمنين عليّ(١) رضي اللّهُ عنه: لا راحةَ لحسود، ولا أخاً لِمَلِكٍ، ولا مُحِبَّ لِسيِّء الخُلُق.

وقال آخر: الحاسِدُ يَسْعىٰ على من أنعمَ عليه، ويَبْغي الغوائلَ لمن أحْسَنَ إليه.

وقال آخَر: الحسودُ عدوٌّ مُهينٌ، لا يُدرِك وطَرَهُ إلا بالتمني.

وقال بعضُهم: الحَسَدُ أوّلُ ذَنبٍ عُصِيَ الله به في السماءِ، وأوّلُ ذَنبٍ عُصِيَ به في الأرض، فأما في السماء فَحسَدُ إبليسَ لآدمَ، وأمّا في الأرض فحسَدُ قابيلَ هابيلَ(٢).

وقال الحَسَن البصري(٣): ما رأيتُ ظالماً أشْبَهَ بمظلومٍ، من حاسِدٍ. نَفَسٌ دائم، وحزنٌ لازم، وعَبْرةٌ لا تَنْفَدُ.

وقال معاوية(٤): كل الناس أقدَرُ على رِضاهم، إلّا حاسِدُ نِعمةٍ، فإنه لا يُرضيه إلّا زَوالُها.

* * *

وقال عمرو بنُ العاص(٥): ما بَلغني عن أحَدٍ شَنَآنٌ(٦) قطُّ، إلا سَلَلْتُ سخيمةَ قلبه بجُهْدي، إلا حاسدَ النعمة فإنه لا يَرْضىٰ إلّا بزَوالها، فَجَدعَ اللّهُ أنفَهُ!

---

(١) ابن عمّ النبيّ ﷺ وزوج ابنته فاطمة. رزق منها الحسن والحسين. طالب بالخلافة بعد مقتل عثمان بن عفّان، فانقسم المسلمون، وتحاربوا في وقعة «الجمل». آلت الخلافة إلى معاوية، بعد وقعة «صفين». لم يرضَ بذلك أصحاب علي، فثبتوا على مبايعته. وبعد مقتله في الكوفة سنة ٤١هـ/ ٦٦١م، بايعوا ابنه الحسن.

(٢) ولد آدم الأوّل من حواء. قَتَلَ قابيلُ هابيلَ حسداً، لأن الرب قبلَ تقْدمتَه ولم يقبل تقدمةَ أخيه.

(٣) ولد في المدينة سنة ٢٢هـ/ ٦٢٤م، ونشأ في وادي القرى، ثم استقرّ في البصرة، وفيها توفّي سنة ١١٠هـ/٧٢٨م. كان ورعاً تقيّاً؛ وقد سبقت ترجمته.

(٤) سبقت الإشارة إليه.

(٥) سبقت الإشارة إليه.

(٦) البغض. والسخيمة: الحقد.

وقال آخر: الحاسدُ يُظهرِ وُدَّه في اللقاء، ويُبْغضه في المَغيب، واسمُهُ صديقٌ، ومعناهُ عَدُوٌّ.

* * *

ووُجِدَ في كتابِ لجعفر بن يحيى[١]: ـ أربعةُ أسطرٍ مكتوبةٍ بالذهب ـ الرزقُ مقسومٌ، الحَريصُ محرومٌ، البخيلُ مذمومٌ، الحَسود مَغْمومٌ[٢].

ولقيَ إبليسُ نُوحاً[٣] عليه السلام. فقال: إتَّقِ الحَسَدَ والشُّحَّ، فإني حَسدْتُ آدمَ فأُخْرِجتُ من الجنة، وشَحَّ على شجرةٍ[٤] واحدةٍ فخرَجَ من الجنة.

وقيل للحسن البصري[٥] أيَحسِدُ المؤمنُ أخاه؟ فقال: أنَسِيتَ إخوةَ يوسف؟[٦].

وقال آخرُ: يكفيكَ من الحاسد أنه يُغَمُّ عند سرورِكَ.

---

(١) جعفر بن يحيى البرمكي: وزير هارون الرشيد، ونديمه، ومؤدّب المأمون، وزوج العبّاسة، أخت الرشيد. قتل سنة ١٨٨هـ/٨٠٣م، وقد عرّف به سابقاً.

(٢) مهموم.

(٣) نوح: أبو سام وحام ويافث. نجا مع عائلته من الطّوفان، على ما جاء في الكتب السماوية. ومنه تسلسل الجنس البشري الجديد.

(٤) الشُّحُ هنا الحرص؛ فإن آدم عليه السلام، حرص على الأكل من الشجرة المحرّمة.

(٥) سبقت الإشارة إليه.

(٦) يوسف: هو ابن يعقوب وراحيل، وأبو منسّى وأفرايم، على ما جاء في التّوراة. باعه إخوته حسداً إلى تجّارِ إسماعيليين. توزّر لفرعون مصر، وتولّى شؤون الإعاشة، أيّام المجاعة، وهو المعروف بـ«يوسف الحُسْن».

فصل

في ذَمِّ الغِيبة

قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[١]. وأوحىٰ اللهُ تعالى إلى موسى عليه السلام: مَنْ ماتَ تائباً من الغِيبة[٢]، فهو آخِرُ مَن يَدخلُ الجنةَ، ومن ماتَ وهو مُصِرٌّ عليها فهو أَوَّلُ مَنْ يدخلُ النارَ.

وقال رسول الله ﷺ: «ما النارُ في اليَبَسِ بِأَسْرَعَ مِن الغِيبة في حَسَنات العَبْد».

وقال عمر بن الخطاب[٣] رضي اللّهُ عنه: إياكم وذِكْرَ الناسِ، فإنه داءٌ. وعليكم بذكْرِ الله، فإنه شفاءٌ.

وسمع عليّ بْنُ الحسين [٤] رضي اللّهُ عنهما ـ رجلاً يغتابُ آخرَ ـ فقال: إياكَ والغِيبة فإنها إدَامُ[٥] كلابِ الناسِ.

وقال محمد بنُ السماك: تَجنَّبْ غِيبةَ أخيكَ لِخَصْلَتَيْنِ: أَمّا الواحدةُ، فلَعلَّكَ أَنْ تَغتابَه بشيءٍ هو فيكَ؛ وأَمّا الأُخرىٰ فاشكُرِ اللّهَ إذْ عافاكَ مما ابتلاهُ به.

واغتاب بعضُهم رجلاً عند قُتيبة بن مسلم[٦]. فقال له قتيبةُ: مَهْلاً أيها الرجلُ: فلقد تَلمَّظْتَ[٧] بمُضْغةٍ طالما عافَها الكرامُ.

وقال عمرو بن عُتبة بن أبي سفيان[٨]: كنتُ أسايِر أبي، فلمحني وقد أصغيتُ إلى

(١) بعض الآية ١٢ من سورة الحجرات. (٢) الاغتياب، بذكر سوءات الآخرين.
(٣) سبقت الإشارة إليه.
(٤) لقبه «زين العابدين» أحد الأئمة الاثني عشر. توفي نحو سنة ٩٢هـ/ ٧١٠م. وهو حفيد الإمام علي بن أبي طالب.
(٥) ما يطيّب به الطّعام، وما يستمرأ به الخبز.
(٦) قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي. أحد كبار الفاتحين في حروب الإسلام الأولى. فتح كثيراً من الأقاليم والمدائن من بلاد فارس وآسيا وأطراف الصين. توفي سنة ٩٦هـ/ ٧١٥م.
(٧) تتبع بلسانه بقيّة طعام في فمه، أو تذوّق الطعام.
(٨) لم نجد عمرو.. لكننا عرفنا والده عتبة بن أبي سفيان، من بني عبد شمس، أمير مصر لأخيه معاوية، وكان أحد خطباء بني أمية المفوّهين. توفي عتبة سنة ٤٤هـ/ ٦٦٤م.

رجلٍ يَغتابُ رجلاً. فقال لي: ويلَكَ ـ وما خاطَبَني بها قبلَها ولا بَعْدها ـ إياكَ واستماعَ الغِيبةِ! نزِّهْ سَمْعَكَ عن الخَنا[١]، كما تُنزِّهُ لسانَكَ عن البَذاء[٢]؛ فإنَّ السامعَ شريكُ القائلِ.

ومرَّ محمد بن سيرين[٣] بقوم، فقام إليه رجلٌ منهم. فقال: يا أبا بكرٍ: إنَّا قد نِلْنا منكَ فاجعلنا في حِلٍّ. قال: إني لا أُحِلُّ ما حرَّم اللَّهُ تعالى.

* * *

وقال رجلٌ للحسن البصري: بلَغَني أنك تغتابُني. فقال: لم يَبْلغ مِن مَقامك عندي أن أَحَكِّمكَ في حَسَناتي.

وقال عبدُ الله بن عباس[٤] رضي اللَّهُ عنه: أُذكُرْ أخاك بما تُحبُّ أن يَذكُرَكَ به، ودَعْ منه ما تُحِبُّ أن يدَعَه منك.

وقيل لعمرو بن عبيدة[٥]: لقد اغتابكَ فلانٌ حتى رَحِمْناك. قال: إياه فارْحَمُوا.

قال بعضُ الحكماء لابْنِهِ: يا بنيَّ: إياك وغِيبةَ الناسِ، فإنَّ مَثَلَ المغتابِ لهم كَمَثَلِ امرئٍ أَوْتَرَ قوسَه[٦] ليرميَ جماعةً كلُّهم يُوتِرُ قوسَه، فإلى أن يُصيبَ الرجلَ منهم بسهْمٍ قد أصابه أضعافُهُ.

وعن سعد القصر[٧] قال: نظرَ إليَّ عمر بن الخطاب رضيَ اللَّهُ عنه، ورَجُلٌ يشتمُ رجلاً بين يديَّ. فقال لي: ويلكَ يا سَعْدُ: نزِّهْ سمعَكَ عن استماع الخَنا، كما تُنزِّهُ لسانَكَ عن النطقِ به، فإنَّ السامعَ شريكُ القائلِ.

وقال الحسن البصري: لا غِيبةَ في ثلاثة: فاسِقٌ مُجاهِرٌ، وإمامٌ جائر[٨]، وصاحبُ بِدْعة[٩].

---

(١) الخَنا: الكلام الفاحش.

(٢) البذاء: الفحش في الكلام.

(٣) من المحدِّثين التابعين. كان معاصراً للحسن البصري، اشتهر بتفسيره الأحلام توفي سنة ١١٠هـ/ ٧٢٨م.

(٤) هو المسمّى «أبا العبّاس» ابن عمّ النبي. لقّب بـ«حَبْر الأمّة». وهو من رواة الحديث المشهورين. توفي سنة ٦٩هـ/ ٦٨٨م. وسبقت ترجمته.

(٥) لم نجد عمرو بن عبيدة. بل ابن عُبَيد، وهو شيخ المعتزلة في عصره. كان عالماً زاهداً وحكيماً، وعندما مات رثاه المنصور، فقيل: لم نسمع بخليفة رثى مَنْ دونه. وله ترجمة وافية في «تاريخ الإسلام» للذهبي. توفي سنة ١٤٤هـ/ ٧٦١م (سير أعلام النبلاء جـ١/ ١٠٤ ـ ١٠٦).

(٦) شدّ وترها، وهيّأها للرمي.

(٧) لم نجد الاسم بهذه الصفة. وفي سيرة سعد بن أبي وقاص، أنه أحد الصحابة العشرة المبشرين بالجنة. أسلم وهو ابن سبعة عشر عاماً وكان قصيراً، وأنه مات في قصره في العقيق، بالقرب من المدينة. ولعله هو سعد القصر الذي سمي بذلك لميتته في قصره. توفي سعد هذا سنة ٥٥هـ/ ٦٧٥م.

(٨) ظالم، خرج عن حدود الشرع.

(٩) ما أحدث على غير مثال سابق.

فصل

في الإخوان والحضِّ عليهم

قال داود[١] لابنه سليمان[٢] عليهما السلام: يا بُنَيَّ: لا تستقِلَّنَّ عدوًّا واحداً، ولا تَستكثِرَنَّ ألفَ صديقٍ.

وقال النبي ﷺ: «المرءُ كثيرٌ بأخيه».

وقال بعضُهم: أعجزُ الناسِ مَن قصَّر في طلبِ الإخوان. وأعجزُ منه مَنْ ضيَّع مَنْ ظفِرَ به منهم.

وقال شبيب بن شيبة[٣]: خيرُ ما اكتُسِبَ: إخوانُ الصدقِ، لأنهم زينةٌ في الرخاء، وعُدَّةٌ[٤] في البلاء، ومعونةٌ على الدهر، وشُركاءُ في الخير والشر.

وقال آخر: وطِّنْ نفسَك[٥] على أنه لا سبيلَ لك إلى قطيعة أخيكَ وإنْ ظَهر لك منه ما تكرَهُ، فليس الصديقُ كالمرأة التي تُطَلِّقُها متى شئتَ، ولكنَّهُ عِرْضُكَ ومُروءتك.

وقال لقمان[٦] لابنه: يا بنيَّ! لِيكنْ أولُ شيءٍ تَكْسِبُه بعد الإسلام، خليلاً[٧] صالحاً؛ فإنما مثَلُ الخليلِ الصالح كمَثَل النخلة إنْ قعَدْتَ في ظلها أظلَّكَ، وإن احتطَبْتَ من حطَبها نفَعَكَ، وإنْ أكلْتَ من ثمرها وجدتَه طيِّباً.

---

(١) هو الملك النبيّ ابن «أشعيا»، من سبط «يهوذا»، ومن مدينة بيت لحم اليهودية، اشتهر في صباه، بمقتل «جليات» الجبّار الفلسطيني. أسّس مملكة يهوذا، قتل «أوريا»، أحد أركان جيشه، بعد أن زنى بامرأته «بتشابع» وندم على خطيئته ندامة عميقة يضرب بها المثل.

(٢) سليمان الحكيم هو ابن الملك داود توّج ملكاً (١٠٠٨ ـ ٩٧٨ق. م) بنى هيكل أورشليم، عرف بحكمته. وقصته في القرآن الكريم مع الطير والنمل ومع مَلكة سبأ «بلقيس»، واضحة (اقرأ سورة: النمل).

(٣) شبيب بن شيبة، أديب الملوك وجليس الفقراء، من أهل البصرة، ومن خطباء عصره ودُهاتهم. مات سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٦م.

(٤) الاستعداد لدرء الخطر.

(٥) وطِّنْ نفسك: اعتقد ذلك بصورة قاطعة.

(٦) سبقت الإشارة إليه.

(٧) صديقاً.

وقال آخر: يَنبغي لصاحب الكريمِ أن يَصْبِرَ عليه إذا جمعَتْهُما قَسوةُ الزمان، فليس يَنتفِعُ بالجوهرة النفيسةِ مَنْ لم ينتظِرْ نَفاقَها[١].

وقال الأحنف بن قيس[٢]: خيرُ الإخوانِ مَن إذا استغنيتَ عنه لم يَزِدْكَ في المودة، وإن احتجْتَ إليه لم ينقصْكَ منها، وإن ظُلِمْتَ عضَدَكَ[٣]، وإن استعنْتَ به رَفَدَكَ.

وقال رسول الله ﷺ: «الصاحبُ رقعةٌ في قميصِكَ فانظُرْ بمن تَرْقَعُه».

وقال ابن المعتز[٤]: كما أنَّ جَلاء السيف أسْهلُ من طَبْعه، وكذلِكَ استصلاحُ الصديق أَسهلُ مِن اكْتِسابِ غيره.

وقيل لبزرجُمهر[٥]: أيُّما أَحَبُّ إليك: أخوكَ أم صديقُكَ؟ قال: إنما أُحِبُّ أخي إذا كان صديقي.

وقال أكْثَم بن صيفي[٦]: القرابةُ تحتاج إلى مودَّة، والمودَّة لا تحتاجُ إلى قرابة.

وقال عليٌّ رضي الله عنه: لا تَقطعْ أخاك على ارتيابٍ[٧]، ولا تَهجرْهُ دون استعتابٍ[٨].

وقال آخر: لا تقطعْ أخاك إلَّا بعد العجز عن إصلاحه.

وقال الأحنف بن قيس: مِنْ حقِ الصديق أن يُحْتَمَل له ثلاثٌ: ظُلْمُ الغضَب، وظلْمُ الوالد، وظلمُ الهَفْوة[٩].

وقيل لبعض الولاة: كم لك صديق؟ قال: لا أدري؟ ما دامت الدنيا مُقْبِلَة[١٠] عليَّ فالناس كلهم أصدقائي، وإنما أعرفهم إذا أَدْبَرتْ عني.

---

(١) نفاقُها: رواجُها والرغبة فيها.

(٢) الأحنف بن قيس بن معاوية، أبو بحر، وسيد بني تميم، أحد العظماء الفاتحين. يضرب به المثل بالحِلْم. توفي في الكوفة سنة ٧٢هـ/ ٦٩١ عن عمر يناهز الاثنتين والسبعين، سنة (سير أعلام النبلاء جـ٤/ ٨٦).

(٣) آزَرَك.

(٤) سبقت الإشارة إليه.

(٥) سبقت الإشارة إليه.

(٦) أحد حكماء العرب، وأكثرهم مضربَ مثل. كان سديد الرأي، قويّ الحجّة. رآه كسرى أنوشروان فقال: لو لم يكن للعرب سواه لكفى. توفي في الطريق إلى المدينة، وهو قاصدٌ الإسلام على يد النبي ﷺ سنة ٩ ٣٠هـ/ ٦٣٠م.

(٧) شكّ.

(٨) معاتبة ومكاشفة.

(٩) الزلة: السَّقطة.

(١٠) قصد بذلك الغنى المتزايد والنفوذ، أي وفرة المال وتحقيق المآرب والمطامع، ونقيضه: إدبار الدنيا عن الإنسان.

فصل

في ذم الكِبْر(١)

قال رسول الله ﷺ: «قال اللّهُ تعالى في بعض الكتب: العَظَمَةُ إزاري(٢)، والكبرياء ردائي، فَمن نازعني واحداً منهما قصَمْتُه وأهَنْتُه».

وقال ﷺ: «لا يَدخُلُ حظيرةَ(٣) الفردوس مُتكبِّر».

وذُكِر الكِبْرُ عند المعتصم(٤). فقال: حظُّ صاحبه من الله المَقْتُ(٥)، ومن الناس اللعنُ.

وقال بعضُهم: إذا نال الشريفُ رتبةً تَواضَعَ فيها، وإذا نال الوضيعُ رِتبةً تَكبَّر فيها.

وقال يحيى بن خالد(٦): مَن بلغَ رتبةً فتاهَ فيها، فقد أخبرَ أنَّ محلَّه دونَها، ومَنْ بلَغ رتبةً فتواضعَ فيها، فقد أُخبر أنَّ محلَّه فَوْقَها.

وقال سعيد بن العاص(٧) لابنه عمرو: يا بنيَّ إياكَ والكِبْر! ولْيَكنْ ما تَسْتَعينُ به على تَرْكه، عِلمُكَ بالذي كنتَ، والذي إليه تصيرُ. وكيف الكِبْرُ مع النطفة(٨) التي منها خُلِقْتَ، والرَّحِم التي فيها قُذِفْتَ، والغِذاءِ الذي به غُذِّيتَ؟

---

(١) الكِبْر: (بكسر فسكون) التخايل والتعاظم، والكِبَر: (بكَسْر ففتح) العلوّ في السِّنّ.

(٢) ستري.

(٣) زريبة مسيّجة، وهنا: ساحة الفردوس (أي الجنة الموعودة في الآخرة).

(٤) المعتصم بالله (محمّد بن هارون الرشيد) (١٧٩ ـ ٢٢٨هـ/ ٧٩٥ ـ ٨٤٢م) الخليفة العبّاسي الثامن. مال إلى مذهب المعتزلة، أخذ زبطرة وعمورية من الروم. نقل عاصمته إلى سامراء، تسبّب بانحطاط الدولة العبّاسيّة.

(٥) الكُره.

(٦) يحيى بن خالد البرمكي، وزير مقتدر وجواد سَرِيٌّ، أدّب الرشيد وعلّمه وربّاه. مات في نكبة البرامكة في عهد الرشيد، وكان ذلك سنة ١٩٠هـ/ ٨٠٥م. انظر ترجمة وافية له في (سير أعلام النبلاء جـ٩/ ٨٩).

(٧) حاكم الكوفة، والمدينة، ساعد الخليفة عثمان على جمع القرآن الكريم، توفي سنة ٥٩هـ/ ٦٧٨م.

(٨) ماء الرجل أو المرأة، التي تشكل مادة خَلْق الإنسان الأولى.

وقال آخر: كيف يَتَكَبَّر مَنْ خُلِقَ من تراب. وجَرىٰ في مجرىٰ البولِ، وغُذِّي بدم الحَيْض، وطُويَ على العَذِرَة[١].

* * *

وقال آخرِ: التواضعُ مع البُخْلِ والجهل، أحسَنُ من التكبُّر مع البَذْل والعَقْل؛ فأَعْظِمْ بحسَنةٍ غطَّت على سيِّئَتَين، وأَقْبِحْ بسيئة عفَّتْ على حسَنَتَين!

وقال النظام[٢]: ما ترفَّع أحدٌ في مجلسٍ، إلّا لِضَعَةٍ[٣] يَجِدُها من نَفْسه.

وقال آخرُ: لابنه يا بنيَّ! عليكَ بالبِشْر والتواضعِ، وإياكَ والتقطيبَ والكِبْر، فإنَّ لقاء الأَحرار بما يُحبونَ مع الحِرْمان، أَحبُّ إليهم من لقائهم بما يَكْرَهون مع العطاء؛ فانظُرْ إلى خَصْلةٍ غطَّتْ على مثْل البُخْل فالتزِمْها؛ وانظرْ إلى خصلةٍ عفَّتْ على مثْل الجود فاجتنِبْها.

وقال ابن الأعرابي[٤]: ما تكبَّر أحدٌ عليَّ قط أكثرَ من مرة واحدة. أي: لا أُعاوِدُ لقاءَه والسلامُ.

وقال ابنُ أبي ليلى[٥]: ما رأيتُ مُتَكبِّراً قط، إلا اعتراني[٦] داؤه.

وقال ابن المعتز[٧]: التكبُّرُ على المتكبِر تَواضُعٌ.

وقال العتبي[٨]: رأيتُ رجلاً يطوف بين الصَّفا والمرْوَة[٩] على بَغْلة؛ ثم رأيتُه بعد ذلك راجِلاً على جسْر بغداد. فوقفتُ أتعجبُ منه. فقال: لا تَعْجَبْ إني ركبتُ في موضعِ يَمْشي الناسُ فيه، فكان حقيقاً على الله أنْ يُرَجِّلَني في موضعٍ يَرْكَبُ الناسُ فيه.

---

(١) الغائط، أي براز المرء.

(٢) من أهل الكلام والمعتزلة. كان الجاحظ من تلامذته. توفي في بغداد سنة ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م.

(٣) حقارة وخسّة.

(٤) ابن الإعرابي الكوفي (٧٧٠ ـ ٨٤٨م) من أكبر أئمة اللغة، من مؤلّفاته: «النوادر» و«الأنوار». عاش بين سنة ١٥٤ ـ ٢٣٤هـ/ ٧٧٠ ـ ٨٤٨م.

(٥) محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، بن بلال الأنصاري، قاض فقيه، عاصر العهدين الأموي والعباسي، وجالس الإمام أبا حنيفة الدينوري وناظره. وتوفي في الكوفة سنة ١٤٨/ ٧٦٥م. (سير أعلام النبلاء ٦/ ٣١٠ ـ ٣١٦) وفيه عدد كبير من مصادر ترجمته ومراجعها.

(٦) غشيني.

(٧) سبقت الإشارة إليه.

(٨) لم نهتد إليه لأن هناك أعلاماً كثراً لُقّبوا «العتبي» إلّا أن يكون أحدَ مَنْ عرَّفنا بهم من قبل.

(٩) اسمان لموضعين، في مكة المكرمة، يطوف بهما الحجيج سبع مرات لتتمّ شعائر الحجّ.

فـصـل

في مدح التواضع

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تواضعَ للهِ رَفَعَهُ».

وَقال عبدُ الله بن مسعود[١]: رأسُ التواضعِ أن تبدأ بالسلامِ لِمَنْ لَقِيتَ، وتَرْضىٰ بالدون من المجلس.

وقال مصعب بن الزبير[٢]: التواضعُ مِن مصائد الشَّرَفِ.

وقيل لبعضهم. ما التواضع؟ فقال: هو أن تَخْرُجَ مِن بيتك؛ فإذا رأيتَ مَنْ هو أكبرُ منكَ، قلتَ: سبقني إلى الإسلام والعمل الصالح، فهو خيرٌ مني؛ وإذا رأيتَ مَنْ هو أصغرُ منك. قلتَ: سبقْتُه إلى الذنوب والمعاصي فهو خيرٌ مني.

وقيل: أصبحَ النجاشيُ[٣] يوماً جالساً على الأرض وعلى رأسه التاجُ، فأَعظَمَ ذلك كُبَراءُ دولتِه. وسألوه عن السبب الموجِبِ له؟ فقال: إني وَجَدتُ فيما أنزلَ اللَّهُ تعالى على المسيح عليه السلام: إذا أنعمتُ على عَبْدي نِعمةً فتواضَعَ فيها، أَتْمَمْتُها عليه؛ وإنه وُلِدَ لي في هذه الليلة وَلَدٌ ذكَرٌ، فتواضَعْتُ شُكْراً لله تعالى.

---

(١) عبد الله بن مسعود الصحابي المعروف بعلمه وتقواه وثباته في الجهاد بمختلف الصعد. اشترك مع النبي ﷺ في معركتي بدر والحديبية. وتوفي سنة ٣٢هـ/ ٦٥٣م (الوافي بالوفيات جـ١٧/ ٦٠٤ ـ ٦٠٦).

(٢) مصعب بن الزبير بن العوام، شقيق عبد الله بن الزبير، وعضده الأقوى في حروبه في الحجاز والعراق. قتل بإمرة عبد الملك بن مروان. وكان ذلك سنة ٧١هـ/ ٦٩٠م.

(٣) ملك الحبشة.

فصل

في الحضّ على اكتساب الأدب

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: الأدبُ حَلْيٌ في الغِنىٰ، كنزٌ عند الحاجة، عَوْنٌ على المروءة، صاحبٌ في المجلس، أنيسٌ في الوَحْدَة، تَعْمُرَ به القلوبُ الواهية[١]، وتَحيىٰ به الألبابُ الميْتةُ، وتَنفُذُ به الأبصارُ الكَليلةُ[٢]، ويُدرِكُ به الطالِبونَ ما حاولوا.

وقال بُزُرْجُمهر: من كَثُرَ أدبُه شَرُفَ، وإن كان وضيعاً؛ وسادَ، وإن كان غريباً؛ وبَعُدَ صيتُه، وإن كان خاملاً؛ وكثُرَتْ الحوائجُ إليه، وإن كان مُقتراً[٣].

وقال عبد الله بن المعتز: لن تَعدِمَ من الأديب كرَماً من طَبْعه، أو تكرُّماً من أدبه.

وقال الآخر: الأدبُ يَبلُغُ بصاحبه الشرَفَ، وإن كان دَنيّاً[٤]؛ والعزَّ، وإن كان قَميًّا[٥]. والقُرْبَ، وإن كان قَصِيًّا؛ والمهابةَ، وإن كان رويًّا[٦]؛ والغِنىٰ، وإن كان فقيراً؛ والنُّبْلَ، وإن كان حقيراً؛ والكرامةَ، وإن كان سفيهاً؛ والمحبةَ، وإن كان كريهاً.

وقال آخر: لابنه يا بنيّ: تَعلّم الأدبَ، فَلأنْ يُذمَّ فيك الدهرُ، خيرٌ من أنْ يُذَمَّ بك.

ورُوي عن ابن شُبْرُمة[٧] أنه قال: إذا سَرَّكَ أن تَعظُمَ في عينِ مَنْ كنتَ عنده صغيراً، ويَصْغُرَ في عينِكَ مَنْ كان عندكَ عظيماً؛ فتعلَّم العربيةَ فإنها تُجريكَ على المنطق، وتُدْنيكَ من السلطان.

وقال بعضُ الملوك لوزيره: ما خيرُ ما يُرْزَقُه العَبْدُ؟ فقال: عقلٌ يَعيشُ به. قال: فإن عَدِمَه. قال: فأدبٌ يَتحلّى بهِ. قال: فإن عَدِمَه. قال: فمالٌ يَسْتُره. قال: فإن عَدِمَه. قال: فصاعِقةٌ تُحرِقُه وتُريحُ البلادَ والعبادَ منه.

---

(١) الضعيفة. (٢) التعبة.

(٣) بخيلاً. (٤) دنيئاً ناقصاً.

(٥) حقيراً ذليلاً.

(٦) والرويُّ ـ هنا ـ الضعيف المتداعي من الصَّغار والمسكنة.

(٧) عبد الله بن شُبْرُمة بن الطفيل، عالم الكوفة في زمانه مع أبي حنيفة. شاعر عفيف جواد، له نحو خمسين حديثاً، توفي نحو سنة ١٤٤هـ/ ٧٦١م (الوافي بالوفيات جـ١٧ عناية دوروتيا كرافولسكي. فسادن سنة ١٩٨١ ص٢٠٧).

فصل

في الاستشارة

قال الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[١].

وقال نَبيُّه عليه الصلاةُ والسلام: «ما نَدِمَ مَنْ استشارَ ولا خابَ من استَخارَ».

وقال عبد الله بن المعتز: مَنْ شاوَرَ لم يَعدَمْ في الصواب مادِحاً، وفي الخطأ عاذِراً.

وقال بشار بن برد[٢]: المُشاوِرُ بين إحدى حَسَنَتَيْن، صوابٌ يَفوزُ بثمرته، أو خطأ يُشارِك في مَكْروهه.

وقال أعرابي: ما غَبِنْتُ قطُّ حتى يَغبنَ قومي. قيل: وكيف ذلك؟ قال: لا أَفعلُ شيئاً حتى أُشاورَهم.

وقال عقيل القمي: لا يُدرَكُ الصوابُ بالرأي الفَرْد، فلْيَستعِنْ مكدودٌ[٣] بوادِعٍ، ومشغولٌ بفارغ.

وقال المأمون[٤]: ثلاثٌ لا يَعدمُ المرءُ الرشْدَ فيهنَّ: مشاورةُ ناصحٍ، ومُداراةُ حاسِدٍ، والتحببُ للناس.

وقال آخر: شاورْ مَنْ جرَّبَ الأمورَ، فإنه يُعطيك مِن رأيه ما وَقَعَ عليه غالياً، وأنتَ تأخذُه مجّاناً.

---

(١) جزء يسير من الآية ١٥٩ من سورة آل عمران، والضمير فيها للمؤمنين.

(٢) فارسي الأصل. ولد أعمى، جاحظ الحدقتين. قال الشعر وهو ابن عشر سنين، آمر المهديّ بضربه حتى مات، وهو أحد المُحْدثين الذين جدَّدوا الشعر العربي ونقلوه من العمود التقليدي توفي ١٦٧هـ/ ٧٨٣م.

(٣) متعب كلَّ التعب.

(٤) ابن هارون الرشيد. أنشأ بيت الحكمة وشجع الأدباء والعلماء والمفكرين، واسمه عبد الله، توفي سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٣م، وهو الذي جعل من عصره عصراً ذهبياً لكثرة ما استقدم من كتب اليونان والفرس والهند.

فصل

اثنين

قال رسول الله ﷺ، ذاتَ يومٍ لأصحابه: «ألَا أُخبِرُكُم بأشقى الأشقياء؟ قالوا: بَلىٰ يا رسول الله! قال: ذاكَ مَن اجتمعَ عليهِ شيئان: فَقرُ الدنيا، وعَذابُ الآخِرةِ».

وقال علي رضيَ اللَّهُ عنه: لن يعدَمَ من الأحمق خَلَّتَيْن(١)، كَثرةُ الالتفاتِ وسرعةُ الجَواب بغيرِ عِرْفانٍ.

وقال الصادق(٢) رضي اللَّهُ عنه لسُفيان الثوري(٣): يا سُفيانُ: خَصْلتانِ مَنْ لزِمَهما دخَلَ الجنةَ، قال: وما هما يا ابنَ رسولِ الله؟ قال: احتمالُ ما تَكْرَهُ إذا أحبَّه اللَّهُ، وتَرْكُ ما تُحِبُّ إذا كرِهَهُ اللَّهُ، فاعمَلْ بهما وأنا شَريكُكَ.

وقال آخر: السَّخاءُ سَخاءان، سخاءٌ بما يُملَكُ؛ وسخاءٌ عما في أيدي الناس. والصبرُ صبرانِ، صبرٌ على ما يُكرَهُ، وصبر عما يُحَبُّ. والعجزُ عَجْزانِ، تَرْكُ الأمر إذا أمكَنَ، وطلَبُه إذا فاتَ. والحَزْمُ حَزْمانِ، حِفْظُ ما وُلِّيتَ، وتَرْكُ ما وُفِّيتَ.

* * *

وقال لقمان(٤) لابنه: يا بنيّ: شيئانِ إذا أنتَ حفِظْتَهما لا تبالي ما صنعْتَ بَعْدَهما؛ دَيْنُكَ لَمعادِكَ، ودرهمُكَ لمعاشِكَ.

وقال عبد الملك بن مروان(٥): خَلَّتانِ لا تَدَعُوهما إنْ قَدِرتم عليهما، تَعلُّمُ العربية، ولباسُ الثياب الفاخرة، فإنها الزينةُ والمروءةُ الظاهرة.

---

(١) الخلّة: الخصلة والعادة، هكذا وردت بالفتح، والسياق يقضي بالرفع: خلّتان: (نائب فاعل).

(٢) سبقت الإشارة إليه. وهو جعفر الصادق أحد الأئمة الاثني عشرية.

(٣) من أئمة المحدثين وعلماء الكلام الصوفيين في العراق عاش بين سنتَيْ ٩٧ ـ ١٦٢هـ/ ٧١٥ ـ ٧٧٨م.

(٤) سبق التعريف به. ويلقب بلقمان الحكيم، لكثرة ما صدر عنه من أقوال مأثورة، أشار إلى بعضها القرآن الكريم في سورة لقمان.

(٥) سبق التعريف به. وهو الخليفة الأموي المقتدر.

وكان يقال: مِنْ كَمال إيمانِ المرء خَصْلتانِ، لا يَدْخُلُهُ الرِّضا في باطلٍ، ولا يُخرِجُه الغضَبُ عن حق.

وقال آخر: دَعْوتانِ؛ أرجو إحداهما كما أخافُ الأُخرىٰ: دعوةُ مظلومٍ أعنتُهُ، ودعوةُ ضعيفٍ ظَلَمْتُه.

وقال آخر: شيئانِ يَجبُ على العاقل أن يتحفَّظَ منهما: حسَدُ أصدقائه، ومَكْرُ أعدائه.

وقال آخر: موطِنانِ لا أعتذرُ من العِيِّ[(١)] فيهما: إذا خاطبْتُ جاهلاً، أوْ سُئِلْتُ حاجةً.

وقال آخر: شيئانِ قلَّما يَجتمعان: الشِّعرُ الجيِّدُ، واللسانُ البليغُ.

وقال آخر: شيئان قد عَزَّا وأَعْوَزا: دِرْهَمٌ حَلالٌ، وأَخٌ في الله عز وجل.

وقال آخر: اثنان مُعَذَّبانِ: غَنيٌّ حصَلتْ له الدنيا؛ فهو بها مشغولٌ مهمومٌ، وفقيرٌ زَوِيَتْ[(٢)] عنه، فنفْسُهُ تَتقطَّع عليه حسَراتٍ.

وقال آخر: طالبُ الدنيا بين خَصْلتَيْنِ مذمومتَيْن: إن نال منها ما أمَّلَهُ تَرَكَهُ لغيره، وإنْ لم يَنلْهُ ماتَ بغُصَّتهِ.

---

(١) العجز.

(٢) طُوِيَتْ.

فصل

ثلاثة

قال رسول الله ﷺ: «رُفِعَ القَلَمُ عن ثلاثة: النائمُ حتى يستيقظَ، والصغيرُ حتى يبلُغَ، والمجنونُ حتى يُفيقَ».

وقال عليه الصلاة والسلام: «ثلاثٌ مُهلِكاتٌ وثلاثٌ مُنجِياتٌ؛ فأمَّا المهلكاتُ: فشُحٌّ[1] مُطَاع، وهوًى متَّبعٌ، وإعجابُ المرءِ بنفسه. وأمَّا المُنجياتُ: فخشيَةُ اللهِ في السرِّ والعلانية، والقصدُ في الغِنىٰ والفقر، والعَدْل في الرضىٰ والغضَبِ».

وقال المدايني[2]: ثلاثةٌ لا يَنْتَصِفون مِنْ ثلاثةٍ: حَكيمٌ من أحْمقَ، ومُؤمنٌ من فاجرٍ؛ وشَريفٌ من وَضيعٍ.

وقال المأمون: الرجالُ ثلاثةٌ: فرَجلٌ كالغِذاء لا يُسْتَغنىٰ عنه، ورجَلٌ كالدواء يُحتاجُ إليه في الأوقات، ورجُلٌ كالداء لا يُحتاج إليه أبداً.

وقال: ثلاثةٌ لا عارَ فيهم: الفقر، والمرض، والموت.

وقال آخر: يَتِمُّ سرورُ الرجل بِثلاثٍ: أنْ يَأكُلَ مِن غَرْسِ[3] يده، ويَشْتَمَّ وَلَدَ ولدِه[4]، ويَسمعَ شِعْرَهُ يُغنَّى به.

* * *

وقال عمر بن الخطاب رضي اللهُ عنه: ثلاثٌ تُثبِتْن لك الوُدَّ في صدْرِ أخيكَ: أنْ تَبدأه بالسلام، وتُوسِعَ له في المجلس، وتَدْعُوه بأحبِّ الأسماء إليه.

وقال الأحنف بن قيس[5]: مهما كان عندي مِنْ أناةٍ[6] فلا أناةَ عندي في ثلاث:

---

(١) البخل الشديد.

(٢) المدائني (علي) (ت ٢٣٥هـ/ ٨٤٠م) سمي كذلك نسبةً إلى المدائن، المدينة التي بين دجلة والفرات في العراق. وهو مؤرخ وأديب. عنه أخذ الطبريُّ والبلاذري وغيرهما.

(٣) زرع.

(٤) حفيده.

(٥) سبق التعريف به.

(٦) رويّة.

الصلاةُ إذا حضَرتْ أن أؤديَها في وقتها، والميْتُ إذا ماتَ أن أُوارِيَه[١]، والمرأةُ إذا حَضر كُفْؤها[٢] أن أزوِّجها.

وقال: ثلاثُ خصالٍ تُجتَلبُ بهنَّ المحبةُ: الإنصافُ في المعاشَرة. والمواساةُ في الشدَّة والرخاء، والانطواءُ على المودة.

وقال: ثلاثٌ لا أفعلُهنَّ إلّا ليتأدَّبَ بهنَّ غيري: لا أذكرُ أحداً في مَغيبهِ بخلافِ ما أذكرُه في حُضوره، ولا أُدخِلُ نفسي في أمرٍ لا أُدخَلُ فيه، ولا آتي السلطانَ حتى يَدْعوني.

وقال: ما نازعَني أحد قطُّ إلّا أخذتُ في أمري معه بإحدىٰ ثلاثِ خصالٍ: إن كان فوقي عرَفْتُ له حقَّه، وإن كان دوني أكبيتُ نفسي عنه، وإن كان مثْلي تفضَّلْتُ عليه.

وقال رسول الله ﷺ: «ثلاثةٌ لا يَقبَلُ اللّهُ منهم صَرْفا[٣] ولا عَدْلاً ولا صلاةً، ولا تُرْفَعُ لهم حسَنةٌ: العبْدُ الآبِقُ[٤] حتى يرجِعَ إلى مولاه، والمرأةُ الساخِطُ عليها بَعْلُها حتى يَرضىٰ عنها، والسكرانُ حتى يَصْحوَ».

* * *

ولما قَتَل أنو شروان[٥]، بزرجمهرَ: وَجدَ في مَنطقتِه كتاباً فيه ثلاثُ كلماتٍ. وهي: إن كان القَدَرُ حقاً فالحِرْصُ باطلٌ، وإن كان الغَدْر في الناس طِباعاً فالثقةُ بكل أحدٍ عجْزٌ، وإن كان المَوْتُ لكل حَيٍّ بمَرْصَدٍ فالطمأنينةُ إلى الدنيا غرورٌ.

وقال آخر: الملوكُ تحتملُ كلَّ شيء ما خلا ثلاثةَ أشياءَ: إفْشاءُ السرِّ والتعرُّضُ للحُرَم[٦]، والقَدْح[٧] في الملك.

وقال عبد الرحمن بن شبيب بن شيبة[٨]: المودةُ على ثلاثة أضرُبٍ: فمودةٌ للّٰهِ عزَّ وجَلَّ لغير رَغْبةٍ ولا رَهْبة، وهي التي لا يَشوبها غَدْرٌ ولا خيانةٌ. ومودَّةُ مِقةٍ[٩] ومعاشَرةٍ، ومودةُ رَغْبةٍ أو رَهْبة، وهي شرُّ المودَّات وأسرعُها انتقاضاً[١٠].

وقال آخر: مُحرَّمٌ على السامع تكْذيبُ القائل إلّا في ثلاثٍ: جاهلٌ صبَرَ على مَضَض[١١] المصيبة، وعاقلٌ أبْغضَ من أحسنَ إليه، وحماة أحبَّت كِنَّة.

---

(١) أدفنه. (٢) نظيرها.
(٣) الصرف، ههنا، التحوُّل. (٤) الهارب، الشاذ عن شرع الله.
(٥) سبق التعريف به وبوزيره.
(٦) النساء وغيرهن من الحُرُمات المعنوية والأخلاقية.
(٧) الذم.
(٨) عرّفْنا بوالده شبيب بن شيبة في «فصل في الإخوان والحض عليهم» ولم نهتد إلى ترجمة عبد الرحمن.
(٩) حبّ. (١٠) ارتداداً ونكراناً.
(١١) الرضى المصحوب بألم.

وقال آخر: يَنبغي للأصاغر أن يتقدموا الأكابر في ثلاثِ مواطنَ: إذا ساروا ليلاً، أو خاضوا سَيلاً، أو واجهوا خَيْلاً.

وقال **أفلاطون**: تَجِبُ الرحمةُ لأحدِ ثلاثةٍ: عاقلٌ يَجْري عليه حكْمُ جاهلٍ، وضعيفٌ في أَسْر قويٍّ، وَكريمٌ يرغَبُ إلى لئيم.

وقال **المأمون**: ثلاثةٌ لا يَنبغي للعاقلِ أن يُقْدِمَ عليها: شرْبُ السمِّ للتجربة، وإفشاءُ السرِّ إلى ذي القَرابة الحَاسِد، وركُوبُ البَحْر وإن ظَنَّ فيه الغِنى.

وقال آخر: أكْمَلُ الخصالِ ثلاثٌ: وَقارٌ بلا مَهابة، وحِلْمٌ بلا ذُلٍّ، وسمَاحٌ بلا طلَبِ مكافأةٍ.

* * *

وقال **سليمان بن داود**[١] عليهما السلام: أبغضْتُ نفسيَ ثلاثةً وغِرْتُ أن تَطْلعَ الشمسُ عليهن؛ شيخاً جاهلاً، وغنيًّا كَذَّاباً، وفقيراً مَزْهوًّا.

ولقي بعضُ الملوكِ حكيماً. فقال له: علِّمني من حكمتك أيها الحكيمُ. قال: نعمَ! إحْفَظْ عني ثلاثَ كلماتٍ؟ قال: وما هن؟ قال: صقْلُكَ السيفَ ليس له جوهرٌ من سَبَخِه[٢] خطأ، وبَذْرُكَ الحبَ في الأرض السَّبِخَة ترجو نباتَهُ جهلٌ، وحَمْلُك المُسِنَّ على الرياضة عناءٌ.

* * *

وقال العالم[٣] رضي الله عنه: إنَّ الله خبَأ ثلاثاً في ثلاثٍ: خبَّأَ رِضاهُ في يَسيرٍ من طاعته، وخبَّأ سُخْطَه في يسير من مَعْصيته، وخبأ وليَّه بين عباده. فلا تَستصغِرَنَّ شيئاً من الطاعة، فربما وافَقَ مِن الله تعالى رِضاهُ وأنتَ لا تَعْلم، ولا تستقِلَّنَّ شيئاً من المعصية، فربما وافقَ من الله سُخْطَه وأنتَ لا تَعلم، ولا تحْقِرَنَّ عبْداً تَراه، فربما كان من أولياء الله وأنتَ لا تَعلَمُ.

وقال **الحسن**[٤] **بن سهل**: ثلاثة تذْهَبُ ضَياعاً: دينٌ بلا عَقْل، وقدرةٌ بلا فعلٍ، ومال بلا بَذْلٍ.

وقال **بزرجمهر**: ثلاثةٌ نَواطقُ وإن كنَّ خُرْساً: كُسوف[٥] البال يَدُلُّ على رقَّةِ الحالِ،

---

(١) سبق التعريف بهما.

(٢) السَّبَخ والسَّبِخ: التنزُّز بالملح دلالة السوء والتلف.

(٣) كذا ولم يُحدَّد هويته.

(٤) الحسن بن سهل بن عبد الله السَّرخسي، وزير المأمون، وأحد القادة والولاة في عصره. اشتهر بالأدب والتوقيعات، وهو أخو الفضل بن سهل «ذي الرياستين». توفي سنة ٢٣٦هـ/ ٨٥١م.

(٥) سوء البال.

وحُسْن البِشْر يدلُّ على سلامة الصدر، والهِمَّةُ الدنيئة تدلُّ على الغريزة الرديئة.

وقال لقمان[١]: ثلاثةٌ لا يُعرفون إلَّا في ثلاثةِ مواطنَ: الشجاعُ عند الحَرْب، والحليمُ عند الغَضَب، وأخوك عند حاجتك إليهِ.

وقال آخر: ثلاثةٌ مَنْ عازَّهم[٢] عادتْ عِزَّته ذُلًّا: السلطانُ، والوالد، والغَريم[٣].

وقال جعفر[٤] رضي الله عنه: مَنْ طلَب ثلاثاً بغير حق، حُرِم ثلاثاً بحق: مَنْ طلَبَ الدنيا بغير حقٍّ، حُرِم الآخرةِ بحقٍّ. ومَنْ طلبَ الرياسة بغير حق حُرِمَ الطاعة بحق. ومَنْ طلب المالَ بغير حق، حُرِم بقاءَه بحق.

وقال بعضُهم: ثلاثةٌ هنَّ أَضْيَعُ شيء في الدنيا: مصباحٌ يوقَدُ في شمسٍ، ومطَرٌ جَوْدٌ في أرض سَبِخَةٍ، وامرأة حسْناء تُزَفُّ إلى عِنِّين[٥].

وقال آخر: الأُنْسُ في ثلاثة: الصديق المُصَافي، والولد البَارُّ، والزوجةُ الصالحة.

وقال آخر: ثلاثةٌ ينبغي أن يُكْرَموا: ذو الشَّيْبة لشيبته، وذو العِلْم لعِلْمه، وذو السلطان لسلطانه.

وقال آخر: في المال ثلاثُ عيوبٍ، يُكْسَب بالحظ، ويُحفَظ باللؤم، ويُتْلَفُ بالجود.

* * *

وفي كتاب كليلة ودمنة: لِيُنْفِقْ ذو المال مالَه في ثلاثة مواضعَ: في الصَّدَقة إنْ أرادَ الآخِرَة، وفي مصانَعة السلطانِ إنْ أرادَ الدنيا، وفي النساء إن أراد نعيمَ العيشِ.

وقال آخر: ليس في ثلاثةٍ حيلةٌ: فقرٌ يخالِطهُ كَسَلٌ، وعَداوةٌ يداخِلُها حَسَدٌ، ومرَضٌ يمازِجهُ هَرَمٌ.

وقال آخر: إذا حَمِدَ الرجلُ ثلاثةً فلا نَشكُّ في حريته: جارُه، ورفيقُه، وقَريبُه.

وقال آخر: ثلاثةٌ أشياءَ قَليلُها كَثيرٌ: المرضُ، والنارُ، والعداوةُ.

وقال آخر: ثلاثةٌ تَصْعُبُ على الإنسان: تعرُّفُ عيوبهِ، وكِتمانُ سِرّه، وإمْساكُه عما لا يَعْنيه.

وقال آخر: الغضَبُ يُحدِثُ ثلاثةَ أشياء مَذمومةٍ: يُفرِّقُ الفَهْمَ، ويُغيِّر المنطِقَ، ويقْطَعُ مادةَ الحُجَّةِ.

---

(١) سبق التعريف به.
(٢) عازَّهم، غالبَهم.
(٣) الخصم.
(٤) سبق التعريف به وهو جعفر الصادق.
(٥) عاجز جنسياً.

وقال آخر: ثلاثةٌ يضيعُ عندهم المعروفُ: اللئيمُ؛ فإنه بمنزلة الأرضِ السَّبْخة، والشريرُ؛ فإنه يَرىٰ أن الذي أَسْدَيْتَه إليه مخافةُ شرِّه، والأحمق؛ فإنه لا يدْري مقدارَ ما صَنعْتَه إليه.

* * *

وكان يُقال: مَنْ أُلْهِمَ ثلاثاً لم يُحْرَمْ ثلاثاً: من أُلهِمَ الدعاءَ؛ لم يُحْرَمِ الإجابةَ، ومن أُلهِمَ الاستغفارَ، لم يُحْرَمْ من المَغْفِرة؛ ومن أُلهِمَ الشكْرَ، لم يُحْرَمِ المَزيدَ.

وقال آخر: ثلاثةٌ تنبُو[١] الموعظةُ عن قلوبهم نُبُوَّ الكرةِ عن الصَّفا[٢]: مَلِكٌ فاجرٌ، وشيخٌ مولَعٌ بشُرْبِ الخمر، وامرأةٌ تَبيتُ مغْرَمةً برجُلٍ.

* * *

وقال سهل بنُ هارون[٣]: ثلاثةٌ مِن المَجانِين وإن كانوا من العُقَلاء: الغَضْبانُ، والسكْرانُ، والغَيْران. قيل له: فما تقولُ في المنعِظ[٤]؟ فضحِكَ وأنشد:

وما شَرُّ البَرِيئَةِ أُمُّ عَمْرٍو بِصاحِبِكِ الذي لا تَصْحَبِينا[٥]

وكان يقال: لولا ثلاثةٌ ما وَضَعَ ابنُ آدم رأسَه لشيء، وإنه معهنّ لوثّابٌ: الموتُ، والمرضُ، والفقرُ.

وقيل لأعرابي: ما تَنْقَمُ مِن أميركم؟ قال: ثلاثُ خصال: يَقْضي بالعشوة[٦]، ويُطِيلُ النشوةَ، ويأخذُ الرشوةَ.

وقال رجلٌ لأرسطوطاليس[٧]: بلغني أنك اغتبْتَني. فقال: ما بلغَ مِن قَدْرِك عندي أن أَدَعَ لكَ خَلَّةً مِنْ ثلاثٍ: علماً أُعمِلُ فيه فكري، أوْ عَملاً صالحاً لآخرتي، أو لذةً في غيرِ مَحرَّمٍ أُعلِّلُ بها نفسي.

---

(١) تَنْبو: تنزلق. وهي هنا بمعنى: تَضِلُّ.

(٢) الصفا، واحدتها: صفاة، وهي الصخرة الملساء.

(٣) شاعر وناثر عربي. أصله من دستميسان بين البصرة وواسط، من أصحاب الشعوبيّة. من مؤلّفاته: «ثعلة وعفرة» على نسق «كليلة ودمنة». وله عدد كبير من الرسائل والخطب والأشعار. توفي سنة ٢١٥هـ/ ٨٣٠م.

(٤) المتهيّئ للنكاح.

(٥) البيت من مَطالع معلّقة عمرو بن كلثوم التغلبي التي مطلعها:

ألا هُبّي بِصَحْنِكِ واصْبَحِينا ولا تُبْقي خُمورَ الأنْدَرِينا

وفيها: «وما شرُّ الثلاثة أُمَّ عمرو». وجاءت قافية البيت مصحّفة، وصوابها «لا تَصْبحينا» هكذا في شرح التبريزي، وباقي الشروح التي عدنا إليها. انظر كتابنا (بالاشتراك). «شرح المعلقات العشر» عالم الكتب. بيروت سنة ١٩٩٥ ص٢٩٧، البيت السابع من المعلقة.

(٦) ركوب الأمر على غير بيان، وهو من الغَشْو: سوء الرؤية لضعف البصر أو لظلمة الليل.

(٧) سبق التعريف به.

ورُوِيَ أنَّ بعضَ الأُمراء، أَراد أن يستصحِبَ **علي بن زيد الكاتب**[١]. فقال له عليّ: أَصْحَبُكَ على ثلاثِ خصالٍ لي عليكَ، وثلاثٍ لكَ عليَّ. فأمَّا التي لي عليكَ: فلا تَهتِكْ لي سِتْراً[٢]، ولا تشْتُمْ لي عِرْضاً، ولا تَقبَلْ فيَّ قولَ قائلٍ حتى تَستَبرِئَ. وأمَّا التي لك عليَّ، فلا أُفشي لك سرًّا، ولا أَطْوي عنك نُصحاً[٣]، ولا أوثِرُ[٤] عليك أحداً. فقال الأمير: نِعْمَ الصاحبُ أنتَ!

* * *

(١) لم نهتد إلى ترجمته.
(٢) لا تخرق أو تفضح سرّي!
(٣) لا أضنُّ عليك بالنصح.
(٤) أفضّل.

فصل

أربعة

قال رسول الله ﷺ: «أربعةٌ لا تكونُ إلّا بأربعةٍ: لا حَسَبَ إلا بتواضعٍ، ولا كَرَم إلا بتقوى، ولا عَمَلَ إلا بنيّةٍ ولا عبادةَ إلا بيقينٍ».

وقال ﷺ: «أربعٌ من كنوز الجنّة: كتمانُ الحاجةِ، وكتمانُ الصَّدقَة، وكتمانُ المُصيبة، وكتمان الوَجَعِ».

وكتب يوسف[1] عليه السلام على باب السجن الذي كان فيه، أربعَ كلِمات، وهي: هذه منازِلُ أهلِ البَلْوى[2]، وقبورُ الأحياء، وشماتَةُ الأعداءِ، وتجربةُ الأصدقاء.

وقال الأحنف بن قيس[3]: لا تُحْمَدُ العَجلةُ إلا في أربعةٍ مواضعَ: تَزويجُ الأيّم[4] إذا وُجِدَ لها كفؤٌ، ودَفْنُ الميِّتِ، وركوبُ الأهوال، وصُنْعُ المعروفِ.

وكان يقال: أربعةٌ لا تُعْرَفُ في أربعة: السخاءُ في الروم، والوفاءُ في الترك، والشجاعة في النَّبطِ، والغَمُّ في الزَّنْجِ.

* * *

وعن المَدايني[5]: قال: خَرَجَ الزهريُّ[6] يوماً من عند هشام بن عبد الملك[7]. فقال: ما سمعتُ بمثلِ أربعِ كلماتٍ تكلَّمَ بهنَّ اليومَ إنسانٌ عند هشام. قيل له: وما هن؟ قال: دخل عليه رجل فقال له: يا أميرَ المؤمنين، إحفظ عني أَرْبعَ كلماتٍ فيهنَّ صلاحُ ملْكِكَ، واستقامةُ رعيَّتِك. قال: هاتهنّ. قال: لا تعِدَنَّ عِدَةً لا تَثِقُ مِنْ نفسك

(١) سبق التعريف به.
(٢) المصيبة الشديدة.
(٣) سبق التعريف به.
(٤) التي فقدت زوجها، أو التي لا زوج لها.
(٥) سبق التعريف به.
(٦) لعله محمد بن مسلم من بني كلاب، أبو بكر القرشي الزهري المدني، حافظ زمانه والمحدِّث الثقة والراوي لأحاديث كثيرة عن عدد كبير من التابعين، حفظ أكثر من ألفين ومئتي حديث. توفي سنة ١٢٤هـ/ ٧٤٢م (انظر سير أعلام النبلاء جـ٥/ ٣٢٦ ـ ٣٥٠).
(٧) من الخلفاء الأمويين. سعى لإخماد الفتن في العراق وفي خراسان وحارب البيزنطيين. في أيامه، الْتَحَمَ القتال بين العرب والإفرنج في سهول «بواتيه» بفرنسا (٧٣٢م). توفي في الرّصافة ١٢٦هـ/ ٧٤٣م.

بإنجازِها، ولا يغُرَّنَّكَ المُرْتَقى(١) وإنْ كان سهلاً إذا كان المُنحدَرُ وعْراً، واعلَمْ أَنَّ الأَعمال جزاءً، فاتَّقِ العواقب، واعلمْ أنَّ الأمورَ بَغَتاتٌ(٢) فكُنْ على حذَرٍ.

* * *

وقال محمد بن الربيع، لحاتم الأصم(٣): على مَا بنيتَ أمرَك؟ قال: على أَربع خِصالٍ: عَلمتُ أنَّ رزقي لا يَأكلُه غيري، فاطمأنَّت بذلك نفسي، وعلمتُ أنَّ عملي لا يَعملُ به غيري فأنا منه مشغول، وعلمتُ أنَّ أجلي لا بدَّ أن يأتيَني فأنا أُبادِرُهُ، وعلمتُ أني لا أَغيبُ عن عين الله فأنا منه مُسْتَحٍ.

وكان يقال: أربعةٌ ليس لأعمالِهم ثمرةٌ: مُسَارَّةُ(٤) الأَصَمِّ، والمُسْرِجُ(٥) في الشمس، والباذِرِ في السِّباخ(٦)، وواضعُ المعروف في غير أَهله.

واجتمعَ حكماءُ العرب والعجَم على أربعِ كلماتٍ، وهي: لا تُحمِّلْ نفسَك ما لا تُطيقُ، ولا تَعمل عملاً لا يَنفعُك، ولا تَغْتَرَّ بامرأة وإنْ عفَّتْ، ولا تَثِقْ بمالٍ وإنْ كَثُرَ.

وأربعُ كلماتٍ صدَرتْ عن أربعِ ملوكٍ كأنما رُمِيَتْ عن قوسٍ واحدةٍ:

قال كسرى(٧): لم أَنْدَمْ على ما لم أَقُلْ، وقد ندِمتُ على ما قلتُ.

وقال قيصر(٨): أنا على رَدِّ ما لم أَقُلْ، أَقدَرُ مني على ردِّ ما قلتُ.

وقال ملك الصين: إذا تكلمتُ بالكلمة ملكَتْني، وإذا لم أتكلَّمْ بها ملكْتُها.

وقال ملك الهند: عجِبتُ ممن يَتكلَّم بالكلمة إن رُفِعَتْ عنه ضَرَّتْهُ، وإن تُرِكتْ لم تَنفَعْه.

وقال بعضُهم: أَبْذُلْ أربعةً لأربعةٍ: لِصديقِك مالَكَ، ولعدوِّكَ عَدْلَكَ، ولمعرفتك رِفْدَكَ، وللعامة بِشْرَكَ.

وقال آخر: أربعةُ أشياءَ تُسْرِعُ إلى العقل بالفَساد: الكِفايةُ التامة، والتعظيمُ الدائم، وإهمالُ الفكْر، والأَنَفَةُ من التعلُّم.

---

(١) الصعود. (٢) جمع. بغتة: فجأة ومفاجأة.

(٣) حاتم بن عنوان، أبو عبد الرحمن المعروف بالأصم. واعظ، زاهد حكيم، كان يقال له لقمانُ هذه الأمة. وقد أورد له الذهبي عدداً من أقواله المأثورة وحكمه القيّمة. توفي سنة ٢٣٧هـ/ ٨٥١م (سير أعلام النبلاء ١١/ ٣٨٤ ـ ٣٨٧).

(٤) المعاتبة والمباسطة. (٥) المضيء سراجاً.

(٦) الأرض المالِحة غير الصالحة.

(٧) ج أكاسرة. وهو أحد اثنين من ملوك بني ساسان: الأوّل (٥٣١ ـ ٥٧٩) وقد لقّب بـ«أنوشروان» أي النفس الخالدة، ناصر العلم والعلماء، والثاني: كسرى أبرويز، أي المنصور (٥٩٠ ـ ٦٢٨م) من كبار الفاتحين. اجتاح سوريا، واحتلّ أنطاكية وأورشليم وظفر بدخول مصر (٦١٩م) هزمه هرقل في طيسفون (٦٢٣ق. م).

(٨) (يوليوس) (١٠١ ـ ٤٤ق. م) من كبار قوّاد روما. قتل في مجلس «الندوى».

وقال آخر: إذا حسُنَتْ حالُ الرجلِ ابتُليَ بأربعةٍ: مولاهُ القديمُ يَنْتفي منه، وامرأتهُ يتسرّىٰ عليها[١]، ودارُه يهدِمُها ويبني غيرَها، ودابّتُه يَستبدِل بها.

وقال آخر: أَربعةٌ لا ينبغي لأحدٍ أن يأنفَ منهنَّ وإن كان شريفاً: قِيامُه في مجلسه لأبيه، وخِدمتُه لِضيفِه، وقيامُه على فَرسه[٢]، وإكرامه لأَهل العلم.

وقال بعضُ الحكماء: من استطاع أن يَمنعَ نفسَه مِن أربعٍ فهو خَليقٌ[٣] أنْ لا ينزِلَ به المكروهُ: العَجلةُ، واللَّجَاجُ، والتواني، والعَجَبُ.

وقال آخر: أربعةٌ تَشتدُّ مُعاشَرَتُهم: الرجل المُتَواني، والغنيُّ العالِمُ، والفَرس المَرِحُ، والمِلِكُ الشديدُ المَلَكة.

* * *

وقال **المأمون**: الناس بين أَربعِ طبقاتٍ: إمارةٌ، وتجارةٌ، وصناعةٌ، وزراعة. فمَن لم يكنْ من هؤلاء كان كَلّاً[٤] علينا.

وقال آخر: السعادةُ أَربعٌ: تأتّي[٥] المطلوبات، وسلامة الخِلْقةِ، وجَودةُ العقل، ومحبّةُ الناس.

وقال آخر: أَربعةٌ من علاماتِ الكَرم: بَذْلُ الندىٰ[٦]، وكفُّ الأذىٰ، وتَعجيلُ الثوابِ، وتأخيرُ العقاب.

وقال آخرُ: يَنبغي أن تكونَ المرأةُ دون الرجل بأربعة أشياء: السِّنُّ، والطولُ، والمالُ، والحَسَب.

وقال آخر: أربعةُ أشياءَ تُسرِّعُ انحلالَ النفس: تجرُّعُ المغايِظِ[٧]، وقصورُ الغاداتِ[٨]، وردُّ النصائح، وتضاحُكُ ذوي البُخوتِ[٩] بذي العقول.

---

(١) يعاشر سواها.

(٢) القيام على الفرس: السهر على خدمتها ورعايتها.

(٣) جدير.

(٤) عالّة، ثقيل لا خير فيه.

(٥) غير واضحة وغير مشكولة، فشكلناها لتناسب السياق.

(٦) العطاء.

(٧) ما يغيظ ويُسْخط، جمع مَغيظة..

(٨) الغادة: المرأة اللينة، المتثنّية في مشيتها من رقّتها وغضاضتها. وأراد بقصورهن: عدم الاستجابة لرغبات الرجل.

(٩) جمع. بخْت: حظ (فارسيّة). أراد استخفاف أصحاب الحظوظ بأهل الفكر والجدّ والمثابرة. وحقه أن يقول: بذوي العقول.

فصل

خمسة

قال رسولُ الله ﷺ: «خَمسٌ مَن كُنَّ فيه كنَّ عليه. قيل: وما هُنَّ يا رسولَ الله؟ قال: النكثُ[١]، والمَكرُ، والبَغيُ، والخِداعُ، والظلمُ. فأمّا النكثُ. فقال اللهُ تعالى: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾[٢] وأمّا المَكرُ. فقال اللهُ تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[٣]. وأمّا البَغيُ. فقال اللهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾[٤]. وأمّا الخِداعُ. فقال اللهُ تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾[٥]. وأمّا الظلمُ فقال اللهُ تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٦]».

وقال عليه الصلاة والسلام: «خمسةٌ مِنَ خمسةٍ مُحَالٌ[٧]: الحُرْمةُ مِن الفاسق مُحالٌ، والكِبْرُ من الفقير مُحال، والنصيحةُ من العدوّ مُحالٌ، والمحبّةُ من الحَسُود مُحالٌ، والوفاءُ من النساء مُحالٌ».

وقال عليه الصلاة والسلام: «إغتنمْ خَمساً قبْلَ خَمْسٍ: شبابَكَ قبل هَرَمِكَ، وصحْتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ[٨]، وغِناكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وفراغَكَ قبل شُغْلِكَ، وحياتَكَ قبل مَوْتِكَ».

* * *

وقال عليٌ كرَّمَ اللّهُ وَجْهَه: أُوصيكُم بخمسٍ لوَ ضَربْتُمْ إليها آباطَ[٩] الإبِلِ لكان قليلاً:

لا يَرْجُوَنَّ أَحَدُكم إلّا ربه، ولا يَخافَنَّ إلا ذَنْبَه، ولا يَسْتحي إذا سُئِل عما لا

---

(١) النقض والإخلاف في العهد.

(٢) من الآية العاشرة من سورة الفتح.

(٣) من الآية ٤٣ من سورة فاطر، ويَحيق هنا، يحيط إحاطة لا خلاص منها.

(٤) من الآية ٢٣ من سورة يونس.

(٥) من الآية التاسعة من سورة البقرة.

(٦) من الآية ٥٧ من سورة البقرة.

(٧) مستحيل.

(٨) مرضك واعتلالك.

(٩) جمع. إبط: باطن الذراع (القائمة الأمامية عند الحيوان). وقصد بذلك شدَّ الرحال بالآباط لا الظهور وحدها، لأهميتها وخطورتها.

يَعْلم أَنْ يقول: لا أَعْلَمُ، وإذا لم يَعْلم أن يَتعلَّمَ. واعْلَموا أَنَّ الصَّبرَ مِن الإيمانِ بمنزلة الرأْسِ من الجَسَدِ؛ فإذا قُطِعَ الرأسُ، ذَهَبَ الجسَدُ.

وقال آخر: مِنْ كَرمِ المرءِ خَمسُ خِصَالٍ: مِلْكُه لِلِسانه؛ وإقبالُه على شانه، وبكاؤه على ما مضى من زَمانه؛ وحنينُه إلى أوطانه، وحِفْظُه لقديم إخْوانِه.

وقال جعفر الصادق[1] رضي اللَّهُ عنه: إنَّ خَيْرَ العبادِ مَنْ يَجتمعُ فيهِ خمسُ خصالٍ: إذا أَحْسَنَ استبشَرَ، وإذا أَساءَ استَغْفَر، وإذا أُعطِيَ شَكَرَ، وإذا ابْتُلي صَبَر، وإذا ظُلِم غَفَر.

وقال بعضُ الحكماء: خمسةُ أشياءَ تَتولَّدُ من خمسةٍ: حُسْنُ الصمتِ مِن العبادة، وحسْنُ الجِلْسَة من الرياسة، وحُسْن الاستماعِ من العِلْم، وحُسْنُ الخُلُقِ من الكَرَمِ، وحسْنُ الجِوار من الحِلْم.

وقال آخر: لا يكونُ الإنسان عالِماً حتى تَجتمِعَ فيه خمسةُ أشياء: غريزةٌ مُحتملَةٌ للتعلُّم، وعنايةٌ تامَّة، وكِفاية مُعيِّنة، واستنباطٌ[2] لطيفٌ، ومُعلِّم ناصحٌ.

وقال آخرُ؛ ينبغي للعاقل أن يكون مِنْ خمسةٍ على حذَرٍ: الكَريم إذا أهانَه، واللئيم إذا أكْرَمَه، والعاقلِ إذا أَحْرَجَه، والأَحْمقِ إذا مازَحَهُ، والفاجرِ إذا عاشَرَهُ.

وقال آخر: لا يَنبغي للعاقل أنْ يسْكُنَ بلداً ليس فيه خمسةُ أَشياءَ: سلطانٌ حازِم، وقاضٍ عادل، وطبيبٌ عالِم، ونَهْرٌ جار، وسُوقٌ قائم.

وقال آخر: مِنْ علامات العاقل خمسُ خصال: لا يَتكلَّفُ ما لا يُطيق، ولا يَسْعىٰ لما لا يُدْرِك، ولا يَنْظرُ فيما لا يَعْنيه، ولا يُنْفِقُ إلَّا بِقَدْرِ ما يَكْسِبُ، ولا يَطْلُبُ من الجَزاءِ إلَّا بمقدارِ ما عنده من الغناء.

وقال الأَحْنَفُ[3]: جُهْد البَلاءِ خمسةٌ: خادمٌ بطيء، وحطَبٌ رَطْبٌ يوقَدُ منه، وبيتٌ يَكُفُ[4]، وخوان[5] ينتظر، وجلواز[6] على الباب يَدُقُّ.

وقال آخر: لَا يَتِمُّ جمعُ المالِ إلَّا بخمسِ خصالٍ: التعبُ في كَسْبهِ، والشُغْل عن الآخرة في إصلاحه؛ والخوفُ من سَلْبه؛ واحتمالُ اسْمِ البخل دون مفارقته، ومقاطعةُ الإخوان بسَبَبِه.

---

(١) سبق التعريف به.

(٢) اختراع وتوليد.

(٣) سبق التعريف به، وهو الأحنف بن قيس.

(٤) يكفُ: يمنع ساكنه ويحميه ويكفيه.

(٥) مائدة.

(٦) شرطيّ، خادم.

فصل

ستة

قال رسولُ الله ﷺ: «إضمَنوا لي سِتّاً مِن أنفسكم أَضْمَنْ لَكُم الجنةَ:

أُصْدُقُوا إذا حَدَّثْتُمْ، وأَوْفُوا إذا وعَدْتُم، وأَدُّوا إذا ائتُمِنْتُم، واحفَظُوا فُروجَكُمْ[١]، وغُضُّوا أبصارَكم، وكُفُّوا أذاكم».

وقال عليه الصلاة والسلام: «قلَّما يَخلو الأحمقُ من سِتِّ خِصالٍ:

الغضَبُ مِنْ غَير شيء، والثقةُ بكل أحَد، والكلامُ في غير موضِعِه، والعطاءُ في غير حق، وقلَّةُ المعرفةِ بصديقهِ مِنْ عدوِّه، وإفشاءُ السرِّ».

وقال عليه الصلاة والسلام: «ستَّةٌ لا تُفارِقُهم الكآبةُ:

الحقودُ، والحَسودُ، وفقيرٌ قريبُ العهدِ بالغِنىٰ، وغَنيٌ يخشىٰ الفقْرَ، وطالبُ رتبةٍ يقْصُرُ عنها قَدْرُه، وجليسُ أهْلِ الأدبِ وليس منهم».

* * *

وقال أمير المؤمنين علي رضي اللهُ عنه: لا خيرَ في صحبةِ مَنْ اجتمعَ فيه ستُّ خِصالٍ: إنْ حدَّثَكَ كَذَبكَ، وإنْ حدَّثْته كذَّبَكَ، وإن ائتَمنْتَهُ خانكَ، وإن ائتَمَنَكَ اتَّهمكَ، وإنْ أنعمت عليه كَفَرَكَ[٢]، وإنْ أنعمَ عليكَ مَنَّ بنعمته.

وقال بعضُ الحكماء: ستَّةٌ تقبُحُ، وهي في ستةٍ أَقبَحُ: البخلُ في الأغنياء، والفُحْش في النساء، والصَّبْوة[٣] في الشيوخ. والزمانة[٤] في الأطباء، والغضَبُ في العلماء، والكَذِبُ في القُضاة.

وفي كتاب كليلة ودمنة: ستَّةٌ لا ثباتَ لها: ظلُّ الغَمام، وخُلَّةُ الأشرار[٥]،

(١) كناية عن الحصانة والعفّة، والفرْج: العضو الجنسي للذكر والأنثى.

(٢) كفر النعمة: أنكرها بسَتْرِها والجحود بها.

(٣) الجهلة. وقصد بها: الميل إلى معاشرة النساء وخاصة الشوابّ.

(٤) المرض المزمن.

(٥) مصادقتُهم.

والمالُ الحرامُ، وعِشْقِ النساءُ، والسلطانُ الجائرُ، والثناءُ الكاذِبُ.

* * *

وقال بعض الحكماء: عِمارةُ الدنيا مَنُوطَةٌ بستةِ أشياءَ:

أولها: التوفر على المناكح(١) وقوة الداعي إليها، التي لو انقطعتْ لانقطعَتْ أَسبابُ التناسُلِ معها.

وثانيها: الحُنُوُّ على الأَولاد، الذي لو زال من الحيوان، لزالَ سببُ التربية، وكان في ذلك الهلاكُ.

وثالثها: انبساطُ الأَملِ الذي به يتعاظَمُ الحِرْصُ على المعايش والمِهَن والعمَارة والعَمَل.

ورابعُها: عدَمُ العِلْمِ بمبْلَغِ الأَجَلِ الذي يَصِحُّ به انبساطُ الأَمل.

وخامسها: اختلافُ أحوالِ البشر في الغنىٰ والفَقْر، وحاجةِ بعضهم إلى بعض؛ فإنهم لو تساوَوْا في حالة واحدة هلَكُوا في الجملة، وهذا من نظام الحكمة.

وسادسها: وجودُ السلطان الذي لولا هَيْبتُه وكفُّه العُتاةَ(٢) بسَطْوته، لأَهْلَكَ الناسُ بعضَهم بعضاً.

وقال آخر: لا خيرَ في ستةٍ إلَّا مع ستَّةٍ: لا خيرَ في القول إلّا مع الفعل، ولا في المَنْظَر إلّا مع المَخْبَر، ولا في المال إلّا مع الإنفاقِ، ولا في الصَّدَقة إلا مع النيّة، ولا في الصُّحْبة إلا مع الإنصافِ، ولا في الحياة إلا مع الصحّة.

وقال آخرُ: يَنبغي للمَلكِ أن يكون له ستةُ أشياءَ: وَزيرٌ يَثِقُ به ويُفضي إليه بسرِّه، وحِصْنٌ يلجأ إليه إذا فَزِع، وسيفٌ إذا نازلَ الأَقرانَ(٣) لم يخَفْ نُبُوَّتَه(٤)، وذخيرةٌ خفيفةُ الْحِمل إذا نابَتْه نائِبةٌ حمَلَها معه، وامرأةٌ حَسْناءُ إذا دخَل إليها أذهبتْ همَّه، وطبَّاخٌ حاذِقٌ إذا لم يَشْتَهِ الطعامَ صنَع له ما يَشْتهيه.

وقال آخر: ستُ خصالٍ لا يُطِيقُها إلّا مَن كانت نفسُه شريفةً: الثباتُ عند حُدوثِ النِّعمة الجَسِيمة، والصبرُ عند نُزول المصيبةِ العظيمةِ، وجذْبُ النفْس إلى العقلِ عند دواعي الشهوة، وكتمانُ السرّ، والصبرُ على الجوعِ، واحتمالُ الجارِ.

وقال آخر: ستةُ أشياءَ تُنْقِصُ الحزنَ: استماعُ كلامِ الحكماء، ومحادثةُ

---

(١) الإقدام على النكاح (الزواج بكثرة) للرجل والمرأة على السواء.

(٢) المستكبر، واحدها عاتٍ، وهو الجبّار في سلوكه.

(٣) واحدها. قرين: نظير، وهي هنا بمعنى الرجال الفرسان.

(٤) شرحت اللفظة.

الأَصدقاءِ، والمشي في الخُضْرَة، والجلوسُ على الماء الجاري، ومَرُّ الأيام، والتأسّي بذوي المصائب[١].

وقال آخر: السخيُّ مَنْ كانت فيه ستُّ خلالٍ: وهو أن يكونَ مسروراً بِبَذْلِ ماله، متبرّعاً بعطائه، لا يُتْبِعُه منًّا ولا أذَى[٢]، ولا يَطْلبُ عليه عَوضاً من دنيا، يَرىٰ أنه بما يَفعلُه مؤدياً فرْضاً ويعتقد أنَّ الذي يَقْبَلُ عطاءه قاضٍ له حقًّا.

وقال آخر: أَصعَبُ ما على الإنسان ستةُ أشياء: أَن يَعرف نفْسَه، ويَعْرِفَ عَيْبَه، ويكْتُمَ سِرَّه، ويَهجُرَ هَواهُ، ويخالِفَ شَهْوتَه، ويُمْسِكَ عن القول فيما لا يَعْنيه.

وقال آخرُ لابْنِه: يا بنيَّ: إياكَ والعجَلةَ، فَإنَّ العَربَ كانت تُكَنِّيها «أُمَّ الندامة» لأن فيها عيوباً ستة: يقولُ صاحبُها قبل أن يَعْلَم، ويُجيبُ قبل أن يَفْهَمَ، وَيعْزِمُ[٣] قبل أن يُفَكِّرَ، ويقْطَعُ قبل أن يُقَدِّر، ويَحْمدُ قبل أن يُجرِّب، ويَذُمُّ قبل أن يَخْتَبِرَ.

---

(١) أي الاتعاظ بمصائب الآخرين وتأملها.

(٢) المنّ: التذكير بما فعل وقدّم، بغية المفاخرة والمباهاة.

(٣) يقرّر ويباشر بالتنفيذ.

فصل

سبعة

قال رسولُ الله ﷺ: «سبعةُ أشياءَ يُكْتَبُ للعَبْدِ ثوابُها بعْدَ وفاتِه:

رجلٌ غرَسَ نَخْلاً، أَوْ حَفَرَ بئراً، أو أجْرىٰ نهراً، أو بنىٰ مسْجداً، أو كتَبَ مُصْحَفاً، أوْ وَرَّث عِلْماً، أَوْ خلَّفَ وَلَداً صالحاً يَسْتغفِرُ له».

وقال عليه الصلاة والسلام: «سبعةُ أشياءَ تَدُلُّ على عقولِ أصحابها:

المالُ يَكشِفُ عن مقدار عقلِ صاحبه، والحاجَةُ تَكْشِفُ عن مقدار عقلِ صاحبها، والمصيبةُ تَدلُّ على مقدار عقلِ مَنْ نزلَتْ به، والغضَبُ يدلُّ على مقدار عقْلِ الغَضْبانِ، والكِتابُ يَدُلُّ على مقدار عَقْلِ كاتبه، والرسولُ يَدلُّ على مِقْدارَ عَقْل مُرْسِلِهِ، والهديةُ تدلُّ على مِقْدار عَقْلِ مُهْدِيها.

وقال بعضُ الحكماء: إجتَنِبْ سبْعَ خصالٍ يَسْتَرِحْ جسْمُكَ وقلْبُكَ، ويَسْلَمْ دِينُكَ وعِرْضُكَ:

لا تَحْزَنْ على ما فاتَكَ، ولا تحْمِلْ على قلبك هَمَّ ما لم يَنْزِلْ بِكَ، ولا تَلُم الناسَ على ما فيك مثْلُهُ، ولا تَطْلُبْ الجزاءَ على ما لَمْ تَعْمَلْ، ولا تَنظرْ بالشهوةِ إلى ما لا تَمْلِكُ، ولا تَغْضَبْ على مَنْ لا يَضرُّهُ غضَبُكَ، ولا تَمْدَحْ مَنْ يَعْلَمُ مِن نفْسِه خلافَ ذلك!

وقال آخر: مَنْ كانت فيه سَبْعُ خصالٍ لم يَعْدَمْ سَبْعاً: مَنْ كان جَواداً لم يَعْدَم الشرفَ، ومن كان ذا وفاء لم يَعْدَم المِقَةَ[١]، ومن كان منصفاً لم يَعْدَم العافيةَ، ومن كان ذا رعاية للحقوق لم يعدم السؤدد[٢]، ومن كان متواضعاً لم يعدم الكرامة.

وقال شريك بن عبد الله: سبعٌ مِنْ عجائِبِ الدنيا: عمياءُ مُتَنقِّبة[٣]، وسوداءُ

(١) الحبّ.

(٢) السؤدد: الرفعة.

(٣) على وجهها نقاب ـ إزار ـ برقع ـ حجاب. ويقال أيضاً: مُنْتَقِبَة.

مُخْتَضَبه[١]، وخَصيٌّ له امرأةٌ، ومُخَنَّثٌ[٢] يؤم قوماً، وأشعريٌّ شيعيٌّ[٣]، وحَنفيٌّ مُرْجئ[٤]، وعربيٌّ أشقر.

(١) ملوّنة بالخضاب؛ الصباغ أو بالحناء.

(٢) الذي يسلك سلوك النساء وهو بهيئة رجل.

(٣) الأشعريّة فرقة كلاميّة تخلّفت عن النزاع المستفحل بين الفرق الكلامية المغالية في تمسكها بالنصّ، والفرق الاعتزالية التي اعتمدت الفلسفة. عزّزها، في القرن الخامس الهجري، نظام المُلك الوزير السلجوقي، وأنشأ لها مدرسة في بغداد. وظهرت الأشعرية مع أبي الحسن الأشعري (٢٦٠ ـ ٣٢٤هـ/ ٨٧٣ ـ ٩٣٥م)، في إثر مناظرة دارت بينه وبين أستاذه أبي علي الجبّائي، رأس معتزلة البصرة آنذاك.

(٤) حنفي: ج أحناف: هم أهل السنّة التابعون في الفقه، مذهبَ أبي حنيفة وتلميذيه: أبي يوسف والشيباني. ومرجئ: أي من القائلين، بأن المسلم لا يفقد إيمانه بالخطيئة، وأن العقاب والثواب، والحُكم في المعاصي مُرْجأ إلى يوم القيامة.

فصل

ثمانية

قال رسولُ الله ﷺ لأصحابه: «ألا أخبركم بأشبهكم بي؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال: أَشْبَهُكُم بي مَنْ اجتمعَتْ فيهِ ثماني خِلالٍ:

مَنْ كان أَحْسَنَكم خُلُقاً، وأَعْظَمَكم حِلْماً، وأَبَرَّكم بقرابتِه، وأشدَّكم حُبًّا لإخوانِه في دينه، وأَصْبَرَكم على الحق، وأَكْظَمَكُم[1] للغيظ، وأكرَمكم عفواً، وأكثَرَكم مِن نفسه إنصافاً».

وقال الصادق[2] رضي الله عنه: يَنبغي أن يكون في المؤمن ثماني خصالٍ: وَقارٌ عند الهَزَاهِزِ[3]، وصَبرٌ عند البَلاء، وشُكْرٌ عند الرَّخاء، وقُنوعٌ بما رزقَه اللّهُ عزَّ وجلَّ، ولا يَظْلِمُ الأعداءَ، ولا يَتحامَلُ الأصدقاءَ، وأن يكن[4] بَدَنُهُ معه في تَعَب، والناسُ معه في راحة.

وقال بعضُ الحكماء: يَنبغي أن يَجْتمِعَ في قائد الجيش ثماني خصالٍ: وثْبَةُ الأسد، واستلابُ الحِدأَة[5]، وخَتْلُ[6] الذئبِ، ورَوَغانُ[7] الثعلب، وصبْرُ الجَمل، وحَمْلة[8] الخنزيرِ، وبُكورُ[9] الغُرابِ، وحراسةُ الكُرْكي[10].

وقال آخر: ثمانيةٌ إذا أُهينوا فلا يَلُوموا إلَّا أَنْفُسَهم: الآتي مائدةً لم يُدْعَ إليها،

---

(١) أكثركم حَبْساً للغيظ وإمساكاً له، على قناعة كان ذلك أم لا.

(٢) الصادق، هو الإمام جعفر الصادق، السابق تعريفه.

(٣) الفِتَنُ يهتز فيها الناس. قصد أن يُمسك المرءُ نفسه من الطرب والاهتزاز الشديد أمام لحظات الفرح الشديد وما يشابه (انظر: اللسان [هزهز] ٥/ ٤٢٤).

(٤) هكذا وردت (يكن) وصوابها: يكون.

(٥) طائر من الجوارح ينقض على فريسته بسرعة فيقال: أخطف من الحِدأة. وهذا معنى الاستلاب هنا.

(٦) خداع.

(٧) الاحتيال والمداورة.

(٨) الحملة: الكرّة في الحرب.

(٩) الانطلاق المبكر في نهاره.

(١٠) نوع من الطيور، كبير الحجم، طويل العنق والرجلين، أبتر الذنب، يأوي إلى الماء أحياناً (المعجم الوسيط ٢/ ٧٨٤: كرك).

والمتأمِّرُ على صاحب البيت في بيته، والداخلُ بين اثنين في حديثٍ لم يُدْخِلاهُ فيه، والمُسْتخِفُ بالسلطانِ، والجالِسُ في مجلسٍ ليس له بأهلٍ، والمُقْبِلُ بحديثه على من لا يَسْمَعُه منه، وطالِبُ الخير من أعدائه، وراجي الفَضْلِ مِنْ عندِ اللئام.

وقال لؤي بن غالب[(١)] لامرأته: أيُّ بَنيكِ أحبُّ إليك؟ فقالتْ: الذي اجتمعتْ فيه ثماني خلالٍ. لا يُخامِرُ[(٢)] عقلَه جهلٌ، ولا يُخالِطُ حِلْمَهُ سَفَهٌ، ولا يَلْوي لسانَه عيٌّ، ولا يُفْسِدُ يَقينَه ظَنٌّ، ولا يُغَيِّر بِرَّهُ عُقوقٌ[(٣)]، ولا يَقْبِضُ يَدَه بُخلٌ، ولا يُكَدِّرُ صُنْعَه مَنٌّ[(٤)]، ولا يَرُدُّ إقدامَهُ جُبْنٌ. قال: ومَنْ هو؟ قالتْ: ولدُكَ كَعْب.

وقال آخر: ثمانيةٌ لا تُمَلُّ: خبزُ البرِّ، ولَحْمُ الضأنِ[(٥)]، والماءُ البارِدُ، والثوبُ الليِّنُ؛ والفِراش الوطيء، والرائحةُ الطيبةُ، والنظرُ إلى كل حَسَنٍ، ومحادثةُ الإخوان.

---

(١) لؤي بن غالب بن فهر، من قريش، كنيته أبو كعب، وهو من النَّسب النبوي الشريف. جاهلي قديم ولا تعرف سنة ولادته ووفاته.

(٢) يخالط.

(٣) نكران الفضل.

(٤) تذكير بالفضل.

(٥) لحم الضأن: لحم الغنم.

فـصـل

تـسـعـة

قال أبو عبيدةَ مَعْمر بن المثنى:[(١)] ارتجلَ عليّ بنُ أبي طالب رضي اللهُ عنه تِسْعَ كلماتٍ، قَطعتْ الأطماعَ عن اللّحاقِ بواحدةٍ منهنّ. ثلاثٌ في المناجاة، وثلاث في العِلْم، وثلاث في الأدب.

فأمَّا التي في المناجاة فقوله: كَفاني عِزّاً أن تكون لي ربّاً، وكفاني فخراً أن أكون لكَ عبْداً، أنتَ لي كما أُحِبُّ فَوفِّقْني لِما تُحِبُّ.

وأمَّا التي في العلم فقوله: المرءُ مخبوءٌ تحتَ لسانه، تكلَّموا تُعْرَفوا، ما ضاع امرؤ عرَفَ قدْرَهُ. وأمَّا التي في الأدب، فقولُه: أَنعِمْ على مَنْ شئْتَ تَكُنْ أميرَه، واستغْنِ عمَّنْ شئْتَ تكنْ نظيرَه، واحْتَجْ إلى مَنْ شِئْتَ تكنْ أسيرَه.

* * *

وقيل لحكيم. ما النِّعمةُ؟ قال: هي في تسعة أشياءَ:

في الغِنَى. فإني رأيتُ الفقَير لا يَنتفِعُ بعيشٍ؛ وحسْنِ الخُلُقِ، فإني رأيتُ الضَّجُورَ لا ينَتفِعُ بعيشٍ؛ والشبابِ، فإني رأيْتُ الهرِمَ لا ينتفِعُ بعيش؛ والعِزِّ، فإني رأيتُ الذليلَ لا يَنتفِعُ بعيشٍ؛ والوطنِ، فإني رأيتُ الغريبَ لا ينتفِعُ بعيشٍ، والإخوانِ، فإني رأيتُ الوحيدَ لا ينتفِعِ بعيشٍ، والزوجةِ الصالحةِ؛ فإني رَأيتُ الأعزَبَ لا ينتفِعُ بعيشٍ.

وقال آخر: تسعةُ خصالٍ تَضرُّ وتعرُّ[(٢)] وليس لأحدٍ فيها عذْرٌ: الحقدُ، والحَسدُ، والبُخل، والجُبْنُ، والغِيبةَ، والنَّميمةُ، والخِيانة، والكَذِبُ، والغَدْرُ.

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) عرّ: نشرَ الشرّ.

فصل

عَشَرة

قال رسول الله ﷺ: «الإيمانُ في عَشَرةِ أشياءَ: المعرفةُ، والطاعةُ، والعِلْم، والعَمل، والورَعُ[١]، والاجتهادُ، والصبرُ، واليقينُ، والرضا، والتسليمُ، فأيُّها فَقَدَهُ صاحِبُه بطلَ نِظامُه».

وقال بعضُهم: إحفظْ عَشْراً من عَشْر: أناتَك من التَّواني[٢]، وإسراعَكَ من العَجَلة، وسخاءَكَ من التبذير، واقتصادَكَ من التقتير[٣]، وإقدامَكَ من الهَوَج[٤]، وتَحرُّزَكَ[٥] من الجُبْنِ، ونزاهتَك من الكِبْر، وتواضُعَكَ من الدناءة، وأُنْسَكَ من الاغترار، وكِتْمانَكَ من النسيان.

وقال آخرُ: في السفر عَشْر خصالٍ مذمومة: مُفارقَةُ الإنسانِ مَن يَألفُهُ، ومُصاحَبَةُ من لا يُشاكِلُه، والمُخاطَرة بما يَمْلِكُه، ومخالفةُ العادةِ في أكله ونَومه، ومباشرةُ الحَرِّ والبَرْدِ بجسمه، ومجاهَدَةُ البَوْل في إمساكه، ومقاساةُ سُوءِ عِشْرةِ المَكارين[٦]، وملاقاة الهَوانِ[٧] من العَشّارين[٨]، والدهشة التي تنالُه عند دُخول البلدِ، والذلُّ الذي يلحَقُه في ارتياد المَنزِل.

وقال الحَسنُ بن سَهل[٩]، الآدابُ عشرةٌ، فثلاثةٌ منها شَهْرَجانية وثلاثة أنوشروانية. وثلاثة عربية، وواحدة أَبَرَتْ[١٠] عليهنَّ. فأمَّا الشهرجانية: فالضربُ بالعود، واللعبُ بالشِّطْرَنْج، واللعبُ بالصوالج[١١]. وأمَّا الأنوشروانية: فالطبُّ، والهندسةُ، والفروسيةُ. وأما العربية: فالشِّعرُ، والنَّسَبُ، وأيامُ العَرب. وأما الواحدة التي أبَرتْ عليهن؛ فمقطَّعاتُ الحديثِ والسِّيرُ وما يتذاكَرُه الناس بينهم في المجالِس.

(١) الورَعُ: مخافة الله.
(٢) التواني: التراخي والإهمال.
(٣) البخل.
(٤) الطيش والحُمْق.
(٥) تحفُّظك.
(٦) المخادعين المحتالين.
(٧) الذلّ.
(٨) العشار: آخذُ العُشْرِ من تحصيل الضرائب، أو من يأخذ عمولة على السِّلع والبضاعة.
(٩) سبق التعريف به.
(١٠) غلبت وفاقت على ما عداها.
(١١) الصوالج، واحدها صَوْلَج وصولجان: عصاً معقوفٌ طَرفُها، يضرب بها الفارسُ الكرةَ.

بـــاب

الفصول القصار
من البلاغة والحكمة

فصل

في ألفاظٍ يُتمثَّل بها من القرآن الكريم

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾(١). ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾(٢). ﴿لَن تَنَالُوا ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾(٣). ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾(٤). ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾(٥). ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾(٦). ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾(٧). ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ﴾(٨). ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾(٩) ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ﴾(١٠). ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾(١١). ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾(١٢). ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(١٣). ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾(١٤). ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾(١٥). ﴿عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾(١٦). ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا بِمَآ أُوتُوٓا أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾(١٧). ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾(١٨). ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾(١٩). ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾(٢٠). ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾(٢١). ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾(٢٢). ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾(٢٣). ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾(٢٤). ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾(٢٥). ﴿كُلُّ

---

(١) تمام الآية ٥٨ من سورة النجم.
(٢) جزء من الآية ١٨٧ من سورة الأعراف.
(٣) جزء من الآية ٩٢ من سورة آل عمران.
(٤) جزء من الآية ٧٨ من سورة يس.
(٥) جزء من الآية العاشرة من سورة الحج.
(٦) جزء من الآية ٤١ من سورة يوسف.
(٧) جزء من الآية ٨١ من سورة هود.
(٨) جزء من الآية ٩٥ من سورة الأعراف.
(٩) جزء من الآية ٥٤ من سورة سبأ.
(١٠) جزء من الآية ٦٧ من سورة الأنعام.
(١١) جزء من الآية ٤٣ من سورة فاطر.
(١٢) جزء من الآية ٨٤ من سورة الإسراء، والشاكلة: المثال.
(١٣) جزء من الآية ١٩ من سورة النساء.
(١٤) جزء من الآية ١٢٠ من سورة آل عمران.
(١٥) جزء من الآية ٣٨ من سورة المدثر.
(١٦) جزء من الآية ٤٠ من سورة طه.
(١٧) جزء من الآية ٤٤ من سورة الأنعام.
(١٨) جزء من الآية ٩٩ من سورة المائدة.
(١٩) جزء من الآية ٩١ من سورة يونس.
(٢٠) جزء من الآية ٢٤٩ من سورة البقرة.
(٢١) جزء من الآية ٩١ من سورة التوبة.
(٢٢) جزء من الآية ١٤ من سورة الحشر.
(٢٣) جزء من الآية ٦٠ من سورة الرحمن.
(٢٤) جزء من الآية ١٤ من سورة فاطر.
(٢٥) جزء من الآية ٢٣ من سورة الأنفال.

حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[1]. ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[2]. ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ
وَٱلطَّيِّبُ﴾[3]. ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾[4]. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[5].
﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾[6]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[7]. ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ
بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[8]. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن
يَشَآءُ﴾[9]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[10]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾[11]. ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا
مُعْرِضِينَ﴾[12]. ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[13]. ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ
وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[14]. ﴿۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ
يَعْمَهُونَ﴾[15]. ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[16]. ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا
عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[17]. ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾[18].
﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[19]. ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[20]. ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟
أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[21]. . ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾[22]. ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾[23].
﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾[24]. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[25]. ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا
جَمِيلًا﴾[26]. ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾[27]. ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾[28]. ﴿إِنْ
هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾[29]. ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾[30]. ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾[31]. ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ

---

(١) جزء من الآية ٥٣ من سورة المؤمنون.
(٢) مطلع آخر آية في سورة البقرة.
(٣) جزء من الآية ١٠٠ من سورة المائدة.
(٤) جزء من الآية ٢١ من سورة الشعراء.
(٥) جزء من الآية ٢٤ من سورة صَ.
(٦) جزء من الآية ١٣ من سورة سبأ.
(٧) جزء من الآية الثانية من سورة الصف.
(٨) جزء من الآية ٨٥ من سورة البقرة.
(٩) بعض الآية ٤٩ من سورة النساء.
(١٠) بعض الآية ١٠١ من سورة المائدة.
(١١) بعض من الآية ١٠٥ من سورة المائدة.
(١٢) بعض من الآية ٤ من سورة الأنعام.
(١٣) بعض من الآية ٢٨ من سورة الأنعام.
(١٤) بعض من الآية ٩٨ من سورة المائدة.
(١٥) جزء من الآية ٧٥ من سورة المؤمنون.
(١٦) الآيتان ٢١ و٢٢ من سورة الغاشية. وجاء «بمصيطر» (بالصاد).
(١٧) آخر الآية ٢٣ من سورة الزخرف.
(١٨) جزء من الآية ٣٨ من سورة الزخرف.
(١٩) بعض الآية ٣٦ من سورة الذاريات.
(٢٠) بعض الآية ٥٥ من سورة الذاريات.
(٢١) آخر الآية ٣٢ من سورة النجم.
(٢٢) من الآية ٢٩ من سورة الرحمن.
(٢٣) من الآية ١٨٥ من سورة الأعراف.
(٢٤) تمام الآية ٢٢ من سورة النجم.
(٢٥) من الآية ١٣٢ من سورة الأنعام.
(٢٦) آخر الآية العاشرة من سورة المزمل.
(٢٧) الآية ٣٤ من سورة النجم.
(٢٨) من الآية ٤٦ من سورة فصلت.
(٢٩) من الآية ١٥٥ من سورة الأعراف.
(٣٠) جزء من الآية ٢٤ من سورة صَ.
(٣١) من الآية الثانية من سورة الحشر.

تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[١]. ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾[٢]. ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾[٣]. ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[٤]. ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾[٥]. ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾[٦]. ﴿وكَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾[٧]. ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾[٨]. ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾[٩]. ﴿وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾[١٠]. ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[١١]. ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[١٢]. ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾[١٣].

---

(١) من الآية ٧٦ من سورة الواقعة.
(٢) من الآية الثالثة من سورة الملك.
(٣) من الآية ٨٨ من سورة صٓ.
(٤) من الآية ٦٧ من سورة الفرقان.
(٥) الآية الخامسة من سورة التكوير.
(٦) من الآيتين ٣١ من سورة الأنبياء، والعاشرة من سورة لقمان.
(٧) من الآية ٩٢ من سورة الأعراف.
(٨) من الآية ٦١ من سورة الصافات.
(٩) من الآية ٧٧ من سورة القصص.
(١٠) من الآية ٧٧ من سورة القصص.
(١١) الآية ٢٦ من سورة الرحمن.
(١٢) من الآية ١٨٥ من سورة آل عمران.
(١٣) من الآية ١٥ من سورة الطور.

فصل

في أمثال العرب

مَرْعًى ولا كالسَّعدان(١)، ماءٌ ولا كَصدَّاء(٢)؛ فتًى ولا كَمالِكٍ(٣)؛ شَبَّ عمرو عن الطَّوْقِ(٤)؛ أتتْكَ بحائنٍ رِجْلاه(٥)؛ في بيته يؤتى الحكم؛ مع الخواطئ سهم صائب(٦)؛ أهونُ هالكٍ عَجوزٌ في سَنة(٧)؛ سكَتَ ألفاً ونطَقَ خَلْفاً(٨)؛ في الصيف ضَيَّعْتِ اللبن(٩)؛ أَنجَزَ حُرٌّ ما وَعَدَ(١٠)؛ أُريها السُّها وتُريني القَمَرَ(١١)؛ ليس هذا عشُّكِ فادْرُجي(١٢)؛ اسْتَنَّتِ الفِصَالُ حتى القَرْعَى(١٣)؛ يَحْمِلُ شَنٌّ ويُفَدَّى لُكَيْزٌ(١٤)؛ نَعِمَ كَلْبٌ مِنْ بُؤْس أهله(١٥)؛ يداكَ أَوْكَتا، وفُوكَ نَفَخَ(١٦)؛ إنْ ذَهَبَ عَيْرٌ فعَيْرٌ في

---

(١) السعدان: نبت خثر اللبن ينبت بالسهول؛ ومرعاه من أنجع المراعي.

(٢) أفضل ماء عند العرب. يضرب في التسليم بفضل الواحد وتفضيل الآخر عليه.

(٣) هو مالك بن نويرة: قتله خالد بن الوليد وبكاه أخوه متمّم بكاة مرّاً. وتوفي مالك سنة ١٢هـ/ ٦٣٤م.

(٤) بلغ، واستوى قوامه وجسده وأدرك مسؤولياته، ولم يعد صغيراً.

(٥) يضرب مثلاً في الرجل يسعى إلى المكروه، حتى يقع فيه. والحائن قاصد الموت.

(٦) مثل يضرب لمن تكثُرُ أحكامه وهي مقبولة لكلا الطرفين (مجمع الأمثال جـ٢/ ٧٢).

(٧) مثال شبيه بقولهم: رمْيَةٌ من غير رام (وفي مجمع الأمثال ٢/ ٢٨٠: من الخواطئ...).

(٨) أصله: أهون هالكٍ عجوزٌ في هام سَنَة. يُضرب للشيء يُستخفُّ به وبهلاكه (مجمع الأمثال٢/ ٤٠٦).

(٩) الخَلْفُ: الرديء من القول، ومعناه: سكتَ ألفَ سكتةٍ ثم تكلّم بخطأ (مجمع الأمثال ١/ ٣٣٠) (اقرأ حكاية المثل في لسان العرب [صيف] ٩/ ٢٠٢).

(١٠) يضرب لمن يفي بوعده.

(١١) يضرب لمن يغالط في ما لا يخفى.

(١٢) يضرب لمن يرفع نفسه فوق قدره، أو لمن يتعاطى ما لا ينبغي له.

(١٣) يضرب للذي يتكلّم مع من لا ينبغي أن يتكلّم بين يديه، لجلالة قدره (اللسان: [سنن]، ومجمع الأمثال ١/ ٣٣٣).

(١٤) شنّ ولكيز ابنا أفصى بن عبد القيس، وكانا مع أمهما ليلى بنت قران، في سفر. حتى إذا نزلت طوّى. فلما أرادت الرحيل فدت لكيزاً ودعت شناً ليحملها، فحملها وهو غضبان. حتى إذا كانوا في الثنية، رمى بها عن بعيرها، فماتت، فقال ذلك. فأرسلها مثلاً (مجمع الأمثال ٢/ ٤١٣).

(١٥) وذلك أن الجدب والبؤس يُكثر الموتى والجِيَف، وذلك نعيمُ الكلب (مجمع الأمثال ٢/ ٣٣٦).

(١٦) يضرب لمن يجني على نفسه الحَيْنَ (المثل في مجمع الأمثال ٢/ ٤١٤).

الرُّباط[١]؛ رَمتْني بدائها وانسلَّتْ[٢]؛ لا تَعْدَمُ الحَسناءُ ذاماً[٣]؛ رِجْلا مُستعيرٍ أسرَعُ من رجْلَيْ مؤدٍّ[٤]؛ إذا عزَّ أخوك فهُنْ[٥]؛ تَسْمَعُ المُعيديِّ خيرٌ من أنْ تَراه[٦]؛ يا عاقِدُ اذكُرْ حَلّاً[٧]؛ يرْكَبُ الصعْبَ مَنْ لا ذَلولَ له[٨]؛ غَثُّكَ خيرٌ لكَ من سَمينِ غَيْرِك[٩]؛ مُكْرَهٌ أخوك لا بَطَلٌ[١٠]؛ منْ يأتِ الحكَمَ وحْدَه تُفْلِجْ حُجَّتُه[١١]؛ يا لها سَعَةَ لو أنَّ معها دَعَةً[١٢]. حال الجريضُ دون القَريض[١٣]؛ المَنيَّة ولا الدنية[١٤]؛ تَرْكُ الخِداع مِن كَشف القِناع؛ بِكلِّ وادٍ بنو سَعْد[١٥]؛ مَنْ استرعىٰ الذئب ظَلَم[١٦]؛ من أكْثَر أهْجَرَ[١٧]؛ كمُعلِّمَةِ أُمِّها البِضاعَ[١٨]؛ تجوعُ الحرةُ ولا تأكل بثَدْيَيْها[١٩]؛ أنيسا[٢٠] آكُلُ لحمي ولا أدَعُه لآكِلَ[٢١]؛ لا عطْرَ بعدَ عَروسٍ[٢٢]؛ بلغَ السيلُ الزُّبىٰ[٢٣]؛ سبَقَ السَّيفُ العَذَلَ[٢٤]؛ أَطِرِّي فإنكِ

---

(١) يضرب في الرضا بالحاضر وترك الغائب (لسان العرب [عير] ٤/ ٦٢٠).

(٢) يضرب لمن يُعيِّر صاحبه بعيب هو فيه.

(٣) الذَّامُ: العيب يضرب لمن يتوخّى الكمال في الآخر.

(٤) يُضرب لمن يسرع في الاستعارة، ويبطىء في الردّ.

(٥) إذا عاسرك أخوك ياسِرْه.

(٦) يضرب لمن خَبَرُهُ خيرٌ من مرآه (اقرأ تفصيل حكاية المثل في **مجمع الأمثال** ١/ ١٢٩ ـ ١٣١).

(٧) يضرب مثلاً للنظر في العواقب.

(٨) أي، يحمل المرء نفسه على المشقّة، إذا لم ينل طلبه بالهوينا.

(٩) اقرأ تفاصيل المثل في **مجمع الأمثال** ٢/ ٥٨ ـ ٦٠.

(١٠) يضرب لمن يحمل على ما ليس من شأنه (**مجمع الأمثال** ٢/ ٣١٨).

(١١) لأنه لا يكون معه من يكذِّبُه.

(١٢) أنا ميسور الحال، ولكنّي لست في دعة وطمأنينة.

(١٣) يضرب للأمر يُقدر عليه أخيراً، بعد فوات الأوان. أو يُضرب لأمر يحولُ دونه عائق (**المعجم الوسيط** ١/ ١١٧).

(١٤) أختار الموت على العار.

(١٥) يضرب لمن رأى من قومه، ومن سواهم، ما يسوء (**مجمع الأمثال** ١/ ٩٥ و١٠٥).

(١٦) يضرب لمن يولّي غير الأمين.

(١٧) الإهجار: الإفحاش. يضرب لمن يأتي في كلامه بما لا يعنيه.

(١٨) يضرب لمن يجيء بالعلم لمن هو أعلم منه. والبضاع: الجماع.

(١٩) يضرب في صيانة الرجل نفسه من خسيس مكاسب الأموال.

(٢٠) كذا وقعت هذه اللفظة في الأصل، ولا وجود لها في **مجمع الأمثال**.

(٢١) يضرب للرجل يصيب نفسه وعشيرته بمكروه، ويأبى أن يصيبه به غيره.

(٢٢) يضرب لمن يرغب عن جديده، ويحنّ إلى قديمه.

(٢٣) الزبى: الرابية، يضرب لما جاوز الحدّ، وعند اشتداد الأمر.

(٢٤) قضي الأمر، ولا يُجدي الرجوعُ عن أمرٍ قد نُفِّذَ.

ناعلةٌ[١]؛ أحشفاً وسُوءَ كَيْلَةٍ[٢]؛ أَنْجَدَ مَن رأىٰ حِضْناً[٣]؛ خَيرُ إناءَيْكِ تَكْفَئِينَ[٤]؛ لا رأيَ لكَذُوبٍ؛ شَغَلتْ شِعَابي[٥] جَدْواي[٦]؛ التصريحُ مما يُريحُ؛ طال الأَمَدُ على لُبَدٍ[٧]؛ إذا جاء الْحَينُ غطّى على العَيْنِ[٨]؛ الحرُّ حُرٌّ وإن مَسَّهُ الضُّرُّ[٩]؛ العبْدُ عبْدٌ وإن كان في رَغَدٍ، لا تَهْرِف بمَا لا تَعْرِفُ[١٠]؛ عاد غَيْثٌ على ما أفسَدَ[١١]؛ من يُرِ يوماً يُرَ به[١٢]؛ من يَسْمَعْ يَخَلْ[١٣]؛ المرءُ يَعْجَزُ لا مَحالَةَ[١٤].

---

(١) أدِلّي على المشي فإنك غليظة القدمين لا تحتاجين إلى النعلين (لسان العرب: [نعل] ١١/ ٦٦٨).

(٢) يضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين. الكيلة (فَعلة) من الكيل. والحشف: أردأ التمر.

(٣) أنجد: بلغ نجداً. يضرب في الدليل على الشيء. وحِضْن: اسم جبل قريب من نَجْد.

(٤) يضرب في موضع حرمان أهل الحُرمة، وإعطاء من ليس كذلك. وكفأ الإناء: قَلَبَه وكَبّه.

(٥) شغلتني النفقة على عيالي عن الإفضال على غيري.

(٦) الجدوى: العطاء. أي شغلتني النفقةُ على عيالي عن الإفضال على غيري (مجمع الأمثال ١/ ٣٥٨).

(٧) لبد: آخر نسور لقمان بن عاد. يضرب لمن عُمِّر طويلاً.

(٨) إذا جاء القَدَر عميَ البصر.

(٩) الضرّ: السّوء والضرر. أي لا يتأثر الحرُّ في سلوكه الشريف، بأي أذًى أو سوء.

(١٠) يضرب لمن يتعدّى في مدح الشيء، قبل تمام معرفته. والهَرْف: الهذَيان.

(١١) يضرب للرجل فيه فساد، فيعيد سيرته ويزداد الفساد.

(١٢) كما تُعامِل تُعامَل. وقصة المثل في (مجمع الأمثال ٢/ ٣٠٤).

(١٣) من يسمع أخبار الناس ومعايبهم يقع في نفسه عليهم بالمكروه (مجمع الأمثال ٢/ ٣٠٠).

(١٤) لا تضيق الحيل ومخارج الأمور إلا على العاجز. والمحالة هنا: المكابدة والتظاهر بالقوة.

وهكذا يرى القارئ أن معظم هذه الأقوال والأمثال، إن لم نقل جميعها، قد وردت في مجمع الأمثال، للميداني، أحلنا القارئ إلى بعضها وأغفلنا الباقي لسهولة الرجوع إليه.

فصل

الأَخبار بما أَوَّلهُ ألِفٌ

السعيدُ مَنْ وُعِظَ[١] بِغَيْره. الأعمال بخَواتيمها[٢]. النـاسُ كإبِلٍ مايةٍ[٣] لا تكاد تَجد فيها راحلةً. التوبةُ تهدم الحَوْبَةَ[٤]. التحدث بالنِّعَم شُكْرٌ. الدالُّ على الخيرِ كفاعِلِهِ. الصبرُ عند الصَّدمةِ الأُولى. آفةُ العِلْمِ النِّسْيان. النَّاسُ نيامٌ فإذا ماتوا انتَبهوا. الحِلْم سجيَّةٌ[٥] فاضلةٌ. الصاحِب مناسِبٌ. الإنصافُ راحةٌ. العَجَلةُ زَلَلٌ. التواني إضاعة. الصُّدودُ آية المَقْت. الفكرةُ مرآةٌ صافية. المودَّةُ قَرابةٌ مُسْتفادة. أَخْلَقُ بمَنْ غدَرَ ألَّا يُوفَىٰ له. الهَيْبَةُ مقرونةٌ بالخيبة. الحياءُ مقرونٌ بالحرمان. المؤمنُ لا يَحِيفُ[٦] على مَنْ يُبْغِضُ. الفقرُ يُخْرِسُ الفَطِنَ عن حُجَّته. النـاسُ أعداءُ ما جَهِلوا. أفضلُ المعروف نَصْرةُ الملهوفِ. التواني عن العناية بالخير شرٌّ كبيرٌ. الجُودُ حارسُ العِرْض من الذمِّ. الكاملُ مَن عُدَّتْ هَفَواتُه. الجودُ بذْلُ الموجودِ. الحقُّ ما أَقْصىٰ عنكَ ما تَكْرَهُ، وجلَب إليكَ ما تُحِبُّ. المرَضُ حَبْسُ البَدَنِ، والهمُّ حبْسُ الروح. الأَطرافُ منازِلُ الأشراف. إعلانُ الشماتة كَيْدُ العدوِّ العاجِز. العيونُ طلايعُ القلوبِ. العِشقُ داءٌ لا يَعْرِضُ إلَّا للقلوب الفارغة. أَوجَعُ الضربِ ما لا يُمكنُ معه البُكَىٰ[٧]. العَبدُ مَنْ لا عَبْد له. النـاسُ على دينِ المَلِك. المَفروحُ به هو المحزونُ عليه. الأناةُ محمودةٌ إلَّا عند إمكان الفرصةِ. الإرجافُ زَنْدُ الفتنة[٨]. الولايةُ وكْلُ مَدْح، والعَزْلُ وكْلُ ذمّ[٩].

(١) ذو الجدّ من اعتبر بما لحق غيره من المكروه، فيجتنب الوقوع في مثله.
(٢) خير الأمور أحمدها عاقبة.
(٣) إنّهم كثر، ولكن قلّ منهم من يكون فيهم خير. والراحلة: الناقة الصالحة للسفر.
(٤) الحوبة: الخطيئة.
(٥) سجيّة: خُلُق.
(٦) لا يشذّ المؤمن ولَا يظلِم. ويحيف: يَجُورُ.
(٧) البُكاء والبُكى واحد، وهو الدمع المصحوب بالحزن، والفعل: بكى يبكي.
(٨) الكذب سبب الفتنة.
(٩) الوكْل ـ هنا ـ مدعاة، لكلا المدح والذَّمّ.

السلاحُ ثم الكفاحُ. المساوَرةُ[١] قبل المشاورة. التوقيفُ قبل التعنيف. الفِرارُ في وقته ظَفَرٌ. المذاكرةُ صَيْقَلُ[٢] العقل. أقْصَرَ لما أنْصَرَ[٣]. الدهرُ أفصحُ المؤدبين[٤]. أجلستُ عبْدي فاتّكأ. أُعطِيَ العبدُ كراعا فطلبَ ذراعاً[٥]. النساء يَغْلِبْنَ الكرامَ ويَغلبُهُنّ اللئامُ. النَّسيئةُ[٦] نِسْيانٌ والتقاضي هَذيانٌ.

اصطلحَ الخصْمانِ وأبى القاضي. البطنة تُذهِب الفطنة[٧]. العاقلُ يتركُ ما يُحِبُّ خوفاً من العلاج بما يَكرَهُ. الشرُّ يأتي مَن لا يأتيه. اللئامُ أصبرُ أجساداً؛ والكِرامُ أصبرُ أنفُساً. الجهلُ موتُ الأحياء. المُستشيرُ على طَرف النجاح. الأحمقُ في شبابه خَرِفٌ. الزلَلُ[٨] مع العَجَلِ. أشدُّ الجهادِ مُجاهَدةُ الغَيْظ[٩]. الرأْيُ نائمٌ والهوى يَقْظانٌ. الشكرُ أفضَلُ من النِّعم لأنه يَبْقى وتلك تَفْنى. النظرُ إلى الأحمق سُخْنةُ عَيْنٍ[١٠]. المحبوبُ مَسْبُوبٌ. أقربُ رأيَيْكَ إلى الصوابِ أبْعَدُهما مِن هَواك. الحِذْقُ[١١] لا يزيد في الرزقِ. الطمعُ خَمْرٌ بغيرِ مِزاج. الأماني أحلامُ المستيقِظِ. أعْرَفُ الناس بالعُوّارِ[١٢] المُعَوَّرُ. اليأسُ حرٌّ والأملُ عَبْدٌ. أسرَعُ الناس إلى الفتنة أقلُّهم حياءً من الفِرار. الأماني تُعْمي عيونَ البَصائر.

الأماني تَخْدَعُك، وعند الحقائقِ تدَعُكَ. العفوُ عن المُقِرِّ لا عن[١٣] المُصِرِّ. أزْهَدُ الناس في عالِمٍ أهْلُهُ. النصحُ بين المَلإِ تَقْريعٌ[١٤]. الطبيعةُ مُصَارفة[١٥] فإذا

---

(١) المساورة: تردُّد الأفكار والهواجس في النفس.

(٢) مصدر أو اسم من [صقَل] جَلا.

(٣) أمسك عن الطلب، لمّا رأى سوء العاقبة.

(٤) الدهر خيرُ معلّم.

(٥) الكراع: قياس أقصر من ذراع. يعني: الطمع في الاستزادة.

(٦) النسيئة: تأخير موعد القبض لمن باع سلعةً أو حقاً.

(٧) مَلْءُ المعدة بالأكل، يُذهِب قدرات التفكير والذكاء.

(٨) الانزلاق: وههنا الخطأ السريع.

(٩) البطلُ مَن كَبَحَ جماحَ غضبه.

(١٠) سُخْنة العين: اضطرابها وعدم توازنها.

(١١) الحذق: المهارة.

(١٢) العُوّار: العيب، أو ما يصيب العين من انحراف نظر. والمعوّر: المصاب بالعُوّار.

(١٣) العفو عن المعترف بالذنب، لا عن المصرّ على الخطأ.

(١٤) التقريع: التوبيخ.

(١٥) مصارفة (بفتح الراء أو كسرها) مكلّفةٌ بالصَّرف أو الانصراف ـ فالطبيعة ههنا، طاقات مصروفة وفقاً لتوازن العقل في الحياة، إن زاد العقل فيها قلَّ الرزق. هكذا يريد المؤلف. وقد لا نوافقه على ذلك لأن العقل لا يكون سبباً في نُقصان المال أو الرزق، بل قد يكون عاملاً في زيادته، إلّا إذا أراد المؤلف تطبيق القول المأثور: لا يجتمع علمٌ ومال في رجل واحد.

زادتْ في العقلِ نقَصتْ من الرِّزْق. الأَملُ رفيقٌ مؤنسٌ إنْ لم يَنفَعْك أَلْهاكَ. أنت أَخُو العِزَّة ما التحفتْ بالقَناعة. المَنِيَّةُ تَضحكُ من الأُمنِيَّة. السِّلْمُ سُلَّمُ السَّلامة. الرُّشا رَشَا الحاجةِ[١]. البخْلُ سُوسُ السياسة. البِشْرُ عنوانُ الكَرَم. البَشْرُ نَوْرُ الإنجاب. عَطاءُ الشعراء[٢] مِن فُروضِ الأُمَراء. إعطاءُ الشاعر ضَرْبٌ من بِرِّ الوالدَيْن. أَفْضَلُ المدحِ ما كان على أَلسنة الأَحرارِ. الليل يكْفيكَ الجبانَ ويَصِفُ الشجاعَ. الليلُ أَخْفى للويل[٣]. الشبابُ باكورةُ الحياة. أكْلُ القليلِ ممَّا يَضرُّ، خَيرٌ من أكْلِ الكثير مما يَنْفَعُ. إغبابُ[٤] الزيارة أمانٌ من المَلالة. الغالِبُ بالشرِّ مَغْلوبٌ. أَشرُ الرجلِ في النعمةِ على قَدْر استكانته في المحبة. أصحُّ الثناء ما اعْتَرفَ به الأعداءُ. الهديةُ تَرُدُّ بلاء الدنيا؛ والصَّدَقة تَردُّ بلاءَ الآخِرةِ. استقبالُ الموت خيرٌ من استِدْبارِه. الفارُ طريدةٌ مِن طرائد الموت.

البَرَايا أهدافُ البَلايا[٥]. الدهرُ دُوَلٌ والأيامُ عُقَبٌ[٦]. الزمانُ ذو ألوان[٧]. الجَبانُ مُعينٌ على نَفْسه. استعطافُ المُتجَنِّي مَؤونةٌ على الإنصاف. أَبخَلُ الناس بماله أَجْودُهم بعِرْضِه. أصابَ مُتَأَنٍّ أو كادَ، وأخطأ مستعجِلٌ أَوْ كادَ. التثبُّتُ من اللّهِ، والعَجلَةُ من الشيطان[٨]. الحرُّ عبْدٌ إذا طَمِعَ؛ والعبد حرٌّ إذا قَنِعَ. المرءُ كَثيرٌ بأخيه. الإنسان بالإخوان كالسلطان بالأعْوان. العُرْيُ الفادح، خَيرٌ من الزيِّ الفاضِح. أحْسَنُ ما يكون[٩] الحُسْنُ بجَنْبِ القَبيح.

العِلْمُ يَمنَعُ أَهْله أن يمنعوه أهْلَه[١٠]. البخلُ بالعِلم على غير أَهْله، قضاءٌ لِحقِّهِ ومعرفةٌ لِفَضْلِهِ. العلمُ أكْثرُ من أن يُحاطَ به فَخذُوا من كل شيءٍ أحْسَنَه. العُلَماءُ غرباءُ لكَثْرة الجُهَّال. الملوكُ حكَّامٌ على الناس؛ والعُلَماءُ حكَّامٌ على المُلوك.

الخطُّ الحسَنُ يَزيدُ الحقَّ وضُوحاً. الخطُّ صُورٌ ضئيلةٌ لها مَعانٍ جليلة. الخطُّ

(١) لم نجد رُشا (بالضم) بل رُشى ورِشًى، جمع رشوة؛ وهي هنا المحاباة والمُلايَنَةُ (لسان العرب [رشا] ٣٢٢/١٤).

(٢) لم تَثْبُت (ألِف) (إعطاء) فَشَكَلْناها (عَطاءُ) وإلّا فهي: إعطاءُ.

(٣) أخفى: أستر.

(٤) إغباب الزيارة: تأخيرها، وتقطيعها. فليباعدْ المرْءُ زياراته!.

(٥) البرايا، جمع البريّة: وهي الخلْق.

(٦) العُقَب: واحدتها عُقْبَة، هي آخر كل شيء، وهي النوبة. والدهر دول: أي متداول، يجيء ويروح ويتردّد مع الأيام.

(٧) يتبدّل، ويتغيّر.

(٨) في التأنّي السلامة، وفي العجلة الندامة.

(٩) والضدّ يظهر حسنه الضدّ.

(١٠) لا احتكار في العلم.

يُخاطِبُ العيونَ بسرَائر[1] القلوبِ. القلمُ أصمُّ يُسمِعُ النجوىٰ؛ وأخرَسُ يُفصِحُ بالدعوىٰ. القَلم شجرةٌ ثمَرُها المعاني، والفكرةُ بحرٌ لؤلؤهُ الحِكمة.

الصمتُ مَنامٌ والكلامُ يقظَةٌ. العُجْبُ آفَةُ اللُّبِّ[2]. المروءةُ ترْكُ اللذةِ، واللذةُ ترْكُ المروءةِ. الرِّفْقُ والدوامُ وعلى اللّهِ التمام. الجاهلُ عدوٌّ لنفْسِهِ فكيف يكونُ صديقاً لغَيرِه؟ الدنيا لا تُعطي أحداً ما يَستحِقُّه: إمّا أنْ تَزيدَه وإمّا أنْ تُنقِصَه. إخْوانُ السوءِ كثيرةٌ. النارُ تُحْرِقُ بعضَها بعضاً. الكريمُ إذا أساءَ فعَنْ خطيئةٍ، وإذا أحسنَ فعَنْ نيَّة. الأعمالُ المفروضةُ تُذَكِّر العبدَ بربه. الغَيْرةُ مفتاحُ الطلاق. الفَهْمُ شُعاعُ العَقلِ. الحِدَّةُ سَوْرةُ الجهلِ. الفِتْنةُ يَنبوعُ الأحزانِ. أمْنُ الزمانِ زَمانةُ[3] العقلِ. النِّعَمُ أطواقٌ إذا شُكِرَتْ؛ وأغلال إذا كُفِرَتْ. الشكرُ على النِّعم السالِفَة، تَقْتضي النِّعمَ المستأنَفَةَ. الظَّفَرُ شافِعُ المُذْنبينَ إلى الكُرَماء. أوْلى الناسِ بالعَفْو أقْدَرُهم على العقوبة. الاعترافُ يهدم الاقْتِرافَ. أخْطَرُ شيءٍ بالإنسان غَلَطُهُ فيمَنْ يثِقُ به. أولُ الغضَبِ جُنونٌ وآخِرهُ نَدَمٌ. المِزَاحُ سِبابُ الحَمْقىٰ. الدِّينُ وِقْرٌ[4] طالما أثْقَلَ الكِرامَ.

المُصِيبة بالصبر أعظَمُ المُصيبَتَيْن. الصبرُ على المُصيبةِ مُصيبةٌ على الشامتِ بها. أحَقُّ ما صُبِرَ عليه ما لا بدَّ منه. أحَقُّ ما رُدَّ ما خالفَ شهادةَ العقلِ.

الدنيا والآخرةُ ضَرَّتانِ؛ إن أرْضَيْتَ إحداهُما أسْخَطْتَ[5] الأخرىٰ. الدنيا والآخرةُ كَكِفَّتَيْ الميزانِ؛ إنْ رَجَحَتْ إحداهما خَفَّت الأُخرىٰ. الناسُ في الدنيا بالأحوال، وفي الآخرةِ بالأعمال.

الأمُورُ بعَواقِبها؛ والأعمال بخَواتيمها. الحرُّ إذا جرَحَ آسىٰ[6]؛ وإذا خرَقَ رَفا[7]؛ وإذا أضَرَّ مِن جانبٍ نفَعَ من جانبٍ. إفراطُ التغافُلِ تَسَافُلٌ. إفراطُ الدَّماثَةِ غَثاثَةٌ. الحقُّ حقٌّ وإنْ جَهِلَهُ الوَرىٰ[8]؛ والنهارُ نهارٌ وإن لم يَرَهُ الأعمىٰ. النفسُ مائِلةٌ إلى شَكْلِها؛ والطيرُ واقعةٌ على مِثْلِها. الفرصةُ سريعةُ الفَوْتِ بطيئةُ العَوْد. اللّهُ يُمْهِلُ

---

(١) سرائر: دخائل.
(٢) الرشد: العقل.
(٣) الهم الدائم الذي يساور الفعل، شبيه بالمرض الدائم.
(٤) وقر: حمل شديد.
(٥) أغظت وأغضبْتَ.
(٦) عاون.
(٧) أصلح. وهو من رفْو الثوب، أي لَفْقُه.
(٨) الناس.

ولا يُهمِلُ. إنما يَعْجَلُ مَنْ يخافُ الفَوْتَ. الأَدَبُ بين أَهلِه نَسَبٌ. الأَدَبُ من الأَب والصلاحُ من الله.

السَّماعُ إدَامُ المُدَام[١]. الدنيا معشوقةٌ وريقُها الراحُ[٢]. الشُّرْبُ على غير الدَّسَم سُمٌّ؛ وعلى غير النَّغَم غَمٌّ. السَّاجُورُ[٣] خيرٌ مِن الكَلْب. الكَريمُ يَظْلِمُ مَنْ فَوْقَه واللئيمُ يظلمُ مَنْ تَحته. الحاسِدُ يرى زَوالَ النعمةِ نعمةً عليه. الغُرْبةُ كُرْبة والنُّقْلَةُ مُثْلَةٌ[٤]، أَقْرَبُ ما يكونُ العبدُ من غَضَب الله إذا غَضِبَ.

النحْوُ في الكلام كالمِلْح في الطعام. اللَّحْنُ في المنطق كالجُدَري في الوَجْه. الشُّجاعُ موقًّى والجبان مَلَقًّى[٥]. الأَنامُ فرائِس الأَيام. البحْرُ لا يُخَاضُ والليثُ لا يُراضُ. الوَسِنُ[٦] يَرى الحُلْمَ الحَسَنَ. أمورٌ تَمورُ وأَحوال تحولُ. السُّنونُ تُغَيِّرُ السُّنَنَ[٧]. اللسانُ صغير الجِرْم[٨]؛ عظيم الجُرْم[٩]. استراح اللاغِبُ[١٠] وزَهِدَ الراغِبُ. المَقاديرُ تَجري بخلافِ التقدير. أَثقلُ من غريمٍ[١١] على عديم[١٢]. السَّفَرُ يُسْفِر[١٣] عن أخلاق الرجال. التخفيفُ في العبادة خيرُ عادة. اللهبُ لا يُنْقِص من الذهب.

القَلمُ أَحد اللسانَيْنِ. العَمُّ أَحَدُ الوالدَيْن. العَجيزة[١٤] أَحَدُ الوَجْهيْن. رأسُ المال أَحَدُ الرِّبْحين. الخِضابُ أَحدُ الشَّبابَيْن. سامِعُ الغِيْبَة أحدُ المُغْتابِينْ. بَذْلُ الجاه أَحَدُ الرِّفْدَيْنِ.

---

(١) الإدام: القوت. . أي أن السَّماع بمعناه الطري، قوتُ الخمر ووقودها.
(٢) الراح، الخمر أو من أسمائها.
(٣) خشبة تعلّق في عنق الكلب. غلّ.
(٤) النُّقلة (بالضم) النميمة. والمُثْلة (بالضم) التنكيل والتشنيع.
(٥) الشجاع مُوَقًّى، أي محفوظ بشجاعته، يتحاشاه الناس. أما الجبان، فهو لقمة سائغة في أفواه الأقوياء.
(٦) الذي أخذه النعاس.
(٧) القوانين.
(٨) الجسم، والحجم.
(٩) الذنب.
(١٠) المُتْعَب المُعْيي.
(١١) الغريم: الدائن، الخصم.
(١٢) الفقير المُدْقِع.
(١٣) يكشف.
(١٤) المؤخّرة.

فصل

الأخبار بسائر الحروف

كلُّ الصَّيْد في جَوْف الفرا[١]. علمٌ لا ينفعُ ككَنزٍ لا يُنْتَفَعُ به. نِعْمَ الخَتْنُ القَبْرُ[٢]. جَدَعَ الحَلالُ أَنْفَ الغَيرَةِ[٣]. حُبُّكَ للشيء يُعْمي ويُصِمُّ. شرُّ الناس مَن اتَّقاهُ الناسُ لِشَرِّه. جُبِلَتِ القلوبُ على حُبِّ مَن أَحْسَنَ إليها، وبُغْضِ مَن أَساءَ إليها. خيرُ شبابكم مَنْ تَشَبَّه بالشيوخ، وشرُّ شُيوخِكم من تَشَبَّه بالشَّباب. مِنْ حُسْنِ إسلام المرءِ تَرْكُه ما لا يَعْنيه. سيِّدُ القوم خادِمُهم. شرُّ العَمَى عَمَى القَلْب. مَطْل الغَنيِّ ظُلْم[٤]. خيرُ الأُمور أوساطُها. خيرُ ما جَرَّبْتَ ما وعَظَكَ. خيرُ المَقالِ ما صدقَهُ الفِعال. لِكلِّ مُقْبِلٍ إدبارٌ. لكلِّ أمرٍ عاقبةٌ. ظُلْمُ الضعيفِ أَفْحَشُ ظُلْم. رأيُ الشيخِ خيرٌ من مَشْهدِ الغُلام.

لقاءُ أهْلِ الخير عِمارةُ القلوب الواهيةِ. من التوفيقِ الوقوفُ عند الحَيْرَةِ. رضيَ بالذل مَنْ كَشَفَ ضُرَّهُ. خاطرَ بنفسه مَن استبدَّ برأيِهِ. رسولُك تُرجمانُ عقلِك. قيمةُ كلِّ امرئٍ ما يُحْسِنُ. قطيعةُ الجهلِ تَعْدِلُ صلةَ العاقلِ. صاحبُ المعروفِ لا يَقعُ وإن وقَعَ وَجدَ مُتَّكأً. خيرٌ مِن الخَيْر مُسْدِيهِ، وشرٌّ من الشرِّ مَنْ يَأْتيه. حُسْن الأخلاق أنفسُ الأَعْلاق[٥]. مِن تمام الصِّدْقِ الأخبارُ بما تَحْتمِلُه العقولُ. من مَأْمنه يُؤتىَ الحذِر[٦]. مِنْ صَلاحِ نفْسكِ مَعرفتُكَ بفَسادِها. من أشرَف الكَرَم غَفْلتُكَ عمَّا تَعْلم.

مِن وَهنِ الأمر إعلانُه قبلَ إحْكامِه. مِن سَعادةِ جَدِّك وقوفُكَ عند حَدِّكَ. مِن

(١) الفرا: حمار الوحش. أصل المثل أن ثلاثة رجال خرجوا يصطادون، فاصطاد أحدهم أرنباً، والآخر ظبياً، والثالث حمار وحش، فاستبشر الأوّلان وتطاولا. فقال الثالث: كل الصيد في جوف الفرا، أي إنّه أعظم الصّيد، فمن ظفر به أغناه عن كلّ صيد.

(٢) الختْن قطع قُلفة الذكر. لعله أراد قطع هالة الحياة.

(٣) جدع: قطع. وهذا القول حديث للنبي ﷺ. قاله يوم زُفّت فاطمة إلى عليّ رضي الله عنه (مجمع الأمثال ١/ ١٦٣).

(٤) المطل والمماطلة: التسويف.

(٥) الأعلاق: ما يعلّق في العنق من حِلّي ذهبية أو فضيّة.

(٦) كناية عن أهل المرء الذي يُفترضُ الثقة بهم، كذلك الأصدقاء والإخوان.

التعذيبِ تَهْذيبُ الذيب[١]. مِن باطلٍ جَمَعَه ومن حَقّ مَنَعه. قابلُ المَدْحِ كَمادِحِ نَفْسه. حِصْنُكَ من الباغي حُسْنُ المكَاشرة[٢]. لسانُ الجاهلِ مالِكٌ لَه، ولسانُ العاقلِ مملوكٌ مَعه. لسانُ المرءِ أَمْكَنُ مَقاتِلِهِ. موتُ الخيِّر راحةٌ لنفسِه؛ وموتُ الشرير راحةٌ للناس. خيرُ مالِكَ ما وَقاكَ؛ وشرُّ مالِكَ ما وَقَيْتَهُ. خيرُ مفاتيحِ الأمورِ الصِدقُ، وخيرُ خواتيمِها الوفاءُ. خيرُ العطاء ما وافقَ الحاجةَ. خيرُ الأوطان أعونُها على الزمان. خيرُ المعروف ما لم يكُنْ مكافأةً على ماضٍ ولا رجاءً لباقٍ. خيرُ المعروف ما لَمْ يتقدَّمْه مَطْل، ولم يَتْبَعْهُ مَنٌّ. خيرُ الكلام ما أَسْفَرَ عن الحاجة.

كلُّ كبيرٍ عدوٌّ للطبيعة. كلُّ مستعجِلٍ مَلُومٌ وإن أَنْجَحَ[٣]. كلما كثُرَ خزّانُ الأسرارِ ازدادتْ ضَياعاً. كلما حَسُنَتْ نِعمةُ جاهلٍ ازدادَ فيها قُبْحاً. كلُّ شيءٍ شيءٌ ومصادَقةُ الكَذّاب لا شيءَ. مَنْعُ الجميع أرْضىٰ للجميع. صَبْرُكَ على الاكتساب، خيرٌ من حَاجتك إلى الأصحاب. حَصَرُ الكريم إذا سأَل؛ وحصَرُ اللئيم إذا سُئل[٤]. سرورُ النفسِ بالأمل؛ أشدُّ مِن سرورِها بالجِدَّة. مَصرَعُ الجاهلِ بينَ (لَيْتَ) و(لَوْ). قلَّ طَمعٌ لم يُرِدْ إلى طَبْعٍ. حُسْن الصورة أوّلُ السعادةِ.

رَداءةُ الخطِّ زَمانةُ[٥] الأدَب. بالوعْد يَستريحُ اللئيمُ ويَتْعبُ الكريمُ. بالإيثار يُستَوجَبُ اسمُ الجُود. بحُسْن التأنّي تَسْهُلُ المطالِبُ. نارُ الحُلَفا سريعةُ الانطفا. بعضُ الصِّدْق قبيحٌ. زِمامُ العَمل بيد الأمل. لكُلِّ غُلوٌّ سُلوٌّ. لكلِّ قوم يَومٌ. لكلِّ حادثٍ حديثٌ. صام حَوْلاً[٦] وشرِبَ بَولاً. حِلمُكَ عن السفيه يُكْثِرُ أنصارَكَ عليه. شرُّ الناس مَنْ لا يُبالي أن تراهُ مُسيئاً. عُجْبُ المرءِ بنفسه أحَدُ حسّاد عقْلِهِ. كلُّ شيءٍ يحتاجُ إلى العقل؛ والعقلُ يحتاجُ إلى التجارِب. فوْتُ الحاجةِ خيرٌ من طَلَبها إلى غيرِ أهْلها. لكل شيءٍ مِقْدارٌ، مَنْ يُجاوِزُهُ أَفْرَطَ؛ ومَنْ قصَّر عنه فرَّط. ثوبُ الرجلِ لسانُ نعمةِ اللّهِ عليه. مجالسةُ الثقيل حُمّىٰ الروحِ. كأنما خُلِقَ الحاسِدُ ليَغتاظَ. يومُ العدل على الظالم أشَدُّ من يوم الجَوْر على المظلوم. زكاةُ الرأي نصيحةُ المستَشِير.

جُهْدُ البلاءِ الإقلالُ والعِيالُ. قِصَصُ الأولينَ مواعظُ الآخِرينَ. جزاءُ من يكْذِبُ

---

(١) لعل المقصود تجشّمُ شبه مستحيل، ألا وهو تربية الذئب وتهذيبه. والتعذيب للمربّي أكثر منه للذئب.

(٢) افترار الثغر عن ابتسامة: صفراء كانت أم حقيقية.

(٣) أنْجح، حقّق ما سعى إليه.

(٤) ويمكن قراءة الخبر بصيغة الماضي: حُصِرَ الكريمُ.. وحُصر اللئيمُ.

(٥) عاهة الأدب رداءة الخطّ.

(٦) الحول: العام، يضرب لمن انتظر طويلاً، ولم يظفر ببغيته.

أنْ لا يُصَدَّقَ. كاد المُريبُ أن يقولَ: خُذُوني. يومُ العاجز غَدٌ. ظاهرُ العتابِ خيرٌ من باطنِ الحِقْد. كم شاهدٍ لا يَنْطِقُ. لسانُ التقصير قَصيرٌ. بعْدَ الكَدَرِ[١] صَفْوٌ، وبعْدَ المطَرِ صَحْوٌ. ذو السرعة لا يعْدَمُ الصَّرْعة[٢]. شرْطُ المعاشرة تَرْكُ المكاشرة[٣]. صدَيقُ الوالِد عمُّ الوَلد. عند الامتحان يكْرَمُ الرجلُ أوْ يُهانُ. صوَابُ الجاهلِ كخطإِ العاقلِ. مُحرِّضٌ خيرٌ من ألْفِ مُقاتِلٍ. بالأقلام تُساسُ الأقاليمُ. مشَىٰ بقَدَمه[٤] إلى دَمِه. صفَاقَةُ الوجهِ رزْقٌ حاضرٌ[٥]. قَتَلَ أرضاً عالِمُها؛ وقتَلتْ أرضٌ جاهلَها[٦]. عِلْمٌ لا يَعْبرُ معَك الوادي، لا يَعْمُرُ بكَ النادي.

صدورُ الأحرار قبور الأسرار. علامةُ الكذّاب جُودُه باليمينِ لغير مُسْتَحْلِفٍ[٧]. حَسْبُ الكاذِبِ بفعِله شَتْما، وقلبهِ خَصْما. نُصْحُ الصديق تأديبٌ، ونصحُ العدوّ تأنيبٌ. بعضُ الحِلْم مذلّةٌ؛ وبعضُ الاستقامة مراءاةٌ. قرية غنيمة، والظفرُ به هزيمة[٨]. مرآةُ العواقبِ في يَد التجاربِ. ظنُّ العاقلِ خَيرٌ من يقينِ الجاهل. ذَلَلْتَ طالباً فذَلِلْتَ مطلوباً. فَرَّ: أخْزاهُ الله، خيرٌ من: قُتِلَ[٩] رحِمَهُ اللهُ. نجى المخفون[١٠]. نائمٌ مُقِرٌّ بذَنْبه، خَيرٌ مِن مُصَلٍّ مُدِلٍّ على ربِّه[١١]. كلْبٌ جوّالٌ خيرٌ من أسدٍ رابضٍ. خُلْفُ الوعد خُلُق الوَغْد. عليَّ أنْ أقول وما عليَّ القبولُ. نُوْرُ الحقيقة، أحسنُ من نَوْر الحديقة[١٢].

عسىٰ تحَظَىٰ في غَدك برَغَدِكَ. كفىٰ بالنُّهىٰ ناهياً، وبالهدىٰ هادياً. نِعْمَ العُدَّة طُولَ المُدَّة. سُمُّ المُبَرْسَمِ في الشهْدِ؛ والشمس تَقْبُحُ في الأعين الرُّمْدِ[١٣]. شرُّ القول

---

(١) الكدر: الحزن، والعكر الفكري والنفسي.

(٢) الصّرعة: الموت.

(٣) المكاشرة: تقطيب الجبهة وتغضن الوجه من السخط.

(٤) صار بنفسه إلى هلاكه.

(٥) صفاقة الوجه: قُبْحُه.. ولم ندر معنى هذا القول وإمكان حقيقته.

(٦) لعل المقصود بقتل العالم للأرض: الاشتغال بها بصورة لا هوادة فيها. وهو تصور مُغَالٍ.

(٧) لغير سبب ولِمن لم يطلب القَسَم.

(٨) كذا في الأصل. ولعل في الأمر تصحيفاً. والصحيح المقدّر، قَرْيُهُ (استضافته وإكرامه).

(٩) تفضيل العيش في الجبن على الموت في البطولة.

(١٠) لم نهتد إلى قراءة هذا القول بسبب انعدام الشكل فيه والمعنى، ولن نجتهد في التأويل والتقدير.

(١١) لهذا القول عِبرة بليغة تفضّل الغافلَ الساهي عن عبادته، على المتعبِّد المُدلِّ المباهي بصلاته، يعلنها ويعرِّف بها الناس.

(١٢) النَّوْر: الزّهر.

(١٣) المبرسم: المعتل بعلّة شديدة. و(الرُّمْد) مفردها: رَمْداء، مصابة بداء الرمَد.

الكَذِبُ، وشرُّ الفعلِ البخْلُ. خطَأُ الجُود أفضَلُ من صواب المَنْع[١]. قبْرُ العاقِّ خيرٌ منه. تَرْكُ المُرَاء[٢] من المروءة. قولٌ كالعَسَلِ وفِعْل كالأَسَلِ[٣]. وقعَ حيث لم يتوقَّعْ. وجَبَ الرحيلُ عن الرَّبْع المَحيل[٤]. لأنْ تُبْتَلىٰ بمجنونٍ كامل، خيرٌ لك من نِصْف مجنونٍ. صديقُ الجاهلِ مغرورٌ. تَقويمُك للجاهل سبَبٌ لعَداوتِه. للعادة على كل شيءٍ سلطانٌ. عِشرةُ الصِّغار صغارٌ[٥]. نِعْمَ الرفيقُ التوفيقُ. عَناً طويلٌ وغِناً قليلٌ[٦]. للقلوب انقلابٌ، وللأسباب انقضابٌ[٧]. كم بَيْنَ الدُّرِّ والحَصىٰ[٨].

قد رخُصَ ما غَلا، وسَفُلَ ما عَلا. هو عَيْبةُ العُيوبِ، وذَنوبُ الذنوبِ[٩]. حتى يَدُكَ تَضرُّكَ. وحتى عينُك تَكْذِبُك. حتى المَحاجةُ إليها حاجة[١٠]. حتى المعنىٰ يَتَكنّىٰ. حتى القَدَمُ لها خَدَمٌ. كلام فايقٌ، في خطٍّ رايق. قد تَكْسَدُ اليَواقيتُ في بعض المَواقيتِ. عِرْضُ التقيِّ نقيٌّ؛ وعَرْف الذكّي ذكيٌّ. عاداتُ الساداتِ؛ ساداتُ العاداتِ. جَسدٌ كلُّه حَسَدٌ. غضبُ الجاهلِ في قوله، وغضَبُ العاقل في فِعْله. صُحْبةُ الأشرارِ، تُورِث سُوء الظنِّ بالأخيارِ. عصفورٌ في الكَفِّ ولا كُركيٌّ[١١] في الجوّ.

---

(١) التبذير خير من التقتير.

(٢) لم نجد المُراء. ولعلها: المُراءة، من راءى: أي تظاهر بفعل الشيء وهو لا يفعله (انظر اللسان [رأى] ١٤/٣٠٢).

(٣) الأسل: صفيحة الرمح.

(٤) المحيل: القفر.

(٥) صَغار: حقارة.

(٦) العناء: التعب. أي، تعب كثير من أجل مال قليل.

(٧) تتغيّر المشاعر. انقضاب: انقطاع.

(٨) فرق ما بين الثريا والثرى.

(٩) الذَنَب: الذيل. أي إنه في أسفل الدرك. والذَّنوبُ: الطويل الذَيل.

(١٠) أصل المحاجة من الحاج (بالتخفيف) نبات شوكي، يعرف بشوك الجمال.

(١١) طائر كبير سبق شرحه. معناه: الاقتناع بالضئيل الذي تم الحصول عليه، على الوفير الذي لم يُدرك بعد.

فصل

الأمر

اشتدِّي أزْمَةُ تَنفَرِجي[١]. إعْقِلْها وتَوَكَّلْ. تاجرُوا اللّهَ بالصَّدَقةِ تَرْبَحوا. إتَّقُوا فِراسةَ المؤمنِ يَنظُر بنُور اللّهِ. تَخيَّروا لِنُطَفِكمْ[٢]. إبدأ بمن تَعوَّلَ[٣]. انصُرْ أخاكَ ظالِماً أو مَظلوماً. وَجِّهوا آمالَكُمْ إلى مَحبَّة قلوبِكُم. إعْصِ هوَاكَ وطِعْ مَنْ شِئْتَ. عَجِّلوا المعروفَ قَبْلَ سوء الظنِّ ولحاقِ السيئةِ. أتْرُكْ الشرَّ ما تَرَكَكَ. داوِ المودَّةَ بكَثْرة التعاهُد. تَعَزَّ عن الدنيا تَعِزَّ[٤]. إرْعَ حقَّ مَنْ عظَّمكَ لغير حاجةٍ إليكَ. عَوِّدْ نفسَكَ الصبرَ على قَرين السوءِ فإنه لا يَكادُ يُخْطِيكَ.

أَعْطِ مَنْ دُونكَ ما تُحِبُّ أن يُعطيكَ مَن فوقَكَ. بَشِّرْ مالَ البخيلِ بحادثٍ أو وارثٍ[٥]. أنصِفْ مظلومَكَ قبلَ أن يُنْصِفَهُ الدهرُ منكَ. اسْتَغْنِ عن الناسِ يحتاجوا إليكَ. خَفِّفْ طعامَكَ تأمَنْ أسقامَكَ[٦]. كلْ قليلاً تَعِشْ كثيراً. أَشْفِقْ على وَلدِك من إشفاقِكَ عليه[٧]. أَحْيُوا الحَياءَ بمُجاورةِ مَنْ يَسْتَحْيي منه. إرْضَ من أخيكَ إذا وَلِيَ ولايةً بعُشْرِ وُدِّه قبْلَها. إنْصَحْ ولا تُفْصِحْ. إستَتِرْ من الشامتينَ بحُسْنِ العَزاء. أُذْكُرْ غائباً تَرَهُ[٨]. كَذِّبْ أسوأَ الظنونِ بأحْسَنِها. كُنْ ذَنَباً في الخير، ولا تكُنْ رأساً في الشرِّ. إتَّبِعْ ولا تَبْتَدِعْ. أُغْدُ عالماً أو مُتعلِّماً ولا تكُنْ الثالثَ فتَهْلِكَ[٩]. قارِبْ الناسَ في عقولهم

---

(١) بعد الشدّة راحة وانفراج.

(٢) النطفة: ماء الرجل. والمقصود ـ وهو حديث نبوي ـ تخيّروا أطهر الأرحام لأولادكم.

(٣) تعوّل وعوّلَ: اتخذ عالة، ومعناها الأولاد.

(٤) من يزدري الدنيا يرتفع شأنه.

(٥) البخيل يدّخر ماله لإبليس.

(٦) الأسقام: الأمراض. أي: المعدة بيت الدّاء.

(٧) في القول تشابه وتكرار لأن معنى [شفق وأشفق] واحد، تعنيان الحَذر والخوف والرحمة. (انظر لسان العرب [شفق] ١٠/ ١٧٩ ـ ١٨٠).

(٨) أذكرْ اسْمَ أحد الغائبين، يَحْضَرْ.

(٩) أي لا تكن جاهلاً.

تَسْلَمْ من غوائلهم[١]. اتَّئِدْ تُصِبْ أوْ تَكَدْ[٢]. إعْرِفْ أخاكَ بأَخيه قبْلَك. بِعِ الحيوانَ أحسن ما يكون في عينك[٣]. تعامَ عن ما تَسوُؤكَ رؤيته، وتَصَامْ عما يُؤذيكَ سَماعُه. إحْذَرْ صديقَكَ فإنَّك مِن عدوِّكَ على حذَرٍ. أُشْكُرْ لمن أَنْعَم عليك، وأَنْعِمْ على مَن شَكَرَك. خُذْهُ بالموت حتى يَرضىْ بالحُمَّى[٤]. تَنَحَّ عن طريقِ القافية.

صانِعِ الطبيبَ قبل أَنْ تَمْرَضَ. نَقِّ نعلَيْكَ وابْذُلْ قدَمَيْكَ. إلْبِسْ من الثياب مالاً تُحْتَقَرُ فيه ولا تُشْتَهرُ به. إنْسَ رفْدَكَ ولا تَنْسَ وَعْدَك. إتَّقِ قُرَناءَ[٥] السوءِ فإنَّك مُتَّهَمٌ بأعمالِهِم. زاحِمْ بعَوْدٍ أَوْدَعَ. أُدْنُ من الخوف تَأْمَنْ. إعْرِفِ الحقَّ لِمَنْ عَرَفَهُ لك. دَعْ ما شاء القلبُ لما شاءَ الربُّ. دَعْ ماراب[٦]، وكُلْ ما طابَ. دَعْ ما جَمَحَ واركَبْ ما سَمَحَ. سامِحِ الجامِحَ بِكُلٍّ؛ ولابِنِ المحارِنِ بِذُلٍّ. قدِّم خَيْرَكَ ثم [ذُكَرَك][٧].

(١) غوائلهم: دواهيهم، مصائبهم.

(٢) اتّئد: تمهّل.

(٣) سياقه مختلٌ. والمقبول: بِعْ الحيوانَ بأحسن ما يكون في عينك. ولعلّه: (وهو أَحسنُ ما يكون...).

(٤) أطلب منه الكثير كي يرضى بإعطاء القليل.

(٥) قرناء: رفقاء. واحدها: قرين.

(٦) راب: أثار الشك والشبهة.

(٧) وَضَعْنا لفظة «ذكَرك» بدلاً من كلمة نابية كما جاء في النص، تأدُّباً. والمُحارِن، في القول السابق: المتعنّت، كالدابّة الحرون التي تقف مكانها ولا تمتثل لأوامر سائقها.

فصل

النَّهْي

لا تُظْهِرِ الشماتَةَ بأخيك، فيُعافِيَهُ اللّهُ[١] ويَبْتَلِيكَ. لا يَكُنْ حبُّك كَلَفاً[٢]، ولا بُغْضُك تَلَفاً. لا تَشربِ السُّمَّ اتكالاً على ما عندَك من التِّرْياقِ[٣]. لا تتهاوَنْ بالأمرِ الصغيرِ إذا كان يَقْبَلُ[٤] النموَّ. لا تَغترِرْ في صحة مزاجِكَ في الهوىٰ الوَبيء[٥]. لا تَستعِنْ في حاجتك إلا بمَنْ يُحِبُّ أن تَظْفَر بها. لا تَكْرهْ سخْطَ مَنْ يُرضيه الباطِلُ. لا تُودِعْ سرَّك جاهلاً فيَخُونَ، ولا عاقلاً فيَزِلَّ. لا تَقُلْ ما لا تَعلمُ فتُتَّهَمَ فيما تَعلمُ.

لا تَسْأَلِ البَخيلَ، فإنه إنْ منَعَك أبغَضْتَه، وإن أعطاك أبْغَضَك. لا تكونَنَّ لمالِكَ عَبْداً، وقد جعلَكَ اللّهُ له ربًّا. لا تَصْحَبوا الأشرارَ فإنهم يَمُنُّونَ عليكم بالسلامة منهم. لا تَصْحَبِ الشريرَ فإنَّ طَبْعَكَ يَسْرِقُ مِن طبْعه[٦] وأنتَ لا تدري. لا تفتَحْ باباً يُعْيِيكَ سَدُّه، ولا تُرسِلْ سَهماً يُعجِزُك[٧] رَدُّهُ. لا تفعلْ ما يَصيرُ حجَّةً عليكَ، وعلَّة في الإساءة إليكَ. لا تَستَحْي من إعطاء القَليل فإنَّ المنْعَ أقلُّ منه. لا يُفسدنَّك الظنُّ على صديقٍ أصلحَكَ اليقينُ له. لا تطْمَع في كل ما تَسْمَعُ. لا تَغترر بالأمير، إذا غشَّكَ الوزيرُ[٨].

لا تُنْكِحْ خاطِبَ سِرِّك. لا تطلُبْ الغنيمةَ حتى تُحرزَ السلامةَ. لا تكُن ممَّنْ يَلْعَنُ

---

(١) من تمنى الشرّ لأخيه أصابه.

(٢) لا تتصنّع في الحبّ.

(٣) دواء، قيل، يشفي من السمّ.

(٤) إضرب الحيّة على رأسها، أو عالج أمورك قبل أن تستفحل!

(٥) الوباء: المرض. والوبيء: الذي يحمل الوباء.

(٦) العشرة الرّديئة تفسد الأخلاق الحسنة.

(٧) كن حذراً في قولك وفي عملك، حتى لا تندم ساعة لا ينفع الندم.

(٨) ليس كلّ الناس كمن جرّبت.

إبليسَ في العلانية ويُوَاليه في السرّ[١]. لا تَحْمَدَنَّ أَمَةً[٢] يومَ شرائها، ولا عروساً ليلة إهدائها. لا تكنْ كالجرادِ يأكُلُ ما وجَدَه ويأكُلُه ما وَجَدَه. لا تُسيء لا تَخَفْ. لا تذكُرِ الميتَ بسُوء فتكونَ الأرضُ[٣] أكْتَمَ عليهِ مِنكَ. لا تكن رطْباً فتُعْصَرَ ولا يابساً فتُكْسَرَ. لا تجالِسْ بسَفَهِكَ الحُكَماءَ؛ ولا بحِلْمِكَ السُّفَهاءَ. لا يَزيدَنَّكَ لطْفُ الحسودِ إلَّا وحشةً منهُ. لا تُفْسِدْ تأكُّدَ إحسانِكَ بطارق أمتِنانِكَ. لا تَقْبَلنَّ في الاستخدام إلَّا شفاعةَ الكِفايةِ والأمانة.

(١) لا تكن ذا وجهين، أي، لا تكن باطنيًا تعلن ما لا تضمر.
(٢) الأمة: الجارية. أي لا تعجّل في إعطاء الرأي، أو الحكم.
(٣) تطبيق لقول الرسول ﷺ: أُذْكُروا محاسنَ موتاكم.

فصل

إذا

إذا اشتَبَه عليك أمرانِ فاجْتنِبْ أقرَبَهما مِن هَواكَ[١]. إذا ضاقَتْ حالُكَ فاحْذَرْ مَشورةَ الإفلاسِ فإنه لا يُشير بخير. إذا اتَّسعت القُدْرةُ نقَصَت الشهوةُ. إذا أردتَ أن تُفْتَضَحَ فأْمُرْ مَنْ لا يُطِيعُك. إذا أَدْبَر الأمرُ كان العُطْب في الحيلة. إذا جاء النَّصُّ بَطَلَ القياسُ. إذا تَمَّ العقلُ نقَصَ الكلامُ. إذا قُبِحَ السؤالُ حَسُنَ المَنْع. إذا قدمَ الإخاءُ سَمُجَ الثناءُ[٢]. إذا كنتَ أبطأهم خيراً، فلا تكُنْ أسرعَهم جواباً. إذا أردتَ أن تُطاعَ فاسأَلْ ما يُسْتَطاعُ[٣]. إذا كلَّفَ المولى عبْدَه فوقَ طاقَتِه، فقد أقامَ عُذْرَه في مُخَالفتِه. إذا لم يَكنْ ما تُريد فأَرِدْ ما يَكُونُ. إذا بقِي ماقاتَكَ[٤]، فلا تأْسَ على ما فاتَكَ.

إذا عادَيْتَ مَنْ يَمْلِكُك، فلا تَلُمْه إن أهلَكَك. إذا نَزَلتْ بك النعمةُ فاجْعَلْ قِراها الشكْرَ. إذا قدُمتْ المصيبةُ سَمُجَتْ التعْزِيةُ. إذا لم تَسْتَحِ فاصْنَعْ ما شئتَ. إذا قَصُرَتْ يَدُكَ عن المكافآتِ فلْيَطُلْ لسانُك بالشُكْر. إذا كثُرَ الإحسانُ سقَطَ الاستحسانُ. إذا زل العالِمُ زَلَّ بزلَّتِه[٥] عالَمٌ. إذا كنتَ في إدبارٍ والموتُ في إقبال فما أَسْرَعَ الملتقىٰ. إذا طالتْ اللحيةُ تكَوْسَجَ[٦] العَقْلُ. إذا حاقَ القضاءُ[٧]، ضاقَ الفَضاءُ. إذا تكرَّرَ الكَلامُ على السَّمْعِ تَقرَّرَ في القلب. إذا ازدَحمتِ الظُّنونُ على سرٍّ، هَتَكَتْه. إذا دَنا انْثَنىٰ، وإذا غابَ عابَ. إذا قطَعْتَ فَقدِّرْ ما استطَعْتَ. إذا جُحِدُ الإحسانُ وَجَب الامتِنانُ. إذا وجَدْتَ حاجَتَك في السوق فلا تَطْلُبْها من أخيكَ.

(١) حكّم عقلك ولا تتّبعْ هواك.
(٢) الثناء: المديح!
(٣) أي لا تطلب المستحيل.
(٤) أطعمك.
(٥) زلّ: سقط. الزلّة: السقطة.
(٦) الكوسج: الذي لا شعر على عارضيه. ومعناه إذا طالت اللحية عَرِيَ العقل. كناية عن التناقض.
(٧) حاق: أحاط. أي لا مفرَّ من الموت.

فصل

مَنْ

مَنْ تأنّى أصابَ أوْ كادَ؛ ومَنْ عَجّل أخْطأ أو كادَ. من مشىٰ مع ظالِم فقَدْ أجْرَم. من بلغ السبعين اشْتَكىٰ مِنْ غير عِلّة[1]. من سلَكَ مَسالِكَ السّوء اتُّهِمَ. من أيْقَنَ بالخلَفِ جادَ بالعطيّة. من ضيّعه الأقْرَبُ؛ أُتيحَ له الأبْعَدُ. من حُمِّلِ ما لا يُطِيقُ عَجِزَ. من عَلِمَ مِنْ أخيه مروءةً جميلةً؛ فلا يَسمعنَّ فيه الأقاويلَ. من فكَّر في العَواقب لم يَتَشجَّعْ. من كَثُرَ رِضاه عن نفسه كثُرَ الساخِطون[2] عليه. من شتَم الملوكَ مات قَبْلَ موتِه. من عُرِفَ بالصدق جاز كَذِبُه؛ ومن عُرِف بالكَذِب لم يَجُزْ صِدْقُه. من كَثُر ملَقهُ لم يُعْرف بِشْرُه[3]. من اعتذَر مِن غَيرِ ذنْبٍ أوْجبَ الذنْبَ على نفسه.

من مدَح رجلاً بما ليس فيه، فقد بالَغَ في ذمِّه. من ظنَّ بك قبيحاً فكُنْ جديراً بتَكْذيب ظَنِّه. من تمَنّى طولَ العمر فلْيُوطِّنْ نفْسَه على المَصائب. من طلَبَ لسرِّهِ موضعاً فقد أفشاه. من أطاعَ غضَبَه أضاعَ أدَبه. من عظُمَتْ همته طالت حَسْرتُه[4]. من أصْلَح فاسِدَه أرْغَمَ حاسِدَه. من قاس الأُمورَ فَهِمَ المستورَ[5]. منْ عزَّ بزَّ[6]. من نال اسْتطالَ. من أنزَلَ نفْسَه منزلةَ العاقل؛ أنزلَهُ الناسُ منزلةَ الجاهلِ. من كتَم سرَّه كان الخِيارُ في يَده؛ ومن أفْشاه كَثُر المتأمِّرون عليه. من لم يَعْرِفِ الشرَّ كان أجدَرَ أن يقعَ فيه. من بلغَ غايةَ ما يُحِبُّ فلْيتوَقَّعْ غايةَ ما يكْرَه. من كتَم عِلْماً فكأنه جَاهِلُهُ. من

(١) العلّة: المرض.

(٢) لأنّ النفس أمّارة بالسّوء. ومعنى القول: زهوّ المرء بنفسه لدرجة لا يرى فيها منقصة ولا يجد عند غيره محْمَدَة.

(٣) الملق: التلطّف الزائد. ومعنى القول: من تكلّف في سلوكه الطيب، غابت حقيقة لطفه وسجيته الحقيقية.

(٤) كثرة الهمة، أي كثرة العمل والنشاط والسهر تؤدي كلها إلى الإرهاق والتحسُّر على الراحة المفتقدة.

(٥) المستور: المخبّأ.

(٦) أي من غلَبَ سلَب. والقول للخنساء (انظر لسان العرب [بزز] ٥/ ٣١٢).

أَقعدَتْهُ نِكايةُ الأيام؛ أَقامته إغاثةُ الكِرام. من لم تَخُنْهُ نِساؤه تَكلَّمَ بملْءِ فيه. من نال الدنيا ماتَ وجْداً بها؛ ومن لم يَنَلْها ماتَ حسْرَةً عليها. من قَلَّ صِدْقُه قلَّ صديقُه. من قدَّم هديَّتَه نال أمنيَّتَه. من سأل فوقَ حاجتِه استحقَّ[١] الحِرْمانَ. من لم يَصْبِرْ على كلمةٍ سَمِعَ كلماتٍ. من عابَ نَفْسَه فقَدْ زَكَّاها[٢].

من لم يَنْهَ أخاه فقد أَغْراهُ؛ ومن لم يُداوِ علَيلَهُ فقدْ أَدْواهُ[٣]. من ركِبَ ظَهْرَ البغْيِ[٤] نزلَ به دارَ الندامة. من جهِلَ شيئاً عاداهُ. من فعَل ما شاء لقَي ما ساءَ. من اصْطَنع قوماً احتاجَ إليهم يوماً. من وَدَّكَ لأمر أبغضَكَ عند انقضائِه. من قُتِلَ في الحرب مُدْبِراً أكْثَرُ ممن قُتِل مُقْبِلاً[٥]. من قعَد به حَسَبُه نهضَ به أَدَبُه. من عرَفَ قدْرَه لم يَهْلِكْ. من ترفَّع بعِلْمِه وضعَه اللّهُ بعَمَلِه. من عرَفَ نفْسَه لم يَضُرْه ما قال الناسُ فيه. من عَظُمتْ نعمةُ اللّهِ عليه، كثُرَتْ حوائجُ الناس إليه. من أخْطأ وجوهَ المَطالِب خذلَتْه الحِيَلُ. من لم يُرَبِّ[٦] معروفاً فكأَنْ لم يَصْنَعْه. من خَوَّفَكَ حتى تَلْقىٰ الأَمْنَ؛ خيرٌ لك ممَّن أمَّنَكَ حتى تَلْقىٰ الخوفَ. من استَغْنى بالله افتقَرَ إليه الناسُ. من كان الإكرامُ داءَه كان الهَوانُ دَواءَه.

من لم يَعْدِلْ، عَدَلَ اللّهُ فيه[٧]؛ ومن حَكَم لنفسه حكَم اللّهُ عليه. من لانَتْ كَلمتُه وجَبَتْ محبّتُه. من ضاق خُلُقُه[٨] ملَّه أَهْلُه. من تركَ العُقوبةَ فقد أغرىٰ بالذنب. من خضَعَ لك بالعُذْر فَتفضَّلْ[٩] عليه بالعُتْبىٰ. من ضيَّع أَمنَ الزمانِ فقد ضيَّع ثغْراً مَخُوفاً. من عرَض نفْسَه للتُّهَم فلا يلومَنَّ من أساءَ به الظَّنَّ. من عتَبَ على الدهر طال عَتَبُه. من خافَ مَنْ فوْقَهُ خافَه مَنْ دُونَه. من سَلكَ الجِذارَ أَمِنَ العِثارَ[١٠]. من كثُرَ مَزْحُه لم يَسْلم من استخفافٍ به أَوْ حقْدٍ[١١] عليه. من سكَتَ فَسَلِمَ كان[١٢] كَمَن نَطَقَ

(١) الطَّمع ضرٌ وما نفع.
(٢) زكّاها: أصلحها وطهّرها.
(٣) أدواه: أَوجَدَ فيه الداء.
(٤) البغي: الظلم ومجاوزة الحدّ والقانون. والبغيّ (بالتشديد) المرأة الفاجرة.
(٥) يمكن قراءة القول على صيغة المعلوم (من قَتَل...).
(٦) مِنْ فعل، رَبَّ الشيء: عُنيَ به وتعهّده.
(٧) العَدْلُ: الإنصاف والمساواة. وعدَل اللّهُ فيه: مالَ عنه.
(٨) يضرب لمن يظلّ غاضباً، سيّئ الخُلق.
(٩) فتفضّل، بمعنى: عاتِبْهُ. و(الفاء) فيه هي (فاء) جواب الشرط.
(١٠) العثار: السقوط.
(١١) الهزل يحطّ من القدْر.
(١٢) في السكوت سلامة.

فَغنِمَ. من أَمالَهُ الباطلُ قوَّمه الحقُّ. من لم يَجدْ الحميمَ رعىٰ[١] الهشيمَ. من لم يُحْسِنْ صهيلا نَهَقَ[٢]. من كان عبْداً للحقِ فهو حرٌّ. من عبَّر غُيِّر. من طمِعَ في الكُلِّ فاته الكُلُّ. من غاب خابَ؛ وأكلَ نصيبَه الأَصحابُ.

من لم يَحْترِفْ لم يَعْتَلِفْ[٣]. من اشترىٰ مالاً يحتَاجُ إليه، باعَ ما يَحتاجُ[٤] إليه. من سرَّهُ بَنُوهُ ساءَتْه نفْسُه. من سلَّ سيْفَ[٥] البغْي، قُتِلَ به. من أخافَه الكلامُ، أجارَهُ الصمتُ. من كُنْتَ طليقَ بِرِّهِ فكُنْ أسيرَ شُكْرِه. من أطاعَ هَواهُ أَعْطىٰ عدوَّهُ مُنَاهُ. من خَانَ حانَ[٦]. من لم يَجِدْ باباً مُغْلقاً يَجِدْ إلى جنْبِه باباً مفتوحاً. من زَرَع الإحَن[٧] حصَد المِحَنَ. من طلَب عزّاً بباطلٍ أَوْرَثَه اللّهُ ذُلّاً بِحق. من كَثُر هُجْره[٨] وجَبَ هَجْرُه. من لم يتَّعِظْ اتُّعِظَ به. من كانَت حياتُكَ به فمُتْ دُونَه. من طلَب دَيْناً قديماً أصابَ شرّاً جَديداً[٩].

(١) الحميم: الماء السّاخن، أو الماء البارد. والهشيم: النبت اليابس.
(٢) الصهيل: صوت الحصان، النهيق: صوت الحمار.
(٣) اعتلفت الدّابة: طلبت العلف. حَرَفَ: كَسَبَ من ههنا وههنا.
(٤) مَن بَذَّر ماله افتقر.
(٥) من يَظلم يُظلم.
(٦) حان الرجلُ: هلكَ، وهو من الحَيْن: الهلاك والموت.
(٧) الإحن: الأحقاد. المحن: المصائب.
(٨) الهُجر: قبيح الكلام.
(٩) يضرب لمن ينبش الأحقاد القديمة فيلقى الشرّ.

فصل

لا

لا يَقومُ عن الغضب بَذْلُ الاعتذارِ. لا يزالُ الأَحمَقُ يَدورُ حتى يواجَهَ بما يَسوءُه. لا تَرىٰ الجاهلَ إلا مُفَرِّطاً أو مُفرِطاً[١]. لا أَشْجَعَ مِن بريءٍ[٢]؛ ولا أجْبَنَ مَن مُريبٍ. لا خيرَ في لُزومِ مَواطِنِ الآباء إذا نَبَتْ[٣] بالأبناء. لا خيرَ في المعروف إذا أُحْصِي. لا ضمانَ على الزمان. لا يُنْسَبُ إلى الحِلْم إلَّا مَن قَدَرَ على السَّطوة. لا بدَّ للمصدور[٤] مِن أن يَنفُثَ. لا تُنالُ نِعْمَةٌ إلَّا بِفراقِ أُخرى. لا يكونُ العِمْرانُ حيثُ يَجورُ[٥] السلطانُ. لَا خلاقَ[٦] لسيِّء الأَخلاقِ. لا خيرَ في لَذةٍ تُعْقِبُ[٧] نَدماً. لا أصلَ ثابتٌ ولا فَرْعَ نابتٌ. لا عاش بخيرٍ مَن لا يرىٰ بقلبه ما لم يَرَ بعينه[٨].

---

(١) أفْرَطَ: عَجِلَ وأسرع وأسرف. فرّط: قصّر وأظهر العجز. أي لا يكون الجاهل إلا على طرفيْ نقيض: مبالِغٌ في السرعة والإقدام والإنفاق بغير حساب، أو عاجز مقصّر عن كل ذلك (اللسان [فرط] ٧/ ٣٦٨).

(٢) البريء لا يخاف.

(٣) نَبَتْ به الأرض: لم يجد فيها قراراً.

(٤) المصدور: المصاب بمرض في صدره: المسلول. والنَّفث: ما يخرج من الرئتين والفم من بقع دمويّة.

(٥) يجور: يظلم. لا يكون عمران إلّا بالأمن والعدل والسّلام.

(٦) خلاق: نصيب وافر من الخير.

(٧) لا خير في لذة تترك بعد انتهائها ندماً.

(٨) لا يرتاح الإنسان الضيّق الفكر والتبصُّر.

فصل

ما

ما نَحَلَ والدٌ وَلَده أفضلَ من أدبٍ حَسَنٍ(١). ما خيرٌ، خَيرٌ لا يُنال إلا بِشَرٍّ. ما كلُّ مفتونٍ(٢) يُعَاتَبُ. ما هلَكَ امرؤٌ عَرَفَ قدْرَه. ما ماتَ من أحْيا عِلْماً. ما صِينَ العِلْمُ بمثلِ بذْلِهِ لأهله. ما اسْتَرَقَ الكرامُ مالَكَ أنَضُّ من الدَّيْنِ(٣). ما أنصفكَ مَنْ مَنعَكَ مالَهُ وكلَّفَكَ إجلالَه. ما عُفيَ عن الذنب مَنْ قرَّعَ به(٤). ما رأيتُ تَبذيراً إلا وإلى جانبه حقٌّ مُضَيَّعٌ. ما غَضبي على مَنْ أملك وما غَضبي على من لا أملك. ما أحَدٌ رأى في وَلَدِهِ ما يُحِبُّ، إلَّا رأى في نفسه ما يَكْرَهُ. ما السيفُ الصارِمُ في يدَيْ الشجاعِ بأنْجَد له من الصِّدْق. ما كتمْتَه عَدُوَّك فلا تُخْبِرْ به صديقَك. ما تَسابَّ اثنانِ(٥) إلا غَلَبَ ألأمُهما. ما شاهدٌ على غائبٍ بأدَلَّ من طَرْفٍ على قَلْبٍ. ما جُمِعَ مالٌ بتقتيرٍ إلا أُنفِقَ في تَبْذير. ما أعطِيَ أحدٌ نَصَفاً(٦) فأباه، إلَّا قَبلَ شرًّا منه. ما قَلَّ وكَفى خيرٌ مما كثُرَ وألْهى(٧). ما يَزَعُ اللّهُ بالسلطان أكثرَ مما يَزَعُ بالقرآن(٨).

(١) نحل: أعطى.
(٢) مفتون: مجنون. الذي خلَبه الجمال وسلَب لُبّه.
(٣) نضّ المال: صيّره عيناً بعدما كان متاعاً. أي لا أسرعَ من الدين في سلبك مالك.
(٤) التقريع: التوبيخ الشديد. أي ما صُفِحَ عن مُذْنب إذا وُبِّخَ بعنف وشدة.
(٥) تساب: تشاتم.
(٦) النَّصَفُ: الانتصاف. فالقناعة في الحياة، ضرورة.
(٧) طلبُ المزيد يوقع النقصان.
(٨) الوازع: الرادع. أي أن قوة السلطة لا تفعل فعل الإيمان.

فصل

رُبَّ

رُبَّ عَجَلةٍ تهَبُ رَيْثا[١]. رُبَّ ساعٍ في ما يَضرُّه[٢]. ربما أخطأ البصيرُ قَصْدَه؛ وأصابَ الأعمى رُشْدَه. ربما كان الدواءُ داءً. ربما شَرِقَ[٣] شارِبُ الماء قبْلَ ريِّه. رُبَّ طامعٍ مَلَكَ؛ وطالبٍ أدْرَكَ. رُبَّ طَرْف أفصحُ مِنْ لسان[٤]. رُبَّ مغبوطٍ مَغبوطٌ[٥]. ربما تكونُ المنيَّةُ[٦] هنيَّة. رُبَّ مُقالٍ لا تُقالُ عَثْرتُه[٧]. رُبَّ مملوكٍ لا يُسْتَطاعُ فراقُه. رُبَّ مغْتابٍ غيرَه بما هو فيه. ربما كانت العطيَّة خطيَّةً[٨]؛ وربما كانت العِناية جنايةً[٩]. رُبَّ حَرْفٍ أدنى إلى حتف[١٠]. ورُبَّ كلمةٍ سلَبَت نِعْمةً. رُبَّ منْعٍ أحْلا من العَطاء. رُبَّ أكلَةٍ تَمنعُ أكَلاتٍ. رُبَّ صديقٍ يؤتى في جهله لا من بيته[١١]. رُبَّ كلمةٍ تقولُ لقائلها: دَعْني[١٢]. رُبَّ عقلٍ أسيرٌ لهوى أمير. رُبَّ صبابة[١٣] غرسَتْها لحظةٌ؛ ورُبَّ حرْبٍ جَنتْها لفظةٌ.

---

(١) الريث: الإبطاء أي ربما يعقب العجلة تروٍّ وإبطاء.

(٢) قد يسعى الإنسان إلى ما يضرُّه وهو لا يدري.

(٣) شرِقَ: غُصَّ. الريّ: الارتواء.

(٤) الطرف: النظر.

(٥) الغَبْطُ: تمنّي نعمةٍ على أن لا تُحَوَّل عن صاحبها. والمعبوط: الذي نالَ المال دون استحقاق.

(٦) المنيَّةُ: الموت. ربّما كان الموت سهلاً.

(٧) رب كلام يترك جرحاً عميقاً في النفوس.

(٨) ربّما كان في العطاء خطأ شنيع، كنقيض ما يقال: (ربَّ ضارّةٍ نافعةٌ).

(٩) جناية: جرم.

(١٠) رب كلمة تنتهي بصاحبها إلى الموت.

(١١) هكذا ورد ولا معنى له.

(١٢) دعني! لتنجو من وقعها الشديد. مجاز أريد به اختيارُ أجملِ الألفاظ ليَحْسُنَ وَقْعُها في النفس. مثال ذلك القول الآتي: «رب حرب جنتها لفظة».

(١٣) الصبابة: الحبّ.

فصـل

لَـوْ ولـولا

لو سكتَ مَنْ لا يَعلمُ سقطَ الخِلافُ. لو عَقَل أَهلُ الدنيا كلُّهم، خرِبَتْ. لو جاز لَوْمُ الأَحمقِ على أن يَعْقلَ، جازَ لَوْمُ الأَعْمى على أن يُبْصِرَ. لو كان المِزاحُ فحْلاً لم يُنْتِج[1] إلّا شرًّا. لو صُوِّر الصدقُ لكان أسداً، ولو صُوِّر الكذبُ لكان ثَعْلبا[2]. لو كانت الدنيا لقمةً في يد الكريم لَوضَعها في فم ضَيْفه. لو عَيَّرْتُ حُبْلى لخِفْتُ أن أَحْبِلَ. لو عيَّرتُ كلباً لخفتُ أن أجوزَ في سلاحه[3]. لو بلغَ الزقُّ فاه لولّاه قَفاهُ[4]. لو مرَّ بوادي الأراكِ ما انْصَرَفَ منه بِسِواكٍ[5]. لولا الحياءُ هَلَكَ الأَحْياءُ. لولا السيفُ كثُرَ الحَيْفُ[6]. لولا التقاضي قلَّ التراضي. لولا ظُلمةُ الخطأ ما أَشرَقَ نُورُ الصوابِ. لولا الشعيرُ ما نَهقَتْ الحَميرُ.

---

(١) الفحل: ذكر الأنثى من الحيوان، وهو لا يَلد ككلّ الذكور.

(٢) الصدق قويّ يفرض ذاته. والكذب مراوغة وخبث.

(٣) لم نتبيّن مغزى القول إلّا أن يكون قصد بالسُّلاح (بالضم) روث الكلب وفضلات بطنه.

(٤) الزق: وعاء من جلد يوضع فيه خمر. ويضرب المثل للمحروم.

(٥) الأراك: نوع من الشجر، له عيدان يُستاك بها، أي تنظّف بها الأسنان.

(٦) الحيف: الظلم. أي القوّة تردع الظالم.

فصل

ليس

ليس الخبرُ كالمُعَايَنَة. ليس جزاءُ مَنْ سرَّكَ أن تَسُوءه. ليس يَجِبُ المدحُ والذمُّ إلا لمُعْتَمِدِ الجميلِ والقَبيح. ليس شيءٌ أحقُّ بطولِ سِجْنٍ من لسانٍ[١]. ليست العزَّةُ في حُسْنِ البِزَّة[٢]. ليس حسْنُ الجوار الكفَّ عن الأذى ولكنه الصبرُ على الأذى. لست بخِبٍّ والخِبُّ لَا يخْدعني[٣]. ليس سبيلٌ مِن البِرِّ إلا ودونَه عَقَبةٌ من الصَّبْر. ليس في البرق اللامع مستمعٌ لخائض الظلمة[٤]. ليس شيءٌ أحبَّ إليَّ من الضيف لأنَّ رزْقَه على الله ومَحْمدَتَهُ لي. ليس بمغرورٍ مَنْ وثِقَ بالله.

(١) التهلكة في الثرثرة.

(٢) البزّة: الثياب.

(٣) الخِبُّ: الغش والخداع.

(٤) سائر في الليل.

بـــاب

الحكمة من الشعر

فصل

انتظار الفرج من أهل الشدة والحرج

قال صاحبُ الكتاب [المؤلف]:

هي شدَّةٌ يأتي الرخاءُ عَقِيبَها ... وأسًى يُبشِّرُ بالسرور العاجِلِ
وإذا نظرتَ فإنَّ بؤساً زائلاً ... للمرءِ خيرٌ من نعيمٍ زائلِ[1]

وقال أيضاً:

سأصبرُ حتى يأتيَ اللهُ بالذي ... يَشاءُ وحتى يعجَبَ الدهرُ من صبْري
فكم فاقةٍ باتَ الغِنىٰ من خِلالِها ... يَلُوحُ، وكم عُسْرٍ تكشَّفَ عن يُسْرِ[2]

وقال آخر:

هيَ الأيامُ والغِيَرُ ... وأَمْرُ اللهِ مُنتظَرُ[3]
أتيأسُ أنْ ترىٰ فرَجاً ... فأينَ اللهُ والقَدَرُ

إبراهيم بن العباس الصولي:

ولرُبَّ نازلةٍ يضيقُ بها الفتىٰ ... ذَرْعاً وعند الله منها المخرَجُ
ضاقتْ فلمَّا استحْكَمَتْ حلَقاتُها ... فُرِجَتْ وكان يظُنُّها لا تُفرَجُ[4]

وقال آخر:

لا تَكْرهِ المكْروهَ عندَ نُزولِهِ ... إنَّ العواقبَ لم تَزَلْ متبايِنَهْ
كم نِعْمةٍ لا تُسْتَقَلُّ بشُكْرِها ... للهِ في ظلِّ المكارِهِ كامِنَهْ

---

(١) عقيبها: بعدها بقليل. أي البؤس الذي لا يدوم أفضل من الرغد الذي لا يدوم.

(٢) الفاقة: الفقر الشديد. أي قد يكون بعد العسر يسر.

(٣) الغير: تقلّبات الدهر. أي لا تيأس من الفرج، لأن الله موجود، وهو أرحم بعباده.

(٤) نازلة: مُصيبة داهية. ضاق بها ذرعاً: تذمّر. أي بعد الشدّة لين. وقائل هذين البيتين هو: إبراهيم الصولي المتوفى ٢٤٣هـ/٨٥٧م. كاتب العراق في عصره. أصله من خراسان. قال دِعبل: لو تكسّب إبراهيم بالشعر لتركنا في غير شيء. له ديوان رسائل، وديوان شعر.

وقال عبدُ الله بن الزَّبير الأسدي[١]:

لا أحْسَبُ الشرّ جاراً لا يفارِقُني ... ولا أحُزُّ على ما فاتني الوَدَجا[٢]
وما نَزَلْتُ من المكروه مَنزِلةً ... إلا وثِقْتُ بأنْ ألقىٰ لها فَرَجا

وقال آخر:

كم فرحةٍ مطويَّةٍ ... لكَ بين أثناءِ النَّوائِبْ[٣]
ومسرَّةٍ قد أقبلَتْ ... مِن حيثُ تَنْتَظِرُ المصائِبْ

وقال آخر:

خَفْ إذا أصبحْتَ تَرْجُو ... وارجُ إنْ أصبحْتَ خائِفْ
رُبَّ مكروهٍ مَخُوفٍ ... فيه للهِ لَطائِفْ

أبو الحسن بن فارس[٤]:

وقالوا كيف حالُكَ قلتُ خَيرٌ ... تُقَضَّى حاجةٌ ويَفُوتُ حاجُ[٥]
إذا ازدحمَتْ همومُ الصدرِ قُلْنا ... عسىٰ يوماً يكونُ لها انفراجُ

منصور الفقيه:

يا مَنْ يَخافُ أن يَكُو ... نَ مَا يخافُ سَرْمَدا[٦]
أَمَا سَمِعْتَ قولَهم ... إنَّ مَعَ اليومِ غَدا

بعضُ الأعراب:

وإنّي لأُغضي مقْلَتَيّ على القَذىٰ ... وألبسُ ثوبَ الصبرِ أبيضَ أبلَجا
وإنّي لأدعو الله والأمرُ ضَيِّقٌ ... عليَّ فما يَنفكُّ أنْ يَتَفرَّجا
وكم مِنْ فتًى ضاقتْ عليه وجُوهُهُ ... أصابَ لها في دعوة الله مَخْرَجا[٧]

---

(١) عبد الله بن الزَّبير (بفتح الزاي وكسر الباء) بن الأشيم. شاعر كوفي أموي الهوى والسياسة، وكان هجّاءً يُرْهَبُ شرُّه. مات في ولاية الحجاج بعد أن عميَ بصره (معجم الشعراء في لسان العرب ص٢٢٨ - ٢٢٩، وفيه بعض مصادر ومراجع لترجمته).
(٢) أحزّ: أقطع. الودج: عرق في العنق، إذا قطع، لا يبقى من دونه حياة.
(٣) النوائب: جمع. نائبة: المصيبة.
(٤) لم نجد أبا الحسن فارس، بل أبا الحسين بن فارس، صاحب التصانيف اللغوية المعروفة ومنها: «مقاييس اللغة» و«المجمل». توفي سنة ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م.
(٥) حاج: مفردها حاجة.
(٦) سرمداً: دائماً. سرمدي: لا أوّل له ولا آخر.
(٧) أغضي: أطبق. القذى: القشّة في العين. أبلج: أبيض ناصع. المعنى: أصبر على الشدائد، وأدعو الله فيساعدني على الخروج منها سالماً معافى.

فصل

في الحضّ على اكتساب الإخوان ومُدَاراتِهم والصفحِ عن زَلَّاتهم وهَفَواتهم

قال عبدُ الملك بن مروان[١] يوماً لأهلِ بيتِهِ وجُلَسائه: ليُنْشِدْ كلُّ منكُم أحْسَنَ شعرٍ سَمِعَه. فانشدوا لامرئ القيس، وزهير، والنابغة، والأعشى، فأكثروا حتى أتَوْا على مَحاسنِ ما يحفظونَ. فقال عبد الملك: أشْعَرُهم واللّهِ الذي يقول:

وذي رَحِمٍ قَلَّمْتُ أَظْفَارَ ضِغْنِهِ ... بحِلْميَ عنهُ وهوَ ليس له حلْمُ[٢]

إذا سُمْتُهُ وَصْلَ القرابةِ سامَني ... قَطيعتها تلك السَّفاهةُ والظُّلْمُ[٣]

ويَسْعىٰ إذا أبْني ليَهدِمَ صالحي ... وليس الذي يَبْني كمن شأنهُ الهَدْمُ

يُحاول رُغْمي لا يُحاول غيرَهُ ... وكالموتِ عِندي أن يَحِلَّ به الرُّغْمُ[٤]

فما زِلْتُ في لِينٍ له وتَعطُّفٍ ... عليهِ كما تَحْنُو على الوَلَدِ الأُمُّ

لأَسْتَلَّ الضِّغْنَ حتى سلَلْتُهُ ... وإن كان ذا ضِغْنٍ يضيقُ به الحِلْمُ[٥]

وأطفأتُ نارَ الحربِ بَيني وبينَهُ ... فأصْبحَ بَعْدَ الحربِ وهوَ لنا سِلْمُ

وقال بشار بن برد[٦]:

إذا كنتَ في كلِّ الأمورِ مُعاتِباً ... صديقكَ لم تَلْقَ الذي لا تُعاتِبُهْ

فعِشْ واحداً أوْ صِلْ أخاكَ فإنهُ ... مُقارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً ومُجانِبُهْ

(١) سبق التعريف به.

(٢) ذي رحم: ذي قرابة. أي رددت ضغينة القريب بتعقلي وصبري.

(٣) يبادلني القرابة والودّ بالقطيعة والجفاء. وتلك هي السفاهة والظلم.

(٤) الرغم: القهر والقَسْر.

(٥) عاملته بلين وعطف حتى تمكّنت من انتزاع الحقد من صدره. وكم كان حاقداً.

(٦) سبق التعريف به.

إذا أَنتَ لم تَشرَبْ مِراراً على القذى ظمئتَ وأيُّ الناس تَصفو مَشارِبُهْ[(١)]

وقال كثيّر عزّة[(٢)]:

ومَنْ لم يُغمِّضْ عينَه عن صديقِهِ وعَنْ بعضِ ما فيه يَمُتْ وهْوَ عاتِبُ
ومن يَتَتَبَّعْ جاهِداً كلَّ عَثْرةٍ يَجِدْها، ولا يَسْلَمْ له الدهرَ، صاحِبُ[(٣)]

وقال آخر:

إقْبَلْ أخاكَ بِبَعْضِهِ قد يُقْبَلُ المعروفُ نَزْرا
واصْبِرْ عليه فإنَّه إنْ ساءَ عصْراً سرَّ عَصْرا

وقال آخر:

واصِلْ أخاكَ وإنْ أتاكَ بِمُنْكَرٍ فَخُلُوصُ شيءٍ قلَّما يتمكَّنُ
ولكلِّ شيءٍ آفةٌ موجودةٌ إنَّ السراجَ على سَنَاه يَدْخُنُ[(٤)]

ابن الحداد المغولي[(٥)]:

أُشْدُدْ يدَيْكَ على أخِيكَ تَكُنْ به في كلِّ أمرٍ تَبْتَغيهِ قَديرا
لو لم يكُنْ بأخٍ أخٌ مُتَأيِّداً لم يتَّخِذْ موسى أخاهُ وزيرا[(٦)]

وقال آخر:

تَكثَّرْ مِن الإخوانِ ما اسْطَعْتَ إنَّهمْ عمادٌ إذا استَنْجَدْتَهم وظُهُورُ
وليس كثيراً ألْفُ خِلٍّ وصاحبٍ وإنَّ عدوًّا واحداً لكثيرُ

أبو الفتح البُسْتي[(٧)]:

تَحمَّلْ أخاكَ على ما بهِ فما في استقامَتِهِ مَطْمعُ

---

(١) لا تلم صديقك على كل أمر يأتيه، لأنه ليس من إنسان كامل فإمّا أن تعيش منفرداً، وإمّا أن تقبل به؛ يرتكب الأخطاء حيناً، ويتجنّبها أخرى. إشربْ الماء وإن غير صافٍ حتى لا تظمأ، ويرتوي الآخرون. أي إقبل صديقك على علاّته كي لا تُخرَمه.

(٢) شاعر أقام في المدينة، غالى في تشيّعه، وقال بالرّجعة والتناسخ، وبإمامة المهدي محمد بن الحنفيّة. تغزّل بعزّة، فسمّي بها. توفي ١٠٥هـ/٧٢٣م.

(٣) من لا يغضّ الطرف عن أخطاء الآخرين يتعب من عدّها، ويخسر أصدقاءه.

(٤) ما من إنسان خالٍ من العيوب؛ وحتى السّراج الذي يبدّد الظلمة يشوب نورَه دخانٌ.

(٥) لم نتبيّنه!.

(٦) عاون أخاك، لأنك لن تجد سواه في الملمّات.

(٧) علي بن محمد بن الحسين البُسْتي نسبة إلى (بُسْت) القرية القريبة من سجستان الخراسانية. كاتب وشاعر، له ديوان شعر، وله ترجمة وافية في «يتيمة الدهر» للثعالبي ٤/ ٣٠٢ ـ ٣٠٤. توفي ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م.

وإنّي له خُلُقٌ واحدٌ   وفيه طبائِعُهُ الأربَعُ[1]

وقال آخر:

مَنْ لم يكُنْ ذا خليلٍ   يُفشي إليهِ بِسِرِّهْ
ويستريحُ إليهِ   في خيرِ أمرٍ وشَرِّهْ
فليس يَعْرِفُ طَعماً   لِحُلْوِ عيشٍ ومُرِّهْ[2]

ابن المعتز[3]:

اللّهُ حَسْبي وبه تَوفيقي   ما أسمَجَ الدنيا بلا صَديقِ[4]
وأضعَفَ المالَ عن الحقوقِ   وأمْيَلَ الدهرَ إلى العُقوقِ

وقال آخر:

إذا ما صديقي رابَني سُوءُ فِعْلهِ   وَلمْ يَكُ عمّا ساءني بمُفيقِ
صبرتُ على أشياءَ منهُ تُريبُني   مخافةَ أنْ أبْقى بغيرِ صَديقِ[5]

وقال آخر:

إذا أنتَ لم تستقبِلِ الأخَ لم تَجِدْ   لِكَفَّيْكَ في إدبارِهِ مُتَعلَّقا
إذا أنتَ لم تَتْرُكْ أخاكَ وزلّةً   إذا زلّها، أوْشَكْتُما أن تَفرّقا[6]

---

(١) الطبائع الأربع: الصَّد والدّنس والشَّين والعيب.
(٢) خليل: صديق. أي لا يطيبُ طعمُ الحياة من دون أصدقاء.
(٣) سبق التعريف به.
(٤) أسمج: أثقل.
(٥) رابني: حملني على الشك والريبة. أي أنني أقبل بصديقي، كما هو خوفاً من أن أبقى بدون صديق.
(٦) أن تفرقا: أن تفترقا.

فصل

كيف يجب أن يكون الإخوان

قال بعضُهم:

أخوكَ الذي لو جئتَ بالسيف مُصْلَتاً ... إليه به، لم يَستغِشَّكَ في الوُدْ
ولو جئتَ تدعوهُ إلى الموتِ لم يَكُنْ ... يَرُدُّكَ إشفاقاً عليكَ من الردّ
يَرىٰ أنه في الودِّ وَانٍ مقصِّرٌ ... وإن زاد فيه بالوفاءِ على الجُهْدِ[١]

وقال آخر:

أخوكَ الذي لا يَنقُضُ النأيُ عهدَهُ ... ولا عندَ صَرْفِ الدهرِ يَزْوَرُّ جانِبُهْ
وليس الذي يَلْقاكَ بالبِشْرِ والرِّضا ... وإنْ غِبْتَ عنه لَسَّعَتْكَ عقارِبُهْ[٢]

وقال آخر:

وليس أخوكَ الدائمُ العهدِ بالذي ... يَسوءُكَ إنْ وَلّىٰ ويُرْضِيكَ مُقْبِلا
ولكنَّهُ النائي إذا كنتَ مُقْبِلاً ... وصاحِبُكَ الأدنىٰ إذا الأمرُ أعْضَلا

وقال آخر:

أخوكَ الذي إنْ سرَّكَ الأمرُ سَرَّهُ ... وإنْ ساءَ أمرٌ ظَلَّ وهوَ حزينُ
يُقرِّبُ مَنْ قَرَّبْتَ مِنْ ذي مودةٍ ... ويُقصي الذي أقصَيْتَهُ ويُهِينُ[٣]

بشار بن برد:

خيرُ إخوانِكَ المشارِكُ في المُـ ... ـرِّ وأينَ الشريكُ في المُرِّ أينا

(١) صَلَتَ السيفَ وأصْلَتَه: جرَّده من غمده استعداداً للضرب به. يستغشّك: يغشّك. الصديق هو الذي لا يردّ لك طلباً، مهما كان نوعه، ويجد نفسه دائماً مقصّراً بواجبه تجاهك.

(٢) النأي: البعد. إنّ أخاكَ هو الذي يبقى على العهد، وإن ابتعد عنك، لا ذاك الذي يهشّ لك في الحضور وفي غيبتك، يتناولك لسانه بالسّوء.

(٣) الصديق هو الذي يُحبّ من تُحبّ، ويكره من تكره.

الـذي إن شَـهِـدتَ زانَـك فـي الـنـا س وإنْ غـبْـت كـان أُذْنـاً وعَـيْـنـاً[١]

أبو العتاهية[٢]:

عَذيري[٣] من الإنسانِ لا إن جفَوْتُهُ صَـفَـا لـي ولا إنْ صـرْتُ طـوعَ يـدَيْـهِ
وإنـي لـمـشْـتـاقٌ إلـى ظـلِّ صـاحـبٍ يَـرِقُّ ويـصْـفُـو إنْ كـدرْتُ عـلـيـهِ

العباس بن جرير:

إنَّ الـصـديـقَ هـو الـذي يـراكَ حـيـنَ تَـغـيـبُ عـنـهُ[٤]
وإذا كـشَـفْـتَ إخـاءَهُ أَحْـمـدْتَ مـا كـشَـفْـتَ مـنـهُ
مـثـلُ الـحُـسـامِ إذا انـتَـضـا هُ ذو الـحـفـيـظـةِ لـم يَـخُـنْـهُ[٥]
يَـسْـعـىٰ لِـمَـا يَـسْـعـىٰ لـه كـرَمـاً وإن لـم يَـسْـتـعِـنْـهُ

وقال آخر:

وإذا صـاحـبْـتَ فـاصـحَـبْ مـاجِـداً ذا حـيـاءٍ وعَـفـافٍ وكَـرَمْ[٦]
قـولُـه لـلـشـيءِ لا إنْ قـلـتَ لا وإذا قـلـتَ نـعَـمْ قـال نَـعَـمْ

---

(١) صديقك المخلص هو من يقاسمك همومك، ويحفظ غيبتك.

(٢) هو إسماعيل بن القاسم ولد قرب المدينة. ونشأ بالكوفة. كني بأبي العتاهية لحبّه المجون والتعتُّه. أكثر شعره في الزّهد. توفي سنة ٢١٠هـ/٨٢٥م.

(٣) العَذيرُ: العاذر، وهو الذي يلتمس العذر لصديقه أو يطلب له العذر لتقصيره.

(٤) في عجز البيت خلل عروضي إذ لا يجوز في تفعيلة الكامل «متفاعلن»، مفاعِلن، التي هي للرجز.

(٥) الحفيظة: الغضبُ الشديد.

(٦) الماجد: صاحب الخلق الحسن.

فصل

في ذمّ خوّان الإخوان

القاضي بن معروف:

إحـذرْ عـدوّكَ مـرةً واحـذرْ صديقكَ ألفَ مرّهْ
فلربما انقلبَ الصّديـ ـقُ فكان أخبرَ بالمضرّهْ(١)

وقال آخر:

إسمعْ مقالةَ ناصحٍ جمعَ النصيحةَ والمِقَهْ(٢)
إياكَ واحذرْ أن تكو نَ من الثقاتِ على ثِقَهْ

وقال آخر:

إحذرْ صديقَكَ إنه يُخفي عليكَ ولا يُبِينْ
إنَّ العدوَّ مُبارزٌ لكَ والصديقُ هو الكَمِينْ(٣)

أبو الحسَن علي بن عبد الغني القَيْرواني:

كم مِنْ أخٍ قد كان عندي شَهْدةً حتى بلوتُ المُرَّ من أخلاقِهِ
كالمِلحِ يُحْسَبُ سُكراً في لونِهِ ومَجَسِّهِ، ويحُولُ عند مَذَاقِهِ(٤)

ابن عمار:

وزَهّدني في الناس مَعرفتي بهمْ وطولُ اختباري صاحباً بعد صَاحِبِ
فلمْ تُرِني الأيامُ خِلّاً يُسِرُّني بواديه إلّا ساءني في العَواقبِ
ولا صرْتُ أرجوهُ لدفعِ مُلِمَّةٍ من الدهر إلا كان إحدى النوائبِ

---

(١) المضرّة: الإضرار، الإساءة.
(٢) المقة: الحبّ الخالص.
(٣) إحذر صديقك لأنه يخفي عنك ما يضمر. بينما يكشف العدوُّ كل ما يحمله لك من مشاعر عِداء.
(٤) شهدة: عسل. جسٌّ: لمسٌ. مجسّهُ: ملمسهُ. ويحول: يتحوّل ويصير.

ابن الرومي[١]:

عـدوُّكَ مـن صـديـقـك مُـسْـتَـفـادٌ ... فـلا تـسـتـكـثِـرنّ مـن الـصِّحَـابِ

فـإنّ الـداء، أكـثـرَ مـا تـراهُ ... يَـحُـولُ مـن الـطـعـام أو الـشـرابِ

ابن المعتز:

بـلَـوتُ أخـلاّءَ هـذا الـزمـانِ ... فأقـلـلْـتُ بالهَجْرِ منهم نَصيبي

وكـلُّـهُـمُ إنْ تَـصـفَّـحْـتَـهُـمْ ... صـديـقُ الـعِـيـانِ عَـدوُّ الـمـغـيـبِ

وقال صاحب الكتاب:

وأخٍ وفـايَ[٢] وقُـبْـحُ سـيـرتـهِ ... فـي الـغـدرِ مـا لـهـمـا مـعـاً أمَـدُ

مـا زلـتُ أُكـرِمُـه ويَـحْـسِـدُني ... حـتـى انـتـهـىٰ الإكـرامُ والـحَـسَـدُ[٣]

وقال آخر:

متى تَحسَبْ صديقَك لا يَقلُّوا ... وإن تَخْبُرْ يَقلُّوا في الحساب[٤]

وتَـرْكُ مَـطـالـبِ الـحـاجـاتِ عِـزٌّ ... ومَـطـلـبُـهـا يُـذِلُّ قِـوىٰ الـرِّقـابِ

وقـرْبُ الـدارِ فـي الإقـتـار[٥] خـيـرٌ ... مـن الـعـيـش الـموسّعِ فـي اغـتـرابِ

أبو العتاهيه:

أنـتَ مـا اسـتـغـنـيـتَ عـن صـا ... حِـبِـكَ الـدهـرَ، أخُـوهُ[٦]

---

(١) ولد في بغداد من أب روميّ وأم فارسيّة. أثر تراثُه اليوناني الفارسي على عبقريته، فجاء شعره مختلفاً عن شعر نظرائه. كان ضيّق الأخلاق، ملحًا في السؤال، خبيث اللسان، فلم يقرّبْهُ إليه أحد. له «ديوان» مطبوع في مصر بشرح الشيخ محمّد شريف سليم، ثم نشر بتحقيق الدكتور حسين نصّار. وقد عاش بين ٢٢٠هـ - ٢٨٣/ ٨٣٥ - ٨٩٦م.

(٢) لم نفقه هذه الكلمة ولا أصل تركيبها!

(٣) الأمد: الغاية والنهاية.

(٤) استخدم الشاعر (الصديق) بمعنى الجمع وهو جائز؛ وقد استخدمه العرب وجاء في القرآن قوله تعالى: ﴿فما كنا مِن شافعينَ ولا صديقٍ حَميم﴾ فقد عطف على جَمْع (لسان العرب [صدق] ١٠/ ١٩٤).
وحذفت (نون) «يقلّوا» على الجزم بجواب الشرط «متى» كذلكَ «ملوا» في عجز البيت. ومعنى البيت: إن عَدَدْت أصدقاءك فهم كثيرون، ولكنك في الخبر أو الاختبار فهم قليلون كقول علي بن أبي طالب:

فـمـا أكـثـر الـخـلان حـيـث تـعـدُّهـم ... ولـكـنـهـم فـي الـنـائـبـات قـلـيـلُ

(٥) الإقتار: التقتير، العيش بكثير من الاقتصاد لدرجةِ الخَصاصة. أي أن تعيش بضيقٍ وأنت في موطنك، أو قريباً منه، أفضل من الحياة المُرَفَّهة في الغربة.

(٦) ما: في مطلع البيت: ظرفية. كذلك: «الدهر» في العجز. ومعناه: طالما استغنيت عن صاحبك فهو أخوك، ولكنك إن احتجت إليه، رمى بك كما تُرمى النواة من الفم.

فـإذا احـتـجـتَ إلـيـه مَـرّةً مَـجّـك فـوه[١]

وقال آخر:

تَـطـلَّـبْـتُ أخـاً مَـحْـضـاً ومَـنْ لـي بـأخٍ مَـحْـضٍ[٢]
تـعـالـى الـلّـهُ مـا أقْـرَبَ بـعـضَ الـنـاسِ مِـنْ بَـعْـضِ

وقال آخر:

متى تُصيبُ الصاحبَ المهذَّبا هيهاتَ ما أعْسَرَ هذا مَطْلَبا
وشَرُّ ما طالَبْتَهُ ما استُصْعِبا

(١) مجّ: بصق ولفظ. فوه: فمه.

(٢) محض: خالص، صافٍ.

فصل

في مدح القناعة وذمّ الضراعة

قال محمد بن بشير[١]:

لأنْ أُزَجّيَ عند العُرْيِ بالخَلَقِ ... وأكتفي مِنْ كثير الزاد بالعَلَقِ
خيرٌ وأكرمُ لي من أن أرىٰ مِنَناً ... معقودةً لِلِئَامِ الناسِ في عُنُقي[٢]

محمود الوراق[٣]:

من كان ذا مالٍ كثيرٍ ولَمْ ... يَقْنَعْ فذاكَ المُوسِرُ المُعْسِرُ
وكلُّ مَنْ كان قَنوعاً وإنْ ... كان مُقِلّاً فهُوَ المُكْثِرُ
الفَقْرُ في النفسِ وفيها الغِنىٰ ... وفي غِنَىٰ النفس، الغِنىٰ الأكْبَرُ[٤]

أبو فراس[٥]:

غِنَىٰ النفسِ لِمَنْ يَعْقِلُ (م) خيرٌ مِن غِنَىٰ المالِ
وفَضلُ الناسِ في الأنفُسِ (م) ليس الفَضلُ في المالِ

---

(١) وجاء في بعض المصادر: محمد بن يسير (بالسين المهملة) الرياشي. وهو من بني خارجة وليس من الخوارج. سكن بين المدينة والصفراء. أفرد له الأغاني (دار الكتب)/ مساحة واسعة لترجمته (جـ١٦/ ١٠٢ ـ ١٣٤). توفي في مطلع القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. والبيتان من ديوانه، تحقيق مظهر الحجي. دار الذاكرة ـ حمص سنة ١٩٩٦ ص١٤٤. والخلق: البالي. والمِنن: ج مِنّة: الجميل. والعلق: زاد الدابّة.

(٢) العيش في الجوع والعري خير من منّة الناس اللئام.

(٣) محمود الورّاق (ت٢٢٧هـ/ ـ ٨٤٠م). شاعر في الحكم والمواعظ. وفي كتاب «الكامل» للمبرّد نتف من شعره. جمع عدنان العبيدي ببغداد ما وجد من شعره في ديوان.

(٤) أي: القناعة هي الغنى.

(٥) أمير شاعر، فارس. هو ابن عم سيف الدولة الحمداني، أمير حلب. قاتَلَ الرومَ وأُسر. تفجّرت في بلاد الروم عبقريته الشعرية، فعرفت قصائده بالروميّات. مات قتلاً. ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م وعمره سبعة وثلاثون سنةً!

وقال أيضاً:

ما كلُّ ما فوقَ البسيطةِ كافياً ... وإذا قنعتَ فكلُّ شيءٍ كافِ
إنَّ الغنيَّ هو الغنيُّ بنفسِه ... ولوَ انّهُ عاري المناكبِ حافي[١]

أبو الغَير:

لا أقولُ اللَّهَ يَظلِمُني ... كيفَ أشكو غيرَ متَّهمِ
وإذا ما الدهرُ ضَعضَعني ... لم يَجدْني كافِرَ النِّعَمِ
قَنِعَتْ نفسي بما رُزِقَتْ ... وتَمطَّتْ في العُلى هِمَمي
ولبستُ الصبرَ سابغةً ... فهو مِن قَرني إلى قَدَمي[٢]
لي ليس مالٌ سوى كَرَمي ... وبه أمْني منَ العَدمِ

صاحب الكتاب:

وإنّي وإنْ كنتُ العديمَ مِن الثَّرىٰ ... لآتي أُموراً يَستريبُ لها المُثري[٣]
بَخِلْتُ بِحُرِّ الوجهِ أن أفعلَ التي ... يَهونُ بها والحُرُّ يَبخَلُ بالحُرِّ
وصنْتُ مَحلِّي عن خُضوعٍ يَشِينُهُ ... وليس لِمثلي في الضراعة مِنْ عُذْرِ
وما ذاكَ مني عنْ غِنًى غيرَ أنني ... بَنَيتُ كما يَبني الكرامُ على الصبرِ[٤]

وقال آخر:

يا أسيرَ الطَّمَعِ الرا ... سِفِ[٥] في قيدِ الهَوانِ
إنَّ ذُلَّ اليأسِ خيرٌ ... لكَ من ذُلِّ الأَماني

منصور الفقيه:

إذا القُوتُ تأتّى لَكَ (م) والصِّحَّةُ والأَمنُ
وأصبحتَ أخا حُزنٍ ... فلا فارَقَكَ الحُزنُ[٦]

---

(١) المناكب: الأكتاف. واحدها: منكب.
(٢) السابغ: الواسع. أي لبست الصبر كما لو كان حُلّة واسعة، على طريق المجاز.
(٣) الثرى: التراب. المثري: الغنيّ.
(٤) لم أرق ماء الوجه في الطلب، وهذا شأن كبار القوم.
(٥) الرّاسف: الذي يمشي في قيده على مهل لِثقل القيد.
(٦) الحَزَن: الهمّ والغمّ.

فصل

في الأمر بالصبر على نوائب الدهر

قال محمد بشير[(١)]:

ماذا تكلُفُكَ الرَّوْحاتِ والدُّلَجَا البَرَّ طَوراً وطَوراً تَرْكَبُ اللُّجَجَا[(٢)]
كم من فتًى قصَّرَتْ في الرزق خُطوَتُهُ أَلْفيتَهُ بسِهامِ الرزقِ قد فَلَجا[(٣)]
إنَّ الأمورَ إذا انسدَّتْ مَسالِكُها فالصبرُ يَفتحُ منها كلَّ ما ارْتَتَجا[(٤)]
لا تيأسنَّ وإنْ طالتْ مُطالَبَةٌ إذا استعنتَ بصبرٍ أن تَرىٰ فَرَجا
أَخْلِقْ بذي الصبر أنْ يَحظىٰ بحاجته ومُدمِنُ القَرْعِ لِلأبوابِ أنْ يَلِجا[(٥)]

زين العابدين علي بن الحُسَين رضي الله عنهما[(٦)]:

وإذا بليت بعُسْرَةٍ فالْبَسْ لها صبرَ الكريم فإنَّ ذلك أحزَمُ
لا تَشكُونَّ إلى العبادِ فإنَّما تشكو الرحيمَ إلى الذي لا يَرحَمُ[(٧)]

أبو عفان:

لا تَضْرَعنَّ إلى أخيكَ (م) وإنْ كَثُرتَ فيَستَقِلَّكْ[(٨)]
واصْبِرْ على مضضِ الخطو بِ فإنْ فَمَلْتَ فما أجلَّك

وقال آخر:

لا تُعْلِمنَّ مُؤالِفاً وَمخالِفاً حالَيْكَ في السرَّاءِ والضرَّاءِ

(١) سبقت ترجمته في الفصل السابق. (٢) الدَّلَج: السير في الليل. اللجّة: موجة البحر.
(٣) فلج: شقّ. هكذا وردت (فَلَجا) بالنصب. وحقُّها أن تُضم للمجهول.
(٤) ارتتج: أغلق.
(٥) ولج: دخل. إقرع أبواب الرزق، ولا تيأس، فإنها تنفتح لك. والأبيات من قصيدة شعرية قوامها تسعة أبيات كلها في الصبر والتأسي (ديوانه/ ص٥٤).
(٦) سبق التعريف به.
(٧) أي تشكو إلى الرحمن عزّو جلّ مَن لا يعرف الرحمة.
(٨) لا تطلب من أخيك، كمن يستجير (من الضراعة) فإنه يستخف بك (يستقلّك) حتى ولو كنتَ تملك الكثير.

فلَرَخمةُ المتوجّعينَ مَضاضةٌ ... في القلب، مثلُ شَماتةِ الأعداءِ

مُضرّسُ بن رِبْعي[١]:

ولا تَيأسَنْ مِنْ صالحٍ أنْ تَنالَهُ ... وإنْ كانَ شَيئاً بينَ أيْدٍ تبادِرُهْ

وما عَزَّ فاتْرُكْهُ إذا عَزَّ واصْطَبِرْ ... على الدهرِ إن دارتْ عليكَ دوائرُهْ

أبو العتاهية:

ليسَ لِما ليسَتْ لهُ حيلةٌ ... موجودةٌ، خيرٌ منَ الصبرِ

فاخْطُ معَ الدهرِ إذا ما خَطَا ... واجْرِ معَ الدهرِ إذا يَجْري

مَنْ سابَقَ الدهرَ كَبَا كَبْوةً ... لم يستقِلْها آخرَ الدهرِ[٢]

يُروىٰ لأمير المؤمنين علي رضي اللهُ عنه:

صُنِ النفسَ واحمِلْها على ما يَزِينُها ... تَعِشْ سالماً والقولُ فيكَ جميلُ

ولَا تُرِيَنَّ الناسَ إلّا تَجمُّلاً ... نَأىٰ بِكَ دهرٌ أو جفاكَ خليلُ[٣]

وإن ضاقَ رِزقُ اليومِ فاصبِرْ إلى غَدٍ ... عسىٰ نَكَباتِ الدهرِ عنكَ تَزولُ

يَعِزُّ الغنيُّ النفسِ إنْ قَلَّ مالُهُ ... وَيغنىٰ الفقيرُ النفسِ وهُو ذَليلُ

وما أكثرَ الإخوانَ حينَ تَعدُّهُمْ ... ولكنّهمْ في النائباتِ قَليلُ[١]

---

(١) شاعر أسدي أموي، له أخبار مع الفرزدق، وقيل هو شاعر جاهلي. تميّز شعره بالوصف الحسن والتشبيه الجميل «معجم الشعراء» للمرزباني/ ص٣٠٧ و«المؤتلف والمختلف» للآمدي/ ص١٩١. والبيت الأول في معجم الشعراء.

(٢) كبا: زلّ سقط. «ويستقلها» لم يقُمْ من عَثْرتها.

(٣) معنى الأبيات: تزيَّنْ بالصفات الحميدة تكتسب صيتاً حميداً. وجامل الناس. وإذا ضاق رزقك اصبر، لأنّ الغنى في النفس. واعلم أنه يندر وجود الأصدقاء في الشدائد.

فصل

في مدح الجُود وكثيرِ فضْله، وذمِّ البخل ولؤم أهله

قال محمد بن أبي شِحَاذ الضبي:

إذا أنت أُعطِيتَ الغِنىٰ ثُمَّ لم تَجُدْ   بفَضلِ الغِنىٰ، ألفيتَ ما لَكَ حامدُ
إذا أنتَ لم تَعْرِكْ بجَنْبِكَ بعضَ ما   يُريبُ من الأدْنىٰ، رماك الأباعِدُ(١)
إذا الحِلْمُ لم يَغلِبْ لك الجهلَ لم تَزَلْ   عليكَ بُروقٌ جمَّةٌ ورَواعِدُ(٢)
إذا العزمُ لم يَفرِجْ لك الشكَّ لم تَزَلْ   جَنيباً كما استتْلىٰ الجنيبةَ قائدُ(٣)
وقلَّ غَناءً عنكَ مالٌ جمعتَهُ   إذا صار ميراثاً وواراكَ لاحِدُ(٤)

وقال آخر:

إذا تَحلَّيتَ في الدنيا بلا كَرَم   فإنَّ أحْسَنَ مِن ذي الحِلْية العَطِلُ(٥)
ليس الشجاعُ على قتل العدى بطلٌ   بل الشجاعُ على أمواله البَطَلُ

وقال آخرُ مثلَه:

لا تَنظرنَّ إلى امرئٍ في مالِهِ   وانظُرْ إلى أفعالِهِ ثم احْكُمِ
لا تسألنَّ به التصبُّرَ في الوغىٰ   واسألْ أيصبِرُ تحتَ ثِقْلِ المَغْرَمِ(٦)

ابن أحمر(٧):

إنَّ الفتىٰ يَفْقَرُ بعْدَ الغِنىٰ   ويَغْتني مِن بَعْدِ ما يَفْتَقِرْ

---

(١) إذا أنت لم تَخبرْ بذاتك كل ما يصدر عن الأقرباء والأصدقاء، وقعتَ في شباك الأعداء.
(٢) الرواعد: السحب ذات الرّعد. أي تبقى مخدوعاً بما يلوح لك من بريق الأشياء، دون حقيقتها المرّة.
(٣) الجنيب: الطّائع المنقاد. والجنيبة: الدّابة.
(٤) اللاحد: حفّار القبور. والمعنى: حصّل المال بالجهد لئلّا تكون موضع ريبة. وكن عاقلاً، حليماً، سيّد نفسك ولا ينفعك تكديس المال، لأنك ستموت، بعد حين، وسيرثك الوارثون.
(٥) العاطل: الذي لا يتزيّن بالحلي. أي أن الحلية الحقيقية ليست في الذهب والمال، بل في كرم النفس.
(٦) المغرم: الغرامة.
(٧) هو عمرو بن أحمر بن فرّاص، شاعر إسلامي مخضرم؛ عاش نحواً من تسعين سنة وأسلم، واشترك=

هل يُهلِكَنّي بسطُ ما في يَدي ... أو يُخلِدَنّي منعُ ما أدّخِرْ؟

وقال آخر:

يَفْنَى الحريصُ بجمعِ المال مدّتَهُ ... وللحوادثِ ما يُبقي وما يَدَعُ

كَدودةِ القزّ ما تَحويه يُهلِكُها ... وغيرُها بالذي تَحويه يَنتفِعُ

وقال آخر:

إنْ كنتَ دهرَكَ كلَّهُ ... تَحوِي إليكَ وتَجمَعُ

فمتى، بما جمّعتَهُ ... وحَوَيتَه، تَتَمتّعُ؟

وقال آخر:

أَحْسِنْ وأنتَ مُعانُ ... يا أيُّها الإنسانُ

إنَّ الأيادي قُروضٌ ... متى تَدينُ تُدانُ

أبو علي البصير[1]:

لا أجعلُ المالَ لي ربّاً يُصرِّفُني ... لا بل أكونُ له ربّاً أُصَرِّفُهُ

مالي من المال إلا ما تَقدَّمني ... فذاكَ لي، ولغيري ما أُخلِّفُهُ[2]

وقال أيضاً:

إفعلِ الخيرَ ما استطعتَ وإنْ كا ... نَ قليلاً، فلن تُحيطَ بِكُلِّهْ

ومتى تَفعلُ الكثيرَ من الخيـ ... ـرِ إذا كنتَ تاركاً لأقَلِّهْ؟

ولصاحب الكتاب:

أَعْطِ وإنْ فاتَكَ الثَّراءُ ودَعْ ... سبيلَ مَن ضَنَّ وهو يَعتذِرُ

فكم غَنيّ للناس عنهُ غِنًى ... وكم فقيرٍ إليه يُفتَقَرُ[3]

= في مغازي الروم. مات بسُقيا في البطن سنة ٦٥هـ/ ٦٨٥ (معجم الشعراء في لسان العرب/ ص٤٦) أورد له لسان العرب ٣٣٢ بيتاً من شواهده الشعريّة في شروح اللغة.

(١) لم نهتد إلى اسم الشاعر ونَسَبه. كل ما عرفناه أنه عاش في القرن الثالث الهجري، كما ذكر الشريف المرتضى في «أماليه» جـ١/ ٣٠٤. انظر الحاشية (٤) من الصفحة ٤٤٧ ـ ٤٤٨ من كتاب: «دلائل الإعجاز» الذي شرحه وقدّم له وعلّق حواشيه د. ياسين الأيوبي/ المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت سنة ٢٠٠٠.

(٢) لا أملك إلّا ما ورثْتُه. وما أتركه سيكون لغيري.

(٣) يستغني الناس عن الغنيّ البخيل، ويفضّلون الفقير صاحب النفس الكريمة.

وقال أيضاً:

أَصْغِ إلى قَوْلي فلي بَسْطَةٌ ... في القول يَسْتعلي بها القائلُ
إنَّ السفتيٰ أدواؤهُ جمّةٌ ... والشُّحُ منها داؤه القاتلُ[١]

وقال آخر:

وقد يأملُ المرءُ طولَ البَقا ... وَيبني البناءَ ولا يسكُنُهْ
ورُبَّ شحيحٍ على مالِهِ ... لأعدىٰ عَدُوٍّ له يخزِنُهْ[٢]

وقال آخر:

فَأَنْفِقْ إذا أَيْسرتَ غيرَ مُقَتِّرٍ ... وأَنْفِقْ على ما خيلت حين تعسَّرُ
فلا الجُودُ يُفْني المالَ والجَدُّ مقبِلٌ ... ولا البُخلُ يُبْقي المالَ والجَدُّ مُدْبِرٌ[٣]

تميم بن مقبل[٤]:

فَأَتْلِفْ وأَخْلِفْ إنما المالُ عارةٌ ... وكُلْهُ مع الدهر الذي هو آكِلُهْ
فأَيْسَرُ مفقودٍ وأهونُ هالكٍ ... على الحيّ من لا يَبلُغُ الحيَّ نائِلُهْ[٥]

وقال آخر:

ليس في كل ساعةٍ وأوانٍ ... تَتَهيَّأ صنائِعُ الإحسانِ
فإذا أمكنَتْ فبادِرْ إليها ... حذراً من تَعذُّرِ الإمكانِ[٦]

---

(١) الشح: البخل.

(٢) يرغب المرء في أن يعيش طويلاً، ولكن الموت له بالمرصاد. ورب بخيل يجمع ماله كلّه لأعدائه وهو لا يدري.

(٣) أنفق على العيش مالك، ولا تقتّر، فالكرم لا يفني المال، إذا كنت ذا حظّ، كما أنّ البخل لا يبقي المال إذا عدمت الحظ. وقد ورد البيت في فصل سابق من هذا الكتاب.

(٤) تميم بن أُبَيّ بن مقبل، شاعر جاهلي أدرك الإسلام وأسلم. عُمّر طويلاً فعاش مائة وعشرين سنة حتى عورَ وهزل. تميز شعره بالمفردات الغريبة والأوصاف الجاهلية. «معجم الشعراء في لسان العرب» لياسين الأيوبي ص٣٤١ وفيه عدد من مصادر ترجمته ومراجعها.

(٥) أنفق وبذّر، لأن الدهر يأكل مالك، وكل شيء مستعار. وقد يبعد الإنفاق المصائب عن الآخرين. والنائل: الآخذ، كأنما أراد: أن كل خسارة تهون أمام سلامة المرء من أن يأخذه الموت أو يناله.

(٦) ينبغي استغلال الفرصة السانحة لعمل الخير، لأنّها قد لا تتكرّر.

فصل

في الحض على الانتقال، رجاء بلوغ الآمال

قال أبو عطاء السِّندي[١]:

إذا المرءُ لم يَطْلُبْ معاشاً لنفسِهِ شَكَىٰ الفقرَ أَوْ لامَ الصديقَ فأكثرَا
فسِرْ في بلادِ اللّهِ والتمِسِ الغِنَىٰ تَعِشْ ذا يسارٍ أو تموتَ فتُعْذَرا
ولا تَرْضَ من عيشٍ بدُونٍ ولا تنَمْ وكيف ينامُ الليلَ مَنْ كان مُعْسِرا[٢]

كعب بن سعد الغنوي[٣]، ويروى ليزيد بن معاوية:

إعصِ العواذلَ وارْمِ الليلَ عن عَرَضٍ بذي سَبيبٍ يُقاسي ليلَه خَبَبا[٤]
حتى تصادِفَ مالاً أو يقالَ فتًى لاقىٰ التي تشْعَبُ الفتيانَ فانشَعَبا

عروة بن الورد[٥]:

دَعيني أطوِّفْ في البلاد لعلّني أُفيدُ غِنًى فيه لِذي الحَقِّ مَحْمَلُ
أليس عظيمٌ أَنْ تُلِمَّ مُلِمَّةٌ وليس علينا في الحقوق مُعَوَّلُ[٦]

أبو محمد بن المنجم[٧]:

إذا لم تَنَلْ هِمَمَ الأكرمينَ بسَعْيِهِمُ وادعاً فاغْتَرِبْ

---

(١) هو أفلح بن يَسَار، شاعر أموي عباسي، لقب بالسندي، نسبة إلى السِّنْد، فهو أعجمي تشيع لبني أُمية، ومن أكثر الشعراء عارضة وتقدُّما توفي سنة ١٨٠هـ/ ٧٩٦م. «سمط اللآلي في شرح أمالي القالي» بعناية عبد العزيز الميمني. دار الحديث، بيروت جـ١/ ص٦٠٢.

(٢) على المرء أن يسعى في طلب الرزق، أينما كان، لكي لا يعيش معدماً. و(الدون): المنحط الخسيس.

(٣) شاعر إسلامي، يقال له: كعب الأمثال، لكثرة ما في شعره من الأمثال (معجم المرزباني/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩).

(٤) السبيب: المتعاطي تجارة زهيدة. يقاسي ليله خببا: يختبئ لئلا يحلَّ ضيفٌ عليه. والمعنى: اسعَ في طلب الرزق لتحصل عليه، وليقال فيك إنك أصلحت حالك.

(٥) شاعر صعلوك قتل في إحدى المعارك. جمع ديوانه وشرحه ابن السكِّيت. ثم شرحه حديثاً دكتور سعدي ضناوي، دار الجيل بيروت سنة ١٩٩٦ وتوفي سنة ٣٠ق. الهجرة ٥٩٤م.

(٦) الملمّة: النازلة: النائبة.

(٧) شاعر عباسي، مدح الصاحب بن عباد، والبيتان في «يتيمة الدهر» للثعالبي جـ٣/ ٣٩٤.

فَكَم دَعَةٍ أَتعَبَتْ أَهلَها ... وكم راحةٍ نُتِجَتْ مِنْ تَعَبْ

علي بن الجهم[1]:

لا يَمنَعنَّكَ خَفضُ العيشِ تَطلُبُهُ ... نُزوعَ نفسٍ إلى أهلٍ وأوطانِ

تَلقى بكلِّ بلادٍ إنْ حَلَلْتَ بها ... أهلاً بأهلٍ وجيراناً بجيرانِ[2]

وقال آخر:

سأعمل نص العيس[3] حتى يَكُفَّني[4] ... غنى المالِ يوماً أو غِنى الحدثانِ[5]

فَلَلْمَوْتُ خيرٌ من حياةٍ يُرى لها ... على المرء بالإقلال، وسْمُ هَوانِ

عروة بن الورد:

ذَريني للغِنى أسعى فإنّي ... رأيتُ الناسَ شرُّهُم الفقيرُ

وأدناهُمْ وأهونُهُمْ عليهِمْ ... وإنْ أمسى له كرَمٌ وخِيرُ[6]

يُباعِدُه القريبُ وتَزدريهِ ... حليلتُهُ وينهَرُهُ الصغيرُ[7]

ويُلْفي ذا الغنى وله جلالٌ ... يكادُ فؤادُ صاحبِهِ يطيرُ

قليلٌ ذنبُهُ والذنبُ جمٌّ ... ولكنَّ الغنى ربٌّ غفورُ[8]

وقال أبو تمام:

وطولُ مقامِ المرءِ في الحيِّ مُخْلِقٌ ... لديباجتيه فاغترب تتجدَّدِ[9]

فإنّي رأيتُ الشمسَ زيدتْ محبةً ... إلى الناس أنْ ليستْ عليهم بسَرْمَدِ

وقال أبو الفتح البستي[10]:

لقد هُنْتُ من طول المقامِ ومَنْ يُقِمْ ... طويلاً يَهُنْ مِنْ بَعْدما كان مُكْرَما

---

(١) شاعر عباسي من أهل بغداد، رقيق الشعر، مدح المتوكل وخُصَّ به ثم نفاه، ثم قاتل جماعة من بني كلب في حلب، فجرح ومات سنة ٢٤٩هـ/٨٦٣م.

(٢) لا تقنع بالفقر بين أهلك، بل تغرّب تلق في الغربة وطناً وأهلاً.

(٣) نَصّ العيس: استحثّها على المضيّ في سيرها، والعيس: الجمال.

(٤) يكفّني: يمنعني. من الكفّ: المنع.

(٥) الحدثان: الشدائد.

(٦) الخِير (بكسر الخاء) الشرف والأصل الرفيع.

(٧) تزدريه حليلته: تحتقره زوجته. ونهره: زجره بصوت عال.

(٨) ذنوب الغنيّ مغفورة.

(٩) الديباجتان: الخدّان. أي بالسفر والغربة يتجدّد لون الخدّين. والمُخْلِقُ: المُبْلي، من البِلى.

(١٠) سبقت ترجمته.

وطولُ مَقامِ الماءِ في مستقرِّهِ يُغيِّرُهُ لوناً وريحاً ومَطْعَما[1]

أبو بكر الخالدي[2]:

إنْ خانكَ الدهرُ فكُنْ عائذاً بالبِيضِ والظلماءِ والعِيسِ[3]

ولا تكُنْ رَبَّ المنى فالمنى رُؤوسُ أموالِ المَفالِيسِ[4]

ولصاحب الكتاب:

إذا لم يكُنْ في مصر غيرُ خصَاصةٍ لنا وهوانٍ، فالسَّلامُ على مِصْرِ[5]

وماذا عسىٰ الأوطانَ تَنفَعُ أهلَها إذا عجَزوا فيها عن النفْعِ والضرِّ؟

(١) المياه الراكدة تأسن.

(٢) هو محمد بن هاشم، أبو بكر الخالدي، لُقِّب هو وأخوه سعيد، بالخالديَّين. وهما من أهل البصرة. وكانا من شعراء بلاط سيف الدولة الحمداني. قال الثعالبي عنهما إنهما كانا ساحرين، يبدعان فيما يصنعان، يشتركان في قرض الشعر وينفردان. توفي أبو بكر نحو سنة ٣٨٠هـ/ ٩٩٠ وتوفي سعيد نحو سنة ٣٧١هـ/ ٩٨٢م («فوات الوفيات» لابن شاكر الكتبي جـ٢/ ٥٤ و«اليتيمة» للثعالبي ٢/ ١٨٣).

(٣) البيض: السيوف. الظلماء: الليل. العيس: النوق.

(٤) اعمل ولا تحلم كثيراً، لأن الحلم رأسمال الفقراء. وقصد بالمنى: الخيال والأوهام التي لا تحقق لصاحبها إلّا الضلال. والمفاليس، جمع مُفْلِس.

(٥) الخصاصة: الفقر. الهوان: الذلّ.

فصل

في ذم الزمان وأهله

قال أبو الحسن بن لَنْكَك(1):

نحنُ واللّهِ في زمانٍ غَشُومِ ... لو رأيناهُ في المنام فَزِعْنا

أصبحَ الناسُ منه في سوءِ حالٍ ... حُقَّ مَن مات منهمُ أنْ يُهَنَّا

وقال أيضاً:

يا زماناً ألبسَ الأ ... حرارَ ذُلّاً ومهانهْ

لستَ عندي بزمانٍ ... إنما أنتَ زُمانَهْ(2)

ابن نباتة السعديّ(3):

بَرِمْتُ من الحياة وأيُّ عيشٍ ... يكونُ لِمَنْ مَطالِبُهُ الخَيالُ

ولوْ أنّي أعدُّ ذُنوبَ دَهْري ... لضاعَ القَطْرُ فيها والرمالُ

أبو الفتح البستي:

مَعْنى الزمانِ على الحقيقة كَاسْمِهِ ... فَعلى مَ تَرجُو أنّه لا يُزمِنُ(4)

ليس الأمانُ من الزمان بمُمْكِنٍ ... ومِن المُحَالِ وجودُ ما لا يُمكِنُ

وقال أيضاً:

إذا أحسَنْتَ مِنْ طبعي فُتُوراً ... ولفظي والبراعةِ والبَيانِ

---

(1) هو محمد بن محمد بن جعفر البصري، أبو الحسن. شاعر جعله الثعالبي صدر أدباء البصرة. تميَّز شعره بالمُلَح والطُّرَف والهجاء المشحون بالشكوى. عاصر المتنبي وهجاه. توفي سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م (يتيمة الدهر، جـ٢/ ٣٤٨). والزمان الغشوم، في البيت الأول: الرديء الظالم.

(2) زمانة: مصيبة.

(3) هو عبد العزيز بن عمر بن نباتة السعدي. شاعر عباسي من بلاط سيف الدولة ومن شعراء الغوص على معاني البادية. توفي سنة ٤٠٥هـ/ ١٠١٥م. وبرِمْتُ: سئمت.

(4) أزمن: ابتلي بالزمانة، أي المصيبة. أي ماذا ترجو من زمان مصائبُه مزْمِنة لا شفاء منها؟

فلا تَرْتَبْ بِفَهْمي إنَّ رَقْصي ... على مقدار إيقاعِ الزمانِ[١]

وقال آخر:

هذا الزمانُ الذي كنّا نُحَذِّرُهُ ... فيما يحدِّثُ كَعْبٌ وابنُ مَسعودِ[٢]

إنْ دام ذا الدهرُ لم يَحْزَنْ على أحدٍ ... يَموتُ منّا ولم يَفرَحْ لمولودِ

وقال آخر:

هذا زمانٌ أعضَلَتْ خُطوبُهُ ... فصار فيه جاهِلاً أديبُهُ

وُعِدَ فيه مُخطِئاً مُصيبُهُ ... وذو اليَسار لا تُرى عيوبُهُ

مستقبَحٌ عندَهُم تكذيبُهُ ... إنَّ الفقيرَ جمَّةٌ ذنوبُهُ

أبو بكر الخُوَارَزْمي[٣]:

ما أصعبَ الدهرَ على مَنْ رَكِبَهْ ... حدَّثَني عنهُ لسانُ التجربَهْ

لا تَشكُرِ الدهرَ لخيرٍ سَبَّبَهْ ... فإنَّه لم يَتعمَّدْ لِلْهِبَهْ[٤]

وإنما أخطَأَ فيكَ مذهَبَهْ ... فالسيلُ إذ يَسقي مكاناً خَرِبَهْ

والسمُّ يُستَشفى به مَنْ شَرِبَهْ

وقال آخر يَعْتَذر للزمان ويذم أهله:

أرى حُللاً تُصَانُ على أناسٍ ... وأعراضاً تُهان ولا تُصانُ

يقولون الزمانُ به فَسادٌ ... وهُمْ فَسَدوا وما فَسَدَ الزمانُ[٥]

ابن حمَّاد[٦] في المعنى:

لا أشتكي زمني هذا فأَظلِمَهُ ... وإنما أشتكي مِن أهل ذا الزمنِ

هُمْ الذئابُ التي تحت الثياب فلا ... تَكُنْ إلى أحدٍ منهم بمؤتَمنِ

---

(١) أي لا تظنَّ أنني عديم العقل والفهم، فأنا أماشي الزمان، فأغنّي على المتاح لي من ألحانه.

(٢) هما من الصحابة الأوائل، قصد كعب بن مالك، الشاعر الإسلامي الأول، وعبد الله بن مسعود.

(٣) هو محمد بن العباس، عاش في خُوارَزْم ومات في نيسابور سنة ٣٨٣هـ/ ٩٩٣م. له آثار مفيدة في الشعر واللغة والأنساب.

أقام في الشام، وفي نواحي حلب. خلّد اسمه بمجموعة رسائل مسجّعة، فيها المدائح والمراثي والأهاجي وقد طبعت مراراً.

(٤) الهبة: العطيّة.

(٥) الحلل: الثياب. الأعراض. جمع. عِرْض: الشرف. الفساد في الإنسان لا في الزّمان.

(٦) لم نتبيَّن حقيقته، فهناك غير علم بهذه الكنية. وقد يكون أبا حماد إسماعيل الجوهري صاحب معجم «الصحاح» في اللغة، أو القاضي الحنفي إسماعيل بن حماد، حفيد الإمام أبي حنيفة؟؟

قد كان لي كنزُ صبْرٍ فافتقَرْتُ إلى ... إنفاقِهِ في مُداراتي لهمْ فَفَنِي[١]

جحظة البرمكي[٢]:

ضاقتْ عليَّ وجوهُ الرأيِ في نَفَرٍ ... يَلقَوْنَ بالجَحْد والكُفرانِ إحْساني

أُقلِّبُ الطرْفَ تَصعيداً ومُنْحدَراً ... فما أقابِلُ إنساناً بإنساني[٣]

إبراهيم بن العباس الصولي[٤]:

قلتُ لها حين أكثرتْ عليَّ ... وَيْحَكِ أزْرَتْ بنا المروآتُ

قالتْ فأينَ الكِرامُ، قُلتُ لها ... لا تَسألي عنهمُ فقَدْ ماتوا

ابن لنكَك:

لا تَخْدَعَنْكَ اللُّحى ولا الصُّوَرُ ... تسعةُ أعشارِ مَنْ تَرى بَقَرُ

تَراهُمُ كالسحابِ مُنْتَشِراً ... وليس فيه لِسَائمٍ مَطَرُ[٥]

في شجرِ السروِ منهمُ مَثَلٌ ... له رُواءٌ وما له ثَمَرُ[٦]

وقال آخر:

ويُعجبني الفتى وأظنُّ خَيراً ... فأكشِفُ منه عن خِبٍّ لئيمِ[٧]

يُقَبِّل بَعضُهم بعضاً فأضحَوْا ... بنو أبوَيْن قُدّا من أديمِ[٨]

دِعْبِل الخُزاعي[٩]:

ما أكثرَ الناس لا بل ما أقلَّهُمُ ... اللّهُ يَعلَمُ أني لم أقُلْ فَنَدا[١٠]

---

(١) المعنى: الإنسان ذئب لأخيه. وأنا ضيّعت عمري سدًى في مداراة الناس.

(٢) أحمد بن جعفر من أسرة البرامكة، من أهل بغداد لُقِّب. بجحظة لنتوء في عينيه. شاعر متفنن في شتى أساليب النظم، على جودة وطرافة. وكانت وفاته في بغداد سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٦ .(سير أعلام النبلاء، جـ١٥/ ٢٢١).

(٣) إنساني: بؤبؤ عيني. والمعنى: ندر وجود الإنسان الحقيقي.

(٤) كاتب عباسي مرموق، كتب للمعتصم والواثق والمتوكل. ينخل شعره فلا يثبت منه إلّا أجوده. توفي سنة ٢٤٣هـ/ ٨٥٧م.

(٥) السائم: الماشية.

(٦) إن نسبة تسعة أعشار الناس شبيهة بالبقر، أو سحاب غير ممطر، أو شجر سَرْو لا يثمر.

(٧) خبّ: مخادع منافق.

(٨) قوله: «بنو أبوَيْن» متعسّفة وحقه أن يقول: «بني».

(٩) شاعر عبّاسي أصله من الكوفة. أخذ الشعر عن مسلم بن الوليد. أقام في بلاط الرشيد. تولّى الحكم في سمجان (خراسان)، ثم في أسوان (مصر). أغضب أسياده، وهجا العبّاسيين، فقال:

أرى أميّةَ معذورين إن قَتَلوا ... ولا أرى لبني العبّاس من عُذُرِ

فقُتل. ٢٤٧هـ/ ٨٦١م وقد عُمِّر إحدى وتسعين سنة.

(١٠) فندا: كذبا.

إني لأَفتحُ عَيني حينَ أَفتحُها ... على كثيرٍ ولكنْ لا أَرىٰ أَحدا

أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي البستي[(١)]:

شَرُّ السباعِ العَوادي دُونهُ وَزَرُ ... والناس شرهُمُ ما دونه وَزَرُ[(٢)]

كم معشرٍ سَلِموا لم يُؤذِهِمْ سَبُعٌ ... وما رُؤي بَشَرٌ لم يُؤذِهِ بَشَرُ

ابن شرف[(٣)]:

يقولون سادَ الأَرْذَلونَ بعَصْرِنا ... وصار لهُمْ مالٌ وخيلٌ سوابِقُ

فقلتُ لهُمْ: شاخ الزمانُ ولم تَزلْ ... تفرْزَنَ في أُخرىٰ الدسوتِ البيادِقُ[(٤)]

---

(١) إقرأ تعريفاً له في فصل لاحق.

(٢) وَزَر: ملجأ.

(٣) هو محمد بن أبي سعيد بن أحمد بن شَرَف القيرواني، من كبار شعراء الأندلس والمغرب، وأحد من نظم قلائد الآداب، وتلاعب بالموزون والمنظوم. شاعر، ناثر ناقد. توفي سنة ٤٦٠هـ. انظر عنه: «ابن شرف القيرواني» الشاعر الناقد، للدكتور مصطفى عبد الواحد، نادي مكة الأدبي سنة ١٩٨٢.

(٤) البيادق: البواشق: من الطيور الجارحة. والدسوت، واحدها: دسْت وهو المجلس الواسع.

فصل

في الوعظيات

قال إبراهيم بن هَرْمة[1]:

من لم يَمُتْ غِبطةً يمت هرما … الموتُ كأسٌ والمرءُ ذائِقُها
يُوشِكُ مَنْ فَرَّ مِنْ منيَّتِهِ … في بَعْض غَرَّاتِهِ يُوافِقُها[2]

ابن شرف:

دَعيني وإنْ كدَّرت من عيشتي … وأنتِ صافي العيشِ مسعودُهُ
يَذْهبُ مِن عمريَ مَذمومُهُ … عني ومِن عُمْرِكِ محمودُه

محمد بن وُهَيب[3]:

نُراعُ لذكرِ الموتِ ساعةَ ذكْرِهِ … وتَعترِضُ الدنيا فنَلْهو ونلْعَبُ
يَقينٌ كأنَّ الشكَّ أغلبُ أمرِهِ … عليه وعرفانٌ إلى الجهل يُنْسَبُ
وقد ذَمَّتِ الدنيا إلينا نَعيمَها … وخاطَبنا إعجامَها وهو مُعْرَبُ
ولكننا منها خُلِقْنا لغيرها … وما كنتَ منه فهو شيءٌ محبَّبُ[4]

وقال آخر:

كلُّ حالٍ وراءها لبَني الدنـ … ـيا من الخيرِ أو من الشرِّ حالُ
والردىٰ مَنْهلُ الورىٰ فبِطاءٌ … مِنْهمُ عَن وُرودِه وعِجَالُ[5]

---

(١) إبراهيم بن علي بن هرْمَة. شاعر أموي عباسي متشيّع، عُرف بإدمانه شرب النبيذ فجُلد كثيراً. توفي سنة ١٥٠هـ/ ٧٦٧م (معجم الشعراء في لسان العرب/ ص٣٦٦). وفيه عدد كبير من مصادر ترجمته ومراجعها.

(٢) المنيّة: الموت. غرّاته: غفلاته.

(٣) من شعراء المأمون، شاعر مليح جيد فصيح. ذكره الصفدي وأورد له عدداً من مقاطع شعره «الوافي بالوفيات» جـ٥/ ١٧٨ فسبادن سنة ١٩٧٠ بعناية: س. ديدرينغ. وكانت وفاته نحو ٢٢٥هـ/ ٨٤٠م.

(٤) انظر الأبيات كما هي، من غير نقصان ولا تعديل يذكر في «الوافي بالوفيات» جـ٥/ ١٧٨. و«نُراع» في البيت الأول: نُخوَّف.

(٥) الرّدى: الموت. الورى: الناس. وروده: شربه. والبِطاء والعجال، جمع: بطيء وعَجول.

الصَّلَتَان العبديّ[1]:

أشابَ الصغيرَ وأفنى الكبيرَ (م) كَرُّ الغداةِ ومَرُّ العَشِي

إذا ليلةٌ هَرِمَتْ يومَها أتى بعد ذلك يومٌ فَتِي

نَروحُ ونَغدو لِحاجاتِنا وحاجةُ مَنْ عاش لا تَنقضي

تَموتُ مع المرء حاجاتُهُ وتَبقى له حاجةٌ ما بقي

إذا قلتَ يوماً لمن قد تَرى أرُوني السَّريَّ، أَرَوْكَ الغَنِي[2]

ألم تَرَ لقمانَ أوصى ابنَه وأوصيتُ عمروا فنِعْمَ الوصي[3]

بُنَيَّ إذا خبَّ نجوى الرِّجا لِ فكُنْ عند سرِّكَ خَبَّ النجي

وسرُّكَ ما كانَ عند امرىءٍ وسرُّ الثلاثةِ غيرُ الخفي

تمثَّل الوزير المُهَلَّبيّ[4] عند موته:

قضيتُ نَحْبِي فسُرَّ قومٌ حَمْقى بهم غفلةٌ ونَومُ

كأنَّ يومي عليَّ حَتْمٌ وليس للشامتينَ يَومُ

مثله للفرزدق[5]:

إذا ما الدهرُ جَرَّ على أُناسٍ كَلاكِلَهُ أَناخَ بآخَرِينا[6]

فقُلْ للشامتينَ بِنا أفيقوا سيَلْقى الشامتونَ كما لَقِينا

وقال أبو فراس[7]:

ما لِلعبيدِ مِن الذي يَقضي به الله امتناعُ

---

(١) أحد بني محارب بن عمرو بن عبد القيس، واسمه: قُثَم بن خبيئه، وجاء (خَبِيّة). شاعر أموي خبيث. «المؤتلف والمختلف» للآمدي، ص٢١٤، مات الصلتان سنة ٨٠هـ/ ٧٠٠م.

(٢) السريّ: كبير القوم.

(٣) لقمان، شخصية تاريخية، ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة تحمل اسمه. وهو وليٌّ حكيم ولم يُؤتَ النبوة. (انظر تفسير القرطبي جـ١٤/ ٥٩). والأبيات المذكورة أعلاه وردت في «معاهد التنصيص» للعباسي، جـ١/ ٧٣ ـ ٧٤، وفيها عدد آخر من الأبيات.

(٤) الحسن بن محمد بن عبد الله، من كبار الوزراء الشعراء. لقّب بذي الوزارتين. توفي سنة ٣٥٢هـ/ ٩٦٣م (انظر ترجمته: «سير أعلام النبلاء» جـ ١٦/ ١٩٧).

(٥) هو همّام بن غالب بن صعصعة الدارمي التميميّ. ولد في البصرة. وقضى حياته في مدح الناس وفي هجوهم. اشتهر بالهجاء الذي دار بينه وبين جرير. وعاش ما بين ٢١ ـ ١١٤هـ/ ٦٤١ ـ ٧٣٢م.

(٦) الكلكل: الصدر، أو ما بين الترقوتين. وهنا: الشدائد. أناخ الجمل: أبركه. والحركتان للجمل.

(٧) أبو فراس الحمداني، الحارث بن سعيد، الأمير المعروف وشاعر الوجدانيات في العصر العباسي، وهو ابن عم سيف الدولة الحمداني وأحد المُتصدّين لأبي الطيب المتنبي. عاش سبعة وثلاثين ربيعاً ومات مقتولاً سنة ٣٥٧هـ/ ٩٦٨. وقد عُرِف به من قبل.

ذُدْتُ الأُسودَ عن المفرائسِ ثُمَّ تَفْرِسُني الضِباعُ[1]

وقال أيضاً:

المرءُ نُصْبُ مصائبٍ ما تَنْقضي حتى يُوارَىٰ جِسْمُه في رَمْسِهِ[2]

فمؤجَّلٌ يَلْقىٰ الردىٰ في أهلِه ومعجَّلٌ يلقىٰ الردى في نفسِهِ

وقال أيضاً:

وما الناسُ إلا هالِكٌ وابنُ هالِكٍ وذو نَسَبٍ في الهالِكِين غَريقُ

إذا امتحنَ الدنيا لبيبٌ تكشَّفَتْ لهُ عن عَدُوٍّ في ثِيابِ صَديقِ

المتنبي[3]:

نحنُ بَنُو المَوْتىٰ فما بالُنا نَعَافُ ما لا بُدَّ مِن شُرْبِهِ

تَبْخَلُ أَيدينا بأرواحِنا على زمانٍ هِيَ مِنْ كَسْبِهِ

فهذهِ الأرواحُ مِنْ جَوِّه وهذه الأجسادُ مِن تُرْبِهِ

لو فكَّر العاشِقُ في منتهىٰ حُسْنِ الذي يَسْبيه لم يَسْبِهِ

لم يُرَ قَرْنُ الشمسِ في شَرْقِهِ فشَكَّتِ الأنفسُ في غَرْبِهِ

يموتُ راعي الضأنِ في جهلِهِ مِيتَةَ جالينوسَ في طِبِّه[4]

وربما زادَ على عُمْرِهِ وزاد في الأمنِ على سِرْبِهِ

وغايةُ المُفْرِطِ في سِلْمِهِ كغايةِ المُفْرِط في حَرْبِهِ

فلا قضىٰ حاجتَهُ طالِبٌ فؤادُه يَخْفِقُ مِن رُعْبِه[5]

محمود الورّاق:

بَقَّيتَ مالَكَ ميراثاً لوارِثِه فليتَ شعريَ ما بَقّىٰ لكَ المالُ؟[6]

---

(١) أي ليس للعباد من قضاء الله مَنْجى أو حِصْن. وقد وقف في وجه الأسود يصدُّها عن فرائسها، ومع ذلك فهو عرضة لأن تفترسه الضباعُ (كناية عن الوحوش البشرية التي استشرى فيها الظلم والخداع والرذيلة).

(٢) الرّمس: القبر. ومعنى البيت: المرء هدفٌ لحوادث الأيام ونوائب الدهر، لا تحيد عنه حتى مماته.

(٣) هو شاعر العربية الأكبر، غني عن التعريف (٣٠٣ ـ ٣٥٤هـ/ ٩١٥ ـ ٩٦٥م).

(٤) جالينوس: طبيب يوناني (١٣١ ـ ٢٠١م) له اكتشافات خطيرة في عالم التشريح. أخذ عنه أئمة أطباء العرب.

(٥) هذه الأبيات، من قصيدة أنشدها المتنبي في الردح الأخير من حياته، في تعزية عضد الدولة بعمّته. وتقع القصيدة في خمسة وثلاثين بيتاً «شرح الواحدي لديوان المتنبي» بعناية «ياسين الأيوبي» وقصي الحسين. دار الرائد العربي، بيروت سنة ١٩٩٩ (جـ٤/ ٢٠٨٢ ـ ٢٠٩٢).

(٦) جمعت المال، ولم تنفقه، فبقي للوارث من بعدك.

القومُ بعدَكَ في حالٍ يسوءُهُمُ ... فكيف بعدَكَ دارتْ بعدَهُمْ حالُ؟
مَلُّوا البكاءَ فما يَبكيكَ مِنْ أحدٍ ... واستَحْكَم القِيلُ في الميراثِ والقالُ[(١)]
مالتْ بهم عنكَ دنيا أقبلَتْ لهُمُ ... وأدْبَرَت عنكَ، والأيامُ أحْوالُ

ابن بُطال الأندلسي[(٢)]:

جمعتَ مالاً ففكِّرْ هل جمعتَ له ... يا جامعَ المالِ أياماً تُفرِّقُهُ
المالُ عندَكَ مخزونٌ لوارثِه ... ما المالُ مالَكَ إلا حينَ تُنفِقُهُ
إنَّ القناعةَ، مَنْ يَحْلُلْ بساحتها ... لا يَلْقَ في ظِلِّها همّاً يُؤرِّقُهُ

منصور الفقيه:

قد قلتُ إذ مدَحُوا الحياةَ فأسرفوا: ... في الموت ألفُ فضيلةٍ لا تُعْرَفُ
منها أمانُ لقائه بلقائه ... وفراقُ كلِّ معاشرٍ لا يُنْصِفُ

مثله لأبي أحمد بن أبي بكر الكاتب قاله وقتل نفسه:

من كان يرجو أنْ يعيشَ فإنني ... أصبحتُ أرجو ان أموتَ فأُعْتَقا
في الموت ألفُ فضيلة لوْ أنها ... عُرِفَتْ لكان سَبيلُهُ أن يُعْشَقا[(٣)]

وقال آخر:

جزى اللّهُ عنّا الموتَ خيراً فإنّهُ ... أبرُّ بنا مِنْ كُلِّ بَرٍّ وأرْأفُ
يُعجِّلُ تخليصَ النفوسِ من الأذىٰ ... ويُدْني من الدار التي هي أشْرَفُ

ابن عبد ربه[(٤)]:

يا غافلاً ما يرَىٰ إلا مَحاسِنَه ... ولو دَرىٰ ما رأىٰ إلا مَساوِيهِ
أنظرْ إلى باطنِ الدنيا فظاهِرُها ... كلُّ البهائم يَجْري طرْفُها فيهِ[(٥)]

---

(١) نسيك القوم، بعدما ملوا البكاء، ودبّ الخلاف بين الوارثين.

(٢) سليمان بن محمد بن بطال البطليوسي، فقيه باحث، وأديب شاعر، تعلّم بقرطبة، واشتهر بكتابه «المقنع» في أصول الأحكام. توفي سنة ٤٠٤هـ/١٠١٣م (الأعلام، للزركلي جـ٣/ ١٣٢).

(٣) فضائل الموت كثيرة، لو عرفها الناس لعشقوه.

(٤) أحمد بن محمد بن عبد ربه، صاحب «العقد الفريد»، أديب قرطبي. له قصائد حكمية كثيرة في المواعظ والزهد. توفي نحو سنة ٣٣٠هـ/ ٩٤٢ (انظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٨٣).

(٥) يتشاغل المرء عن مساوئه بمحاسنه، ويأخذ بظاهر الدنيا، لا بجوهرها.

فصل

كراهية الغُلوّ في المِزاح، لذوي الألباب الصِّحاح

قال ابن وكيع التِّنّيسي[1]:

لا تَمْزَحنْ فإنْ مزَحْتَ فلا تَكُنْ ... مَزحاً تُضافُ به إلى سوءِ الأَدَبْ
واحذَرْ ممازحةً تقودُ عداوةً ... إنَّ المزاحَ على مقدِّمةِ العَطَبْ[2]

أبو الفتح البستي:

أَفِدْ طبْعَكَ المكدودَ بالهمِّ راحةً ... بِراحٍ وعلِّلْه بشيءٍ من المَزْحِ
ولكنْ إذا أعطَيْتَهُ المزحَ فليكُنْ ... بمقدارِ ما تُعطي الطعامَ من المِلْحِ[3]

وقال آخر:

لا تورِدَنَّ على الصديقِ ... من الدُّعابةِ ما يَغُمُّهْ
واحذَرْ بَوادِرَ طيشِهِ ... يوماً إذا ما غابَ حِلْمُهْ
فالعِجْلُ تَنْطَحُهُ، على ... إدمانِ مَصِّ الضَّرْعِ، أُمُّهْ[4]

وقال أبو نواس[5]:

خَلِّ جنبَيْكَ لِرامِ ... وامضِ عنه بسَلامِ
مُتْ بداءِ الصمتِ خيرٌ ... لكَ من داءِ الكلامِ

---

(١) ابن وكيع التِّنِّيسي (الحسن بن علي) من شعراء بغداد المجيدين. ترك بعض المصنفات الأدبية ولا سيما كتابه «المنصف في سرقات المتنبي» وتوفي سنة ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م.

(٢) اقتصد في المزاح، لأنه قد يتسبّب بإقامة عداوة.

(٣) المزاح الخفيف يطرد الهمّ، وهو ضروري، كالقليل من الملح للطّعام.

(٤) لا تكثر من الدّعابة على صديقك، لئلا يفقد صوابه. ألا ترى أن البقرة تنطح عجلها، إذا أكثر من مصّ ضرعها؟

(٥) ولد في الأهواز. من كبراء شعراء العصر العبّاسي. قضى معظم حياته في بغداد مقرّباً من الرشيد. عاقر الخمر، وأسرف في اللهو. ثاب في آخر أيّامه. وعد رأساً في شعراء المُحْدثين. وتوفي سنة ١٩٨هـ/ ٨١٣م.

ربما استفتحت بالمز ح مغاليق الحمام[١]
رُبَّ مزحٍ ساق آجا لَ قيامٍ ونيامِ[٢]
إنما السالمُ مَنْ أَلْـ جَمَ فاهُ بلجامِ[٣]
فالبَسِ الناسَ على الصحَّـ (م) ـةِ منهم والسَّقام
وعليك القصدَ إنَّ (م) القصدَ أبقى للجِمامِ[٤]

(١) الحمام: الموت.
(٢) الآجال: الأعمار. وساق الآجال، دفعها إلى نهاياتها.
(٣) اللجام: ما يجعل في فم الفرس من الحديد ليسهل انقياده.
(٤) الجمام: تمام الامتلاء في الدعة والراحة.

فصل

في حكم متباينة المقاصد جمة الفوائد

قال زهيرٌ بن أبي سُلْمى[١]:

وَمَنْ يَجعلِ المَعْروفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ ... يَفِرْهُ، وَمَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ[٢]
وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسبْ عَدُوًّا صديقَهُ ... ومن لَا يُكَرِّمْ نفسَهُ لا يُكَرَّمِ
ومن لَا يَذُدْ عن حَوْضِهِ بِسِلاحِهِ ... يُهَدَّمْ ومن لا يَظْلِمِ الناسَ يُظْلَمِ[٣]
ومن يَكُ ذا مالٍ فَيَبْخَلْ بمالِهِ ... على قَوْمِهِ، يُسْتَغْنَ عنهُ ويُذْمَمِ[٤]
ومن لم يُصَانِعْ في أُمورٍ كثيرةٍ ... يُضَرَّسْ بأنيابٍ ويُوطَأْ بمَنْسِمِ[٥]

وقال آخر ويروى لعليٍّ كرّم اللّهُ وجْهَه:

يُمثِّلُ ذو اللُّبِّ في نفسِهِ ... مصائبَهُ قبلَ أن تَنْزِلا
فإنْ نَزَلَتْ بغتةً لم تَرُعْهُ ... لِمَا كان في نفسِهِ مَثَّلا
وذو الجهلِ يَأْمَنُ أيامَهُ ... وَيَنْسَى مَصارِعَ مَنْ قد خَلا
فإنْ دَهَمَتْهُ صروفُ الزمانِ ... بِبَعْضِ نوائبِها أَعْوَلا[٦]

---

(١) شاعر جاهلي من أصحاب المعلّقات. طبع ديوانه أوّل مرّة في لندن (١٨٧٠) بعناية المستشرق وليم الورد Ahlward. وكان واحداً من شعراء الجاهلية المحكّكين، وأصحاب الحوليات، والحِكَم الإنسانية. عاش بين ٥٣٠هـ ٦٢٧م (السنة السادسة الهجرية).

(٢) يفره: يصنه.

(٣) ذاد: دافع.

(٤) يذمم: يُذَمُّ.

(٥) يصانع: يداري. يضرّس: يعضّ. المنسم: الظفر، أو طرف الخفّ عند البعير.

(٦) يحضّ الإنسان المتعقّل على مجابهة أي مصيبة قد تُلمُّ به، قبل نزولها. وأمّا الجاهل، فينهزم أمامها، لأنه لم يتهيّأ لها مسبقاً.

وقال المُغَلَّوْطُ السعديُّ[١]:

مَتى ما يَرىٰ الناسُ الغنيَّ، وجارُهُ فقيرٌ يقولوا: عاجِزٌ وجَليدُ[٢]
وليس الغِنىٰ والفقرُ مِن حِيَلِ الفتىٰ ولكنْ أحاظٍ قُسِّمَتْ وجُدودُ[٣]
إذا المرءُ أَعْيَتْهُ السيادةُ ناشئاً فمَطْلَبُها كَهْلاً عليهِ شديدُ
وكائنْ رأينا مِن غنيٍّ مُذَمَّمٍ وصُعلوكِ قومٍ ماتَ وهو حَميدُ[٤]

بشار بن بُرد:

إذا بلَغَ الرأيُ المشورَةَ فاسْتَعِنْ برأيِ نصيحٍ أو نصاحةِ حازِمِ
ولا تجعلِ الشورىٰ عليكَ غضاضةً فإنَّ الخوافي قوّةٌ للقوادِمِ[٥]
وما خيرُ كفٍّ أمسَكَ الغلُّ أُختَها وما خيرُ سيفٍ لم يؤيَّدْ بقائمِ[٦]
وخَلِّ الهُوَيْنا للضعيفِ ولا تكُنْ نَؤوماً فإنَّ الحزمَ ليس بنائمِ[٧]
وحارِبْ إذا لم تُعْطَ إلا ظُلامةً شَبا الحربِ خيرٌ من قبولِ المَظالِمِ
وأَدْنِ على القُربىٰ المقرَّبَ نفسَه ولا تُشهِدِ الشورىٰ امرءاً غيرَ كاتِمِ
فإنَّكَ لا تَستطرِدُ الهمَّ بالمنىٰ ولا تَبلُغُ العَلْيا بغيرِ المَكارِمِ
وما قارعَ الأقوامَ مثلُ مُشيَّعٍ أريبٍ، ولا جلّى العمىٰ مثلُ عالِمِ[٨]

وقال أيضاً:

حَذَفَ المُنىٰ عنه المشمِّرُ في الهُدىٰ وأرىٰ مُناكَ طويلةَ الأذيالِ[٩]
حِيَلُ ابنِ آدمَ في الحياةِ كثيرةٌ والموتُ يَقطعُ حيلةَ المحتالِ
قِسْتُ السؤالَ فكان أعظمَ قيمةً من كلِّ عارفةٍ جَرَتْ بسؤالِ
فإذا ابْتُلِيتَ ببَذْلِ وجهكَ سائلاً فابْذُلْه للمتكرِّمِ المفضالِ[١٠]

---

(١) هو المغلَّوْط بن بَدَل القُرَيعي، ثم السعديّ. شاعر إسلامي. لم تُعرف سنة وفاته. وقد وردت الأبيات أعلاه في «شرح الحماسة» للمرزوقي، جـ٣/١١٤٨ ـ ١١٤٩، كذلك في «سمط اللآلي» ص٥٣٤.
(٢) الجليد: الصبور.
(٣) أحاظ وجدود: حظوظ جمع حظ، وجُدود ج: جَدّ.
(٤) كائن: كم. صعلوك: شريد نبذته قبيلته. أو أحد فرسان الصعاليك الذين كانوا يغزون لسدّ رمق الحياة.
(٥) غضاضة: ذلّة. الخوافي: الريش الصغير تحت الجناح. القوادم: الريش الكبير في مقدّمة الجناح.
(٦) الغلّ: القيد. قائم السيف: مقبضه. (٧) الهوينا: السير البطيء. نؤوماً: كثير النوم.
(٨) قارع: قاتل. مشيع: حقود. أريب: ماهر.
(٩) المشمِّر: المسرع، الساعي بهمّة حثيثة إلى الهدى. أي جعل الرجلُ المؤمنُ والمجاهدُ أمانيه خلف ظهره، وشمّر للجدّ والعمل والهداية.
(١٠) إذا اضطررت لإراقة ماء الوجه، فلا تفعل ذلك على عتبة إنسان لئيم.

وإذا خَشِيتَ تَعَذُّراً في بلدةٍ ... فاشدُدْ يديْكَ بعاجِلِ الترحالِ[١]

واصبِرْ على غِيَرِ الزمانِ فإنما ... فَرَجُ الشدائدِ مثلُ حَلِّ عِقالِ[٢]

وقال الآخر:

تَخطى النفوسُ مع العِيانِ ... وقد يُصيبُ مع المَظِنَّةْ[٣]

كم مِنْ مضيقٍ في الفضا ... ء ومُخرَجٍ بين الأَسِنَّةْ[٤]

وقال آخر:

إذا المرءُ أَوْلاكَ الهوانَ فأَوْلِهِ ... هَواناً وإنْ كانت قريباً أواصِرُهْ[٥]

وإنْ أنتَ لم تقدِرْ على أنْ تُهِينَهُ ... فدَعْه إلى اليوم الذي أنتَ قادِرُهْ

وقارِبْ إذا لم تَكُنْ لك قدرةٌ ... وصمِّمْ إذا أيقنْتَ أنكَ عاقِرُهْ[٦]

ابن نباتة السعدي[٧]:

أُسِرُّ إليك مقالَ النَّصيح ... ولستَ إلى النُّصْحِ بالمُفتقِرْ[٨]

عليكَ إذا ضاغَنَتْكَ الرجالُ ... بضَرْبِ الرؤوس وطَعْنِ الثُّغَرْ[٩]

ولا تَحْقِرَنَّ عَدُوًّا رَماكَ ... وإن كان في ساعدَيْه قِصَرْ

فإنَّ الحُسامَ يَحُزُّ الرقابَ ... ويَعْجِزُ عمَّا تَنالُ الإِبَرْ

مثله للبستي[١٠]:

لا يَستخِفَّنَّ الفتى بعَدُوِّهِ ... أبداً وإنْ كان العدوُّ ضَئيلاَ

إنَّ القَذَى يُؤذي العُيونَ قليلُه ... ولربما جرَحَ البعوضُ الفيلا

صالح بن عبد القدوس[١١]:

إذا وَتَرْتَ امْرَءاً فاحْذَرْ عَداوتَهُ ... مَنْ يَزرعُ الشوكَ لم يَحصدْ به عِنَباً

---

(١) تعذّراً: تعسّراً.

(٢) غير: تغيّرات. عقال: هو ما يوضع على الرأس من جديلة صوف أو حرير مُقصَّب تُلَفُّ على الكوفية!

(٣) العيان: المعاينة. المظنّة: الشكّ والظنّ. وحقّه أن يقول: «وقد تُصيبُ» لأن فاعل «يصيب» هنا، للعيان، ولا معنى له وفاعل «تصيبُ»: النفوسُ.

(٤) الأسنّة. مفردها. سنان: حدّ. وهي الشّفار.

(٥) الهوان: الذلّ. أي مَنْ أهانك أهنْهُ ولو كان ذا قربى معك.

(٦) قارب: تقرّب. عاقره: قاتله.

(٧) راجع ترجمته في حاشية سابقة.

(٨) النصيح: مسدي النصائح.

(٩) ضاغنتك: خاصمتك وخاضت معك حرباً. طعن الثغر: الكلام المسيء.

(١٠) سبقت ترجمته.

(١١) شاعر حكيم من شعراء العباسيين الأول. اتُّهم بالزندقة، فقُتل في زمن المهدي. وكان ذلك سنة ١٦٠هـ/ ٧٧٧م. («فوات الوفيات» لابن شاكر الكتبي جـ٢/ ١١٦، ١١٧).

إنَّ العدوَّ وإنْ أبدىٰ مُسالَمةً إذا رأىٰ منكَ يوماً فُرصةً وَثَبا

مثله لبعضهم:

لا تأمَنَنَّ امرءاً أسْكَنْتَ مهجتَهُ غَيظاً، وإنْ قلْتَ إن الجُرْحَ يَنْدَمِلُ[١]

قد يُظهِرُ المرءُ تَجميلاً لواتِرِهِ وفي حشَاه عليه النارُ تَأْتكِلُ[٢]

ابن الرومي[٣]:

ليس عندي البِشْرُ لِلُقا طِبِ من فَرط اختيالِهْ[٤]

بل ألاقيهِ عَبُوساً باسِراً في مثلِ حالِهْ[٥]

أنا كالمرآة أَلْقَىٰ كلَّ وجهٍ بِمِثالِهْ

وقال آخر:

العَيبُ في الخاملِ المغمورِ، مَغْمورُ وعَيبُ ذي الشَّرفِ المذكورِ، مَذْكُورُ

كفُوقةِ الظُّفْرِ تُخفي من حَقارتها ومثلُها في سَواد العينِ مشهورُ[٦]

وقال آخر:

ليس للحاجاتِ إلّا من له وجهٌ وَقاحْ[٧]

ولسانٌ وَبَيانٌ وغُدُوٌّ وَرَوَاحْ

والبةُ بن الحُبَاب[٨]:

إن كان يُجزىٰ بالخير فاعِلُهُ شَرًّا ويُجزىٰ المُسيءُ بالحَسَنِ

فويلُ تالي القرآن في غَسَقٍ ا (م) لليلِ وطُوبىٰ لعابدِ الوَثَنِ[٩]

---

(١) يندمل: يشفى.

(٢) الواتر: الذي عليه الثأر. قد يبتسم المرء لعدوّه والنار في صدره تتأكله من الحقد عليه.

(٣) شاعر من العصر العباسي الثاني من أب روميّ وأم فارسيّة. مات أولاده الثلاثة وزوجته، فمال إلى التطيّر والسويداء. ولهذا لم يوفّق في التكسّب، فعاش في الفقر، برع في الهجاء والسخرية والوصف وكانت وفاته ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م. .

(٤) البشر: بشاشة الوجه. القاطب: العابس.

(٥) باسراً: مقطّباً.

(٦) الفوقة: جُليدة تغطّي العين، لونها أبيض كالظُّفر.

(٧) الوجه الوقاح: الوقِحُ.

(٨) شاعر عباسي غزل، ظريف، ماجن، وصّاف للشراب، من أهل الكوفة هو أستاذ أبي نؤاس. وكان أبيض اللون أشقر الشعر. مات سنة ١٧٠هـ/ ٨٧٦م. (فوات الوفيات جـ٤/ ٢٤٧، ٢٤٨).

(٩) الوثن: الصنم. التالي: القارئ. غسق الليل: ظلمة أوّل الليل.

المتوكّل الليثيّ[١]:

وكم مِنْ لئيمٍ وَدَّ أنّي شتمتُهُ وإنْ كان شَتْمي، فيه صابٌ وعلْقَمُ[٢]
وَلَلْكَفُّ عن شَتْمِ اللئيم تكرُّماً أضرُّ له من شَتْمِهِ حينَ يُشْتَمُ

ابن شَرَف[٣]:

وذي حَسَدٍ مُستعمِلٍ حالةَ الرِّضىٰ معي وأبتْ نيرانُه وسمومها[٤]
مدَدْتُ له سِتْرَ التغافلِ بيننا وأعرضتُ عن أشياءَ عندي علومُها

إبراهيم بن العباس الصولي[٥]:

خَلِّ النفاقَ لأهلِهِ وعليكَ فالْتَمِسِ الطريقا
وارْغَبْ بنفسِكَ أن ترىٰ إلا عَدوًّا أو صديقا

الحكَم بن قَنْبر[٦]:

إنْ كنتَ لا تَرْهَبُ ذمِّي لِمَا تَعرفُ مِن صَفْحي عن الجاهِلِ
فاخْشَ سكوتي فَطِناً مُنْصِتاً فيكَ لتحسينِ خَنَا القائلِ
مقالةُ السوءِ إلى أهلها أسرعُ مِن منحدِرٍ سائلِ
ومَنْ دعا الناسَ إلى ذمِّه ذمُّوه بالحقِّ وبالباطلِ

وقال أيضاً:

لا تُؤيِسنَّك من عثمانَ حِدَّتُهُ وإنْ تَطايرَ من أثوابه الشَّرَرُ
فإنَّ حِدَّته والله يَكْلؤهُ كالرعد والبرق يأتي بعدَهُ المَطَرُ[٧]

---

(١) شاعر إسلامي أموي ـ يكنّى بأبي جُهمة، ولا يعرف تاريخ ميلاده ووفاته. وهو صاحب البيت الشهير:
لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتأتيَ مِثْلَهُ عارٌ عليكَ إذا فعلْتَ، عظيمُ
(معجم الشعراء، للمرزباني/ ص٣٣٩).

(٢) صاب: شجر له عصارة مرّة. والعلقم، معروف.

(٣) سبق التعريف به.

(٤) وأبتْ نيرانه وسمومها: انقبضتْ وجنحَتْ إلى الخمود.

(٥) سبق التعريف به.

(٦) الحكم بن محمد بن قنبر المازني البصري، كان شاعراً ظريفاً من شعراء الدولة الهاشمية. تهاجىٰ ومسلم بن الوليد فغلبه مسلم. (الوافي بالوفيات، للصفدي. فرانز شتاينر بفسبادن. عناية محمد الحجيري، الجزء الثالث عشر، سنة ١٩٨٤، ص١٢٥ ـ ١٢٦).

(٧) يكلؤه: يحفظه.

وقال آخر:

أبا حَسَنٍ ما أقبحَ الجَهلَ بالفتى ... وَلَلْحِلْمُ أحياناً مِن الجهل أقبَحُ
إذا كانَ حِلْمُ المرءِ عَوْنَ عَدُوِّهِ ... عليه فإنَّ الجهلَ أبقى وأرْوَحُ[١]

ابن وكيع[٢]:

مالٌ يُخَلِّفُهُ الفتى ... للشامتين من العِدى
خيرٌ له من قَصْدِهِ ... إخوانَهُ مُسْتَرْفِدا[٣]

أبو الطيب، مثلهُ:

فلا يَنْحلِلْ في المجدِ مالُكَ كلُّهُ ... فيَنْحَلَّ مَجدٌ كان بالمال عَقْدُهُ
ودبِّرْهُ تدبيرَ الذي المجدُ كَفُّهُ ... إذا حاربَ الأعداءَ والمالُ زَنْدُهُ[٤]
فلا مجدَ في الدنيا لمن قلَّ مالُه ... ولا مالَ في الدنيا لمن قلَّ مجدُه

وأصلُ ذلك قولُ المتلمس الضُّبَعيّ[٥]:

قَليلُ المالِ تُصْلِحُه فَيَبْقى ... ولا يَبقى الكثيرُ مع الفَسادِ
وحِفْظُ المالِ خيرٌ من بُغَاهُ[٦] ... وضربٍ في البلادِ بغيرِ زادِ

ومنه قول ابن المعتز:

يا رُبَّ جُودٍ جرَّ فقْرَ امرئٍ ... فقامَ للناس مقامَ الذليلِ
فاشْدُدْ عُرى مالِكَ واستَبْقِهِ ... فالبخلُ خيرٌ من سؤالِ البخيلِ[٧]

منصور الفقيه:

إذا تخلَّفْتَ عن صديقٍ ... ولم يعاتِبْكَ في التخلُّفْ

---

(١) الجهل قبح في المرء، ولكنّ التعقل أقبح منه إذا تحوّل إلى تخاذل، فيستبدُّ العدوُّ به.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) خير للمرء تجميع المال وتكديسه، من أن يطلب مساعدة الآخرين. والاسترفاد: طلب الرفد: العطاء.

(٤) لا تنفق كل مالك، لئلا يذهب مجدُك! والمال هو الساعد الأيمن في الحرب. واعلم أن المال والمجد في الدنيا صنوان، لا وجود لأحدهما من دون الآخر. ومعنى البيت الثاني: دبّرْ مالك تدبير المحارب الذي لا يقدر على الضرب إلّا باجتماع الزَّند والكفّ. يريد أن الكرم والعلو، وهما بمعنى المجد، لا يكونان إلا باجتماع المال (انظر «شرح الواحدي لديوان المتنبي» جـ٤/ ص١٧٣٧).

(٥) هو الشاعر الجاهلي جرير بن عبد العُزّى، أو: عبد المسيح، خال طرفة بن العبد، الذي حمل كلٌّ منهما صحيفة تأمر بأن يُقتلا من عامل اليمن من قبل عمرو بن هند. فقرأ المتلمس صحيفته ونجا من الموت، بينما أبى طرفة أن يقرأها، فقتل. وكانت وفاة المتلمس نحو ٥٦٩م أي ٥٠ قبل الهجرة. (معاهد التنصيص جـ٣/ ١٦٧).

(٦) أي البغي فيه والفتك والفجور.

(٧) في التبذير فقر. حافظ على المال حتى لا تستجدي بخيلاً.

فلا تَعُدْ بعدَها إليه ... فإنما وُدُّه تَكلُّف

وقال أيضاً:

لو كنتَ مُنتفعاً بعِلْمِـ ... ـكَ مع مواصلةِ الكَبائِرْ[1]
ما ضرَّ شُربُ السمِّ ذا ... علمٍ بأنَّ السمَّ ضائِرْ[2]

وقال أيضاً:

يا مَن تولَّى فأبدى ... لنا الجفا وتبدَّلْ
أليس مِنكَ سَمِعنا ... مَن لم يمت فسيُعْزَلْ

وقال أيضاً:

مَن قال «لا» في حاجةٍ ... مطلوبةٍ فما ظَلَمْ
وإنما الظالمُ مَنْ ... يقولُ «لا» بَعدَ «نَعَمْ»

ابن المعتز:

إذا كنتَ ذا ثروةٍ مِن غِنًى ... فأنتَ المسوَّدُ في العالَمِ[3]
وحسْبُكَ من نَسَبٍ صورةً ... تُخبِّرُ أنَّكَ مِن آدمِ

وقال آخر:

إذا ما كَثُرتَ على صاحبٍ ... وإن كان يُدنيكَ من نفسِهِ[4]
فلا بُدَّ مِن مَلَلٍ واقعٍ ... يُغيِّرُ ما كان من أُنسِهِ

محمود الوراق[5]:

التيهُ مَفسدةٌ للدين مَنقصةٌ ... لِلعقلِ مَجلبةٌ للذمِّ والسُّخطِ
مَنْعُ العطاءِ وبَسْطُ الوجهِ أَجْمَلُ مِنْ ... بَذْلِ العطاء بوجهٍ غيرِ مُنبَسِطِ[6]

ولصاحب الكتاب في المعنى:

دَعِ الكِبْرَ واجنَحْ للتواضعِ تَشتملْ ... وِدادَ مبيعِ الوُدِّ صعبِ مرامِهِ[7]

---

(١) الكبيرة: الذنب الكبير الذي تُعاقِبُ عليه الشريعة بأقسى العقوبات، ومن الكبائر القتْلُ والزنا (راجع اللسان [كبر] ٥/ ١٢٩).

(٢) ضائر: مضرّ.

(٣) المسوَّد: السيّد.

(٤) كثرت: ترددت كثيراً.

(٥) سبق التعريف به.

(٦) منبسط: متهلّل.

(٧) المرام: المراد. وفي عجز البيت ثِقَلٌ وتعسُّر في قراءته.

وداوِ بلينٍ ما جرَحْتَ بغِلْظةٍ فطِيبُ كلامِ المَرْءِ طِبُّ كلامِهِ

وقال آخر في المعنى:

وقد أُحَيِّي عَدُوِّي حين أُبصِرُهُ لِأَدْفَعَ الشرَّ عني بالتحيّاتِ
وأُظهِرُ البِشْرَ للإنسانِ أُبغِضُهُ كأنَّهُ قد مَلَا قلبي محبّاتِ

ابن الرومي:

إذا مَطَلْتَ امرءاً بحاجتِهِ فامْضِ على مَنْعِهِ ولا تَجُدِ
فلستَ تلقاهُ شاكراً ليدٍ قد كَدَّها المَطْلُ آخرَ الأبدِ[1]

وقال آخر:

لئنْ كانت الدنيا أنالَتْكَ ثروةً وأصبحتَ ذا يُسْرٍ وقد كنتَ ذا عُسْرِ
لقد كَشَفَ الإثراءُ منك مَساوِياً من اللؤمِ كانت تحتَ ذَيْلٍ من الفقرِ[2]

المتوكل الليثي[3]:

الشعرُ لبُّ المرءِ يَعْرِضُهُ والقولُ مثلُ مواقِعِ النَّبْلِ[4]
منها المقصِّرُ عن رَمِيَّتِهِ ونوافذٌ يَذْهَبْنَ بالخُصَلِ

الحسين بن رَجاء[5]:

قد يَصْبِرُ الحُرُّ على السيفِ ويأْنَفُ الصبرَ على الحَيْفِ[6]
ويُؤْثِرُ الموتَ على حالةٍ يَعجِزُ فيها عن قِرى الضَّيْفِ[7]

الأُقَيْشر الأسدي[8]:

إن كنتَ تَبْغِي العِلْمَ أو أهلَهُ أو شاهداً يُخْبِرُ عن غائبِ
فاعْتَبِرِ الأرضَ بأسمائها واعتبرِ الصاحبَ بالصاحبِ

---

(١) المطل: المماطلة. التسويف. (٢) مساوياً: مَساوئ.
(٣) سبقت ترجمته. (٤) النبل: جمع نبال، رأسُ السهام.
(٥) الخُصَل: واحدتُها خُصْلة. وهي الشعر المتجمع. وفي السياق التباس في المعنى. ولعله يقصد بأن هناك سهاماً تصيب الرميّة حتى خصلَ الشعر فيها.
(٦) الحيف: الظلم.
(٧) قرى الضيف: إطعام الضيف أو استضافته.
(٨) شاعر هجّاء من بادية الكوفة. ولد في الجاهلية وعاش في الإسلام. هو أحد مجّان الكوفة واسمه: المُغيرة بن عبد الله. والأقيشر: لقب، معناه: الأحمر الوجه، الشديد الحمرة، ت سنة ٨٠هـ/ ٧٠٠م (انظر «معجم الشعراء في لسان العرب» ص٦٩ وفيه عشرة مصادر ومراجع لترجمته).

أبو الأسود الدؤلي(١) يخاطب زوجته:

خُذِي العفوَ مني تَسْتَديمي مودَّتي ... ولا تَنْطِقي في سَوْرتي حين أَغْضَبُ(٢)

فإني رأيتُ الحُبَّ في الصَّدرِ والأذىٰ ... إذا اجتمعا لم يَلْبَثِ الحبُّ يَذْهَبُ

وقال آخر:

أصبحتِ الدنيا لنا عِبْرةً ... والحمدُ لِلَّهِ على ذالكا

قد أجمعَ الناسُ على ذَمِّها ... وما نَرىٰ منهم لها تارِكا

وقال آخر:

ورُبَّ قبيحةٍ ما حالَ بيني ... وبين رُكوبِها إلّا الحَياءُ(٣)

إذا رُزِقَ الفتىٰ وجهاً وقاحاً ... تَقَلَّبَ في الأمور كما يشاءُ

أبو الفرج بن هندو:

لا يُؤْيِسَنَّكَ مِن مَجْدٍ تُباعِدُهُ ... فإنَّ للمجد تَدرِيجاً وترتيبا

إن القناةَ التي شاهدْتَ رِفْعَتَها ... تَنْمىٰ وتَنْبُتُ أُنبوباً فأُنبوبا(٤)

عوف بن ورقاء:

إنَّ الليالِيَ للأنامِ مَناهِلٌ ... تُطْوىٰ وتُنْشَرُ بينها الأعمارُ(٥)

وقِصارُهُنَّ مع الهموم طويلةٌ ... وطِوالُهنَّ مع السرور قِصارُ

النجاشي(٦):

إني امرؤٌ قَلَّ ما أُثْني على رَجلٍ ... حتى أرىٰ بَعْضَ ما يأتي وما يَذَرُ(٧)

لا تَحْمَدَنَّ امرءاً حتى تُجرِّبَهُ ... ولا تَلُومَنَّ مَنْ لم يَبْلُهُ الخَبَرُ

---

(١) ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي، فقيهٌ محدِّث، واضع علم النحو بتشجيع ومساعدة علي بن أبي طالب. تميز شعره بالحكمة والبديهة (توفي سنة ٦٧ أو ٦٩/٦٨٨ أو ٦٨٩م). معجم الشعراء في لسان العرب ص٥٥. وفيه عدد كبير من المصادر والمراجع.

(٢) سورتي: حماة غضبي.

(٣) قبيحة: عمل مستقبح. ركوبها: العمل بها.

(٤) أنبوباً: عقدة.

(٥) مناهل: مشارب.

(٦) قيس بن عمرو، من بني الحارث بن كعب، لقّب بالنجاشي لأن لونه يشبه لون الحبشي. عمّر طويلاً، وتوفي بعد مقتل الحسين بن علي (تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ جـ١/٣١٣ ـ ٣١٥).

(٧) يذر: يدع، يترك.

الأمير أبو الفضل الميكالي[١]:

كـم والـدٍ يُـخـرَمُ أولادَهُ وغَـيْـرُه يَـحْـظَـى بـه الأَبْـعَـدُ
كـالـعَـيْـنِ لا تُـبْـصِـرُ مـا حـولَـهـا ولـحْـظُـهـا يُـدْرِكُ مـا يَـبْـعُـدُ

مثله لبعضهم:

مِن الناس مَنْ يَغْشىٰ الأَباعِدَ نَفْعُهُ ويَشْقىٰ به حتى الممات أقاربُهْ[٢]
فإنْ كان خَيراً فالبعيدُ يَنالُهُ وإن كان شرًّا فابنُ عمِّكَ صاحِبُهْ

أبو فراس[٣]:

إذا كان نفعي لا أُسَوِّغُ نَفْعَهُ فأفضلُ منه أن أرىٰ غيرَ فاضلِ[٤]
ومِنْ أضْيَعِ الأشياءِ مُهجةُ عاقلٍ يجوزُ على جَريانِها حُكْم جاهلِ[٥]

وقال أيضاً:

طَوارِقُ خَطْبٍ ما تغبُّ وفُودُها وأحداثُ أيام تُغِذُّ وتُتْئِمُ[٦]
فما عَرَّفَتْني غيرَ ما أنا عارِفٌ ولا علَّمتْني غيرَ ما كنتُ أعلمُ
إذا لم يكن يُنجي الفِرارُ من الردىٰ على حالةٍ فالصبرُ أرْجىٰ وأحْزَمُ

وقال أيضاً:

عَـرفْـتُ الـشـرَّ لا لـلـ (م) ـشَـرِّ لـكـنْ لِـتَـوقِّـيـهِ[٧]
ومَـنْ لا يَـعـرِفِ الـشـرَّ مِـنَ الـنـاسِ يـقَـعْ فـيـهِ

وقال الشافعيّ[٨] رضي الله عنه:

عليَّ ثيابٌ لو يُقاسُ جَميعُها بِفِلْسٍ لكان الفلْسُ مِنهنَّ أكْثَرا

---

(١) أحد أمراء الكتابة والشعر في عصره، ويدعى عُبيد الله بن أحمد بن علي الميكالي. خراساني، ترك شعراً كثيراً ونثراً جميلاً نجدهما في «اليتيمة» للثعالبي جـ٤/ ٣٥٤ ـ ٣٨٢. وتوفي سنة ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م.

(٢) يغشى: يعمّ.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) أُسوِّغُ: يُوافَقُ على نفعه.

(٥) المهجة: الروح. والجريان (مصدر مبالغة من [جَرى]) وحرّك بالسكون للضرورة الشعرية.

(٦) تُغذ: تلد واحداً. تُتئم: تلد توأمين اثنين. وتَغِبُّ، تشرَبُ يوماً وتترك يوماً؛ أي: لا تنقطع.

(٧) توقيه: تفاديه.

(٨) الإمام محمد بن إدريس بن العباس بن شافع القرشي، أحد الأئمة الإسلاميين السُّنِّيين الأربعة (عاش ما بين ١٥٠هـ ـ ٢٠٤هـ/ ٧٦٧ ـ ٨٢٠) انظر الأعلام للزركلي جـ٦/ ٢٦ وفيه قائمة كبيرة من مصادر ترجمته ومراجعها.

وفيهنَّ نفسٌ لو يُقاس ببعضِها نُفوسُ الورَىٰ كانت أَجلَّ وأَكْبَرا
وما ضرَّ نصْلَ السيف إخلاقُ جَفْنِهِ إذا كان عَضْباً حيثُ وُجِّهتَه بَرىٰ[١]

أبو طاهر الخيزراني مثلُه:

عليَّ ثيابٌ فوقَ قيمتِها الفِلْسُ وفيهنَّ نفسٌ دون قيمتها الإنْسُ[٢]
فثوبُكَ مثلُ الشمسِ مِنْ دونها الدُّجىٰ وثوبيَ مثْلُ الغيمِ من تحتِهِ الشمسُ[٣]

أبو عثمان الخالدي[٤] في المعنى:

صَدَّتْ مُجانِبَةً نَوارُ ونأىٰ بجانبِها ازْوِرارُ[٥]
ورأتْ ثيابي قد غدَتْ وكأنَّها زَمَنٌ قِفارُ[٦]
يا هذهِ إنْ رحتُ في خَلَقٍ فما في ذاك عارُ[٧]
هذي المُدامُ هيَ الحيا ةُ قميصُها خزَفٌ وقارُ[٨]

إبراهيم بن العباس الصولي[٩]:

إنَّ امرءاً ضَنَّ بمعروفِهِ عَنِّي لمبذولٌ له عُذْري
ما أنا بالراغب في عَرْفِهِ إن كان لا يرغَبُ في شكري

أبو الفتح البستي:

لئنْ صدَعَ الدهرُ المشتِّتُ شَمْلَنا وللدهرِ حكْمٌ للجميع صَدُوعُ
فللنجم من بعد الهُبوطِ استقامةٌ وللشمس مِنْ بَعْد الغروبِ طُلوعُ

وقال أيضاً:

لئنْ تنقَّلتُ من دارٍ إلى دارِ وصرْتُ بعْدَ ثواءٍ رهْنَ أسفارِ[١٠]

---

(١) الجفن: غمد السيف. إخلاق جفنه: تآكُل جفنه. عضباً: قاطعاً. برى: تطعَ.
(٢) الإنس: الناس. قصد بأن له ثياباً بالية ولكن نفسه تفوق أنفس الناس، بكرمها وجوهرها.
(٣) الدجى: الليل. قصد أن ثوب المخاطب قيمتُه من قيمة الشمس في الغلاء؛ وثوب الشاعر لا تكاد العينُ تراه.
(٤) هو سعيد بن هشام، قُرِنَ بأخيه محمد، بصورة شبه دائمة بقولهم: الخالديان. وقد نُسِبَ هو وأخوه إلى الخالديّة في نواحي الموصل، (راجع تعريف شقيقه محمد في فقرة سابقة) توفي أبو عثمان سنة ٣٧١هـ/ ٩٨٢م.
(٥) المعنى: أعرضت الحبيبة «نوار»، ومالت مبتعدة. وازورّ: أعرض بوجهه بدافع الرفض أو التعالي.
(٦) قفار: قفر. موحش.
(٧) الخلَق: الثياب المهلهلة. أي إن لبستُ الثياب البالية، لا ينالني منها شيء من العار.
(٨) المدام: الخمر. والقار: الزفت، والخزف. الفخار.
(٩) سبقت ترجمته. والعَرْف (بالفتح) الرائحة الذكية والعُرْف (بالضم) المعروف.
(١٠) ثواء: إقامة وسكن.

فالحرُّ حُرٌّ عزيزُ النفسِ حيثُ غَدا   والشمسُ في كلِّ برجٍ ذاتُ أنوارِ

وقال أيضاً:

لا يَغُرَّنْكَ أنني لَيِّنُ المسّ (م) فَعَزمي، إذا انتضيتُ، حُسَامُ
أنا كالوردِ فيه راحةُ قومٍ   ثُمَّ فيه لآخرينَ زُكامُ

وقال أيضاً:

مَنْ شاءَ عيشاً رخياً يَستفيدُ به   في دينِهِ ثم في دنياهُ إقبالا
فلينظُرَنَّ إلى ما فوقَه أدباً   ولينظُرَنَّ إلى مَنْ دونَه مالا

وقال أيضاً:

إذا خُذِلَ المرءُ مِنْ نفسِهِ   فليس له مِن سِواهُ نَصيرُ
وشرُّ لِسانٍ يُحَامىٰ بهِ   لسانٌ طويلٌ وباعٌ قصيرُ

أبو سليمان أحمدُ بْنُ محمد الخطابيّ البستيّ[١]:

تَسامَحْ ولا تَستوفِ حقَّكَ كلَّه   وأَبقِ! فلم يَستَقْصِ قَطُّ كَريمُ
ولا تَغْلُ في شيءٍ من الأَمرِ واقتصِدْ   كِلَا طَرَفيْ قَصْدِ الأُمورِ سليمُ[٢]

وقال أيضاً:

وإني لأعرِفُ كيفَ الحقوقُ   وكيفَ يبِرُّ الصديقَ الصديقُ
ورحْبُ فؤادِ الفتىٰ مِحنةٌ   عليه إذا كان في الحالِ ضِيقُ

وقال أيضاً:

وما غُرْبةُ الإنسان في غُرْبةِ النَّوىٰ   ولكنَّها واللّٰهِ في عدم الشَّكْلِ[٣]
وإني غريبٌ بين بُسْتٍ وأهلِها   وإنْ كان فيها أُسْرتي وبها أَهلي[٤]

---

(١) هو حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطّاب الخطابي: أبو سليمان. سمّته العامة أحمد، فلم يَعْتَرِض، فهو يسمى أحمد، وحمد. اشتغل بالتجارة بين خراسان والحجاز والعراق وكان ينفق على الصلحاء من إخوانه. شرح كتباً في الحديث، ووضع كتباً وتصانيف في الأدعية. وترك شعراً جيداً، وتوفي ٣٨٨ هـ/ ٩٩٨م (الوافي بالوفيات، الجزء السابع، بعناية د. إحسان عباس. فرانز شتاينر يفسبادن ١٩٦٩/ ص٣١٧.

(٢) لا تَغْلُ: لا تبالغ.

(٣) النوى: البعد والغربة. وقصد «بعدم الشكل» الاهتداء إلى الصديق الذي يُشاكل صاحبه في السلوك والطبيعة.

(٤) بست: بُسْت (بالضم) مدينة بالقرب من سجستان وهراة ولعلها من أعمال «كابُل». ومنها الشاعر الأديب أبو الفتح البستي المار ذكره غير مرة في هذا الكتاب (للتوسع انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي، جـ١/ ٤١٤ ـ ٤١٩).

مثله لأبي عمرو السِّجْزيّ(١):

وليس اغترابي في سِجِسْتانَ أنني | عدِمْتُ بها الإخوانَ والعَيْشَ والأهْلا
ولكنَّه مالي بها من مُشاكِلٍ | وإنَّ الغريبَ الفَرْدَ مَنْ عَدِمَ الشَّكْلا

أبو نصر سهل بن المرزبان(٢):

تجاوُزُكَ الحدَّ في الإعتِدا | لِ مِمَّا يَقودُ المنايا سَريعَهْ
فلا تقطَعَنْ في جَميعِ الأُمورِ | فكلُّ كثيرٍ عدوُّ الطبيعَهْ

أبو النصر محمد بن عبد الجبار(٣):

إذا رمتَ مِنْ سَيِّدٍ حاجةً | فراعِ لديهِ الرِّضىٰ والغَضَبْ
فإنَّ التَّهجُّمَ ليلُ المنىٰ | وإنَّ الطلاقةَ صُبْحُ الأرَبْ

عبد الله بن محمد بن أبي عيينة(٤):

من آنَسَتْهُ البِلادُ لم يَرُمِ | منها ومَنْ أوحشَتْه لم يُقِمِ
ومن يَبِتْ والهمومُ قادِحةٌ | في صدره بالزِّنادِ لم يَنَمِ

أحمد بن يوسف(٥):

وعاملٍ بالفجورِ يأمرُ بالبِـ | ـرِّ كهادٍ يَخُوضُ في الظُّلَمِ
أوْ كطبيبٍ قد مَسَّه سَقَمٌ | وهْوَ يُداوي مِن ذلكَ السقَمِ
يا واعظَ الناسِ غيرَ متَّعِظٍ | نفسَكَ أوْ لا فلا تَلُمِ

ابن لنكك(٦):

إذا أخو الحُسْنِ أضحىٰ فِعلُه سَمِجاً | رأيتَ صورتَهُ مِن أقبحِ الصُّوَرِ(٧)

---

(١) هناك عدد من رجالات الأدب والحديث واللغة لُقِّبوا بالسِّجْزي، نسبةً إلى بلدة سِجْز (بتسكين الجيم) وهي اسم آخر لسِجستان (راجع معجم البلدان ٣/ ١٨٩ وما بعدها) وفي يتيمة الدهر ٤/ ٣٣٨ ـ ٣٤٤ ذكر لعدد من هؤلاء الأدباء مع شيء من أشعارهم وجلُّها في الحكم.

(٢) سهل بن المرزبان من أصبهان. أكثر من جمع الكتب النفيسة. وكان معاصراً لأبي منصور الثعالبي. توفي نحو سنة ٤٢٠هـ/ ١٠٣٠م. والبيتان في «اليتيمة» للثعالبي جـ٤/ ٣٩٣، على شيء من الاختلاف.

(٣) محمد بن عبد الجبار العُتبي، مؤرخ شاعر. نشأ في خراسان واستوطن نيسابور. له عدد من المصنفات في التاريخ والإنشاء. والبيتان في يتيمة الدهر ٤/ ٤٠٤، وسيرته ومقتطفات من أشعاره.

(٤) شاعر عباسي، ورد ذكره في عدد من المصادر كـ«دلائل الإعجاز» لعبد القاهر الجرجاني بعناية د. ياسين الأيوبي/ ص١٥٧، و«الكامل» للمبرّد جـ٢/ ٣٤.

(٥) لعلّه أحمد بن يوسف الكاتب (ت٢١٣هـ/ ٨٢٨) وزير كاتب من أهل الكوفة (انظر «معجم الأدباء» لياقوت جـ٥/ ١٦١ ـ ١٨٣).

(٦) عرّف به من قبل.

(٧) سمجاً: قبيحاً.

وهَبْهُ كالشمسِ في حُسْنٍ أما تَرَنا نَفِرُ منها إذا مالتْ إلى الضَّرَرِ

ابن نُبَاتة السعدي:(١)

ما بالُ طَعْمِ العيشِ عندَ معَاشِرٍ حُلْوٌ، وعندَ مَعاشِرٍ كالعلْقَمِ
مَنْ لي بعيشِ الأغبياءِ فإنَّهُ لا عَيْشَ إلّا عَيْشُ مَنْ لم يَعْلَمِ

أبو تمام:

وإنَّ أوْلى البَرايا أنْ تُواسِيَهُ عند السرور الذي واساك في الحَزَنِ
إنَّ الكِرامَ إذا ما أسْهلوا ذَكَروا مَنْ كانَ يألَفُهم في المنزل الخَشِنِ(٢)

وقال أيضاً:

وإذا أرادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضيلةٍ طُويَتْ، أتاحَ لها لِسانَ حَسُودِ(٣)
لولا اشتعالُ النارِ فيما جاوَرَتْ ما كان يُعْرَفُ طِيبُ عَرْفِ العُودِ(٤)

الصابي(٥):

إذا لم يَكُنْ بُدٌّ من الموت للفتىٰ فأرْوَحُهُ الأوْحىٰ الذي هو أسْرَعُ(٦)
وما طال عمرٌ قَطُّ إلّا تطاوَلتْ بصاحبِهِ روعاتُ ما يتوقَّعُ(٧)

وقال أيضاً:

إذا جَمعتْ بين امرأَيْنِ صِناعةٌ فأحبَبْتَ أن تدري الذي هو أحذَقُ
فلا تَتفقَّدْ منهما غيرَ ما جَرَتْ به لهما الأرزاقُ حين تُفَرَّقُ
فحيثُ يكون النقصُ فالرزق واسعٌ وحيث يكون الفضلُ فالرزقُ ضيّقُ

وقال من قصيدة:

تلُوحُ نَواجذي والكأس شُرْبي وأشربُها كأني مُستطيبُ(٨)

(١) عرّفَ به من قبل.
(٢) البرايا: الناس. «وأسهلوا» نزلوا السهل، كناية عن المركب النائم الليِّن.
(٣) المعنى: ينمّ الحسود على الإنسان الخلوق، فيلفت انتباه الناس إليه. وسرعان ما يكتشفون فضيلة هذا، وكذب ذاك.
(٤) لكل نوع من الأعواد رائحته عند الاشتعال، وكذلك البشر، لدى التعامل معهم.
(٥) هو إبراهيم بن هلال بن هارون الصابئ الحرّاني، أوحد العراق في البلاغة، ظل على ديانته الصابئة ولم يسلم رغم كل الدعوات والإغراءات له من أكابر رجالات الدولة. توفي سنة ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م انظر «يتيمة الدهر» الجزء الثاني ٢٤٢ ـ ٣١٢ وأشعاره الحكمية ههنا في «اليتيمة» جـ٢/ ٢٩٣.
(٦) الأروح: تباعد ما بين الساقين. الأوحى: الأسرع.
(٧) روعات: ج. روعة: خوف. (٨) النواجذ: الأضراس.

وفوق السرِّ لي جَهْرٌ ضَحوكٌ | وتحتَ الجهرِ لي سرٌّ كئيبُ
سأثبِتُ أو يصادِمُني زماني | بركنيهِ كما ثبتَ النجيبُ[١]
وأرقبُ ما تجيءُ به الليالي | ففي أثنائها الفرَجُ القريبُ

أبو الحسين الناشي[٢]:

إذا أنا عاتبْتُ الملوكَ فإنما | أخُطُّ بأقلامي على الماء أحْرُفا
وهَبْه ارعوى بعد العتابِ ألم تَكُنْ | مودَّتُه طَبْعاً فصارت تَكلُّفاً[٣]

الشريف الرضيّ[٤]:

إشْتَرِ العِزَّ بما بِيـ | ـعَ فما العِزُّ بِغالي
بالقِصَارِ الصُّفْرِ إنْ شئْـ | ـتَ أو السُّمْرِ العَوالي[٥]
ليس بالمغبون عَقْلاً | مُشْترٍ عِزًّا بمالِ
إنَّما يُدَّخَرُ الما | لُ لحاجاتِ الرجالِ

أبو العلاء الأسدي[٦]:

ورُبَّ كريمٍ تَعْتَريهِ كزازَةٌ | كما قد رأيتَ الشوكَ في أكرمِ الشَّجرْ[٧]
ورُبَّ جَوادٍ يُمْسِكُ اللّهُ جُودَهُ | كما يُمسِكُ اللّهُ السَّحابَ عنِ المَطَرْ

أبو بشر النحوي[٨]:

وإني لأَكْرَهُ مِن شيمتي | زيارةَ حيٍّ بلا منفعَهْ
ولا أحمَدُ القولَ مِن قائلٍ | إذا لم يكن منه فعلٌ معَهْ

---

(١) النجيب: الفاضل، والأبيات، مع خمسة أخرى، في «اليتيمة» جـ٢/ ٢٩٢.

(٢) هو أبو الحسن (لا الحسين) علي بن عبد الله بن وصيف، الحلاّء، الشاعر المشهور، لقّب الحلاّء لأنه كان يعمل حلية من النحاس. حضر مجلس سيف الدولة وشهده فيه أبو الطيب المتنبي وهو صغير. عمّر الناشئ طويلاً، و توفي سنة ٣٦٦هـ/ ٩٧٦، ومولده سنة ٢٧١هـ/ ٨٨٤م. «وفيات الأعيان» لابن خلكان جـ٣/ ٣٦٩ ـ ٣٧١، وبيتاه المذكوران أعلاه، في الوفيات ٣/ ٣٧٠، وفي «سير أعلام النبلاء» جـ١٦/ ٢٢٢.

(٣) ارعوى: ارتدع.

(٤) محمد بن الحسين بن موسى، أبو الحسن. أشعر الطالبيين ولد وعاش وتوفي في بغداد. وله ديوان شعر كبير ومجموعة من الرسائل ما بينه وبين أبي إسحاق الصابئ. مصادر ترجمته كثيرة؛ راجعها في الأعلام ٦/ ٩٩ و«معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة جـ٩/ ٢٦١ ـ ٢٦٢.

(٥) الصفر: السيوف. السمر: الرماح.

(٦) محمد بن إبراهيم الأسدي، أحد رجالات عصره الذين جمعهم بلاط الصاحب بن عباد في زمانه. ذكره العماد الكاتب وقال: هو من أهل مكة، عمّر طويلاً حتى بلغ المائة. وتوفي سنة ٥٠٠هـ/ ١٠٦م (معاهد التنصيص/ جـ٣/ ٢٠١ وانظر اليتيمة ٣/ ١٩٣).

(٧) كزازة: انقباض.

(٨) لم نجده.

وَمَــنْ ضَــاقَ صَــدْراً بِــإِكْــرامِــنَــا ... فَــلَــسْــنَــا نَــضِــيــقُ بِــأَنْ نَــقْــطَــعَــهْ

الصَّاحب بن عباد[1]:

إذا أدنــاكَ ســلــطــانٌ فــزِدْهُ ... مــن الــتــعــظــيــم وانْــصَــحْــهُ وراقِــبْ

فــمــا الــسُّــلــطــانُ إلا الــبــحــرُ عِــظَــمــاً ... وقُــرْبُ الــبــحــر مــحــذورُ الــعــواقِــبْ

وقال آخر:

إذا ما العصا كانتْ على كل حالةٍ ... تَزيد اعوجاجاً ما لَها مَنْ يُقيمُها[2]

ومَنْ يبتدِعْ ما ليس مِنْ خِيمِ نفسِهِ ... يدَعْه ويغلِبْه على النفس خِيمُها[3]

أحمد بن بندار[4]:

وقالوا يَعودُ الماءُ في النهر بَعْدما ... عفَتْ منه آثارٌ وخَفَّتْ مَشارِعُهْ[5]

فقلتُ إلى أن يرجِعَ الماءُ عائداً ... ويُعْشِبَ شطَّاه، تَموتُ ضفادِعُهْ

تاج الدولة بن عضد الدولة[6]:

هَبِ الدهرَ أرْضاني وأَعْتَبَ صرفُه ... واعقَبَ بالْحُسنىٰ من الحَبْس والأَسْر[7]

فمَنْ لي بأيام الهمومِ التي مضَتْ ... ومَنْ لي بما أنفقْتُ بالحبسِ من عُمْري

وقال آخر:

إن مِــنَ الــسُّــؤالِ والاعــتــذارِ ... خُــطــةً صَــعْــبَــةً عــلــى الأحــرارِ

لــيــس جَــهــلاً بــهــا تَــجَــشُّــمُــهــا الــ ... ــحُــرُّ ولــكــنْ ســوابــقُ الأقْــدارِ

---

(١) إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم، وزير أديب، ولد في بلاد قزوين، وتوفي في أصبهان سنة ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م. ترك من أعماله ما يفوق الوصف في الجودة والنوعية شعراً ورسائل ومصنفات، وبخاصة معجمه اللغوي «المحيط في اللغة». وأفرد له الثعالبي حوالى المائة صفحة للتعريف به وبسيرته ونثره وشعره (اليتيمة جـ٣/ ١٩٢ ـ ٢٩٠) وانظر الأعلام ١/ ٣١٦ وفيه عدد كبير من مصادر ترجمته ومراجعها.

(٢) يقيمها: يقوّمها.

(٣) الخيم: الشيم.

(٤) ذكره الثعالبي في «اليتيمة» ولم يعرِّف به، مكتفياً بذكر البيتين الحكميَّين أعلاه «يتيمة الدهر، جـ٣/ ٤١٨».

(٥) مشارعه: موارده.

(٦) تاج الدولة أبو الحسين أحمد بن عضد الدولة (فناخسرو) آدبُ آل بويه، وأشعرهم، وأكرمهم. تعرض لنكسات كثيرة في حياته، مصدرها السلطة والأقربون. توفي سنة ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م. والبيتان ههنا، رواهما للثعالبي بديع الزمان الهمذاني (يتيمة الدهر جـ٢/ ٢٢٠).

(٧) صَرْف الدهر، جمع صُروف، نوائب الدهر وحِدْثانه. وأعتَب: أرضى بعد العتاب.

أرض للسائل الخضوع وللـ ... ـقارف ذنباً غضاضة الاعتذارِ(١)

وقال آخر:

إذا رأيتَ أخاً في حال عُسْرتِهِ ... مُواصِلاً لكَ، ما في وُدِّهِ خَلَلُ
فلا تَمَنَّ له أن يَستفيدَ غِنًى ... فإنه بانتقال الحالِ يَنتقِلُ

أبو الطيب:

أرىٰ كُلُّنا يَبْغي الحياةَ لنفسه ... حريصاً عليها مُستهاماً بها صبًّا(٢)
فحبُّ الجبانِ النفسَ أوْرثَه البَقا ... وحبُّ الشجاعِ النفسَ أورثه الحَرْبا
ويَختلِفُ الرزقانِ والفعلُ واحدٌ ... إلى أن ترىٰ إحسانَ هذا لِذا ذَنْبا

وقال أيضاً:

إذا ساء فِعْلُ المرءِ ساءت ظنونُهُ ... وصدَّق ما يعتادُهُ من تَوَهُّمِ
وعادىٰ مُحِبّيهِ بقولِ عُداتِهِ ... فأصبحَ في شيءٍ من الشك مُظْلِمِ
وما كلُّ هاوٍ للجميل بِفاعلٍ ... ولا كلُّ فعّالٍ له بمتمِّمِ
وأحسنُ وَجْهٍ في الورىٰ وجهُ مُحسِنٍ ... وأيمَنُ كَفٍّ فيهمُ كَفُّ مُنعِمِ(٣)
لِمَنْ يَطْلُبُ الدنيا إذا لم يُرِد بها ... سُرورَ مُحِبٍّ أو إساءةَ مُجْرِمِ

وقال أيضاً:

وشِبْهُ الشيءِ مُنْجَذِبٌ إليه ... وأشْبَهُنا بدُنيانا الطَّغَامُ(٤)
ولو لم يَعْلُ إلّا ذو مَحَلٍّ ... تعالى الجيشُ وانحطَّ القَتامُ(٥)
ولو حِيزَ الحِفاظُ بغير عَقْلٍ ... تجنَّبَ عُنْقَ صَيْقَلِهِ الحُسامُ(٦)

وقال أيضاً:

ذو العقلِ يَشْقىٰ في النعيم بعَقْلِهِ ... وأخو الجَهالَةِ في الشَّقاوةِ يَنْعَمُ

---

(١) في البيت الأول خلل عروضيّ نافر حال دون تشكيله، وكذلك غَمُضَ تشكيل البيت الأخير لغموض معناه. إلّا إذا قلْنا: «إرْضَ» فعل أمر لما بعدها.

(٢) صبًّا: مغرماً.

(٣) أيمنُ كف: من اليُمْن: البركة.

(٤) الطغام: الأوغاد. واحدها: طَغَامَة. وهو أيضاً الأحمق والرَّذيل.

(٥) القتام: الغبار الأسود.

(٦) حِيز (مجهول حاز: ملك) وردت في أصل الكتاب «خبر» (بالخاء والباء والراء) ولا معنى لها. والتصويب عن (شرح الواحدي لديوان المتنبي). ومعنى البيت: لو مُلِك الحفاظ على الحقوق، ورُعي الذمام من غير عقل، لكان السيفُ يحافظ على حق الصيقل (شحّاذه) فلا يقطع عنقه. والمعنى أنهم (أي أهل الدنيا) لا عقل لهم، فليس لهم حِفاظ. انظر «شرح الواحدي لديوان المتنبي» جـ١/ ٥١٥.

والظُّلمُ من شِيَمِ النفوسِ فإنْ تَجِدْ ذا عِفَّةٍ فلِعلَّةٍ لا يَظْلِمُ
ومِنَ البليَّةِ عَذْلُ مَن لا يَرْعَوِي عن جَهْلِهِ وخِطابُ مَنْ لا يَفْهَمُ
ومِنَ العَداوَةِ ما يَنالُكَ نَفْعُهُ ومِنَ الصداقةِ ما يَضُرُّ ويُؤْلِمُ

أبو العتاهية[1]:

ألَمْ تَعلمي أنَّ الغِنَى يَجْعلُ الفَتىٰ سَنِيًا وأنَّ الفَقْرَ بالمرءِ قد يُزْرِي[2]
فما رفعَ النفسَ الوضيعةَ كالغِنىٰ ولا وَضَعَ النفسَ الرفيعةَ كالفَقْرِ

صاحب الكتاب في المعنىٰ:

لِلَّهِ درُّ المالِ كم مِنْ خامِلٍ أضحىٰ به عَلَماً مِنَ الأعلامِ
يَكْسو الدنيَّ من الرجالِ مَهابةً ويَزينُ لفظَ الألْكَنِ التمتامِ[3]
وفَخارُ ذي الإقتارِ زُورٌ والعُلىٰ بِسِوى الغِنىٰ عِقْدٌ بغيرِ نِظامِ[4]

وقال غيرُه في المعنى:

لا بُدَّ للعاقلِ مِنْ زلَّةٍ تَحُطُّ عند الناسِ من قَدْرِهِ
واحدةٌ تُرْبي على كلِّ ما يَزِلُّه الجاهلُ في عُمْرِهِ[5]

وقال أيضاً:

ذهبَ الأُولىٰ كنَّا بهِمْ نَعْصي الخُطوبَ ولا نُطيعْ[6]
وإذا الأُصولُ وهَتْ فلا تَعْجَبْ إذا وَهَتِ الفُروعْ[7]

وقال أيضاً:

دَعِ الناسَ أو سُسْهُمْ بِبِرِّكَ والجفا إذا أنتَ لم تَفعلْ وعرفك النكر[8]
فليس كمالُ المرءِ بالخَيرِ وحْدَهُ إذا لم يكُنْ في المرءِ شيءٌ مِن الشرِّ

---

(١) سبقت ترجمته.
(٢) سنياً: رفيعاً. يُزري: يُعيب ويَحُطُّ. الألكن التمتام: العيي. الذي يقول كلاماً غير مفهوم. واللكْنة: العيّ. والتمتمة: غلبةُ حرفَيْ التاء والميم على المتكلم.
(٣) الدنيُّ: الوضيع الخسيس.
(٤) الإقتار، نوع من الشح والبخل. أي ليس للمقتِّر أن يفخر، ففخره زور. وإنما المجد والفخار لأهل الغنى واليسار.
(٥) الزلَّة: السقطة السريعة أو الهفوة. ومعناه: زلَّةٌ واحدة من العاقل يزيد أثرُها على كل سقطات الجاهل في عمره.
(٦) الأُولى: الذين. (٧) وهت: ضعفت.
(٨) سُسْهم: تدبَّر أمرهم! وفي الكلمتين الأخيرتين من البيت الأول التباس في الإعراب تعذَّر علينا ضبطُهما.

باب

أبياتِ الأمثال المفردة

اللهُ أنجحُ ما طلبتَ بهِ   والبِرُّ خيرُ حقيبةِ الرجُلِ

* * *

خفِّض الجأشَ واصبرنَّ رُوَيداً   فالرزايا إذا توالت تولَّتِ(١)

* * *

ولَرُبَّ نازلةٍ يَضيقُ بها الفتى   ذرْعاً وعند اللهِ منها المَخرَجُ

* * *

ضاقتْ ولَوْ لم تَضِقْ لَمّا انفرَجَتْ   والعُسْرُ مفتاحُ كلِّ ميسورِ

* * *

هل الدهرُ إلّا غمرةٌ وانجِلاؤُها   سَريعاً وإلّا ضِيقةٌ وانفِراجُها(٢)

* * *

إنَّ ربّاً كفاكَ بالأمسِ ما كا   ن سيَكْفيكَ في غدٍ ما يَكونُ

* * *

ولم أرَ كالمعروف، أمّا مَذاقُهُ   فحلْوٌ وأمّا وجْهُهُ فجَميلُ

* * *

وإذا افتقرْتَ إلى الذَّخائرِ لم تَجِدْ   ذُخراً يكونُ كصالحِ الأعمالِ

* * *

من يَصْنَعِ الخيرَ لا يَعْدَمْ جوازِيَه   لا يَذهَبُ العُرْفُ بين اللهِ والناسِ(٣)

* * *

إذا أنتَ لم تُعرِضْ عن الجَهل والخَنا   أصبْتَ حليماً أو أصابَكَ جاهِلُ(٤)

(١) الجأش: القلب والنفس. الرّزايا: المصائب. تولّت: مضت.

(٢) غمرة: شدّة.

(٣) جوازيه: مكافأته. والعُرْف: المعروف.

(٤) يحرزه: يصيبه.

وحَذِرْتُ مِنْ أمرٍ فمرَّ بجانبي لم يُبْكِني، ولَقِيتُ ما لَمْ أَحْذَرِ

* * *

وإذا حذِرْتَ من الأمور مقدَّراً وهربتَ منه، فنحوَهُ تتوجَّهُ

* * *

والرزقُ يَخْطي بابَ عاقلِ قومِهِ ويَبيتُ بوّاباً لبابِ الأحمقِ(١)

* * *

كالصيدِ يَحْرَمُهُ الرامي المُجيدُ وقد يُرْمَىٰ فيُحْرِزُه مَنْ ليس بالرامي(٢)

* * *

لا تُنْكري عَطَل الكريم مِن الغِنىٰ فالسَّيلُ حربٌ من المكان العالي

* * *

لا تَنْظُرنَّ إلى الجَهالة والحِجَا وانظُرْ إلى الإقبالِ والإدبارِ(٣)

* * *

رُبَّ عِلْمٍ أضاعهُ عَدَمُ المَا لِ وجَهلٍ غَطّى عليه النَّعيمُ

* * *

مَنْ راقَبَ الناسَ مات غَمّاً وفازَ باللذةِ الجَسُورُ

* * *

إذا لم تَستطِعْ أمراً فدَعْهُ وجاوِزْهُ إلى ما تَستطيعُ

* * *

ولا تُكْثِرَنْ في إثْر شيءٍ نَدامَةً إذا نَزَعَتْهُ مِن يَدَيْكَ النوازِعُ(٤)

* * *

تَمتَّعْ مِن شَميمِ عَرارِ نَجْدٍ فما بَعْدَ العَشيَّةِ من عَرَارِ(٥)

* * *

(١) الخَنا: الذل والهوان.

(٢) يخطي، مخفّف (يخطئ) بالهمز.

(٣) الحجا: العقل والفطنة.

(٤) النوازع: ملائكة الموت تنزع أرواح بني آدم. ومنه الآية الكريمة: ﴿والنازعاتِ غَرْقاً﴾.

(٥) العرار: النرجس البرّي.

فَـيـومٌ عـلـيـنـا ويَـومٌ لـنـا ويـومٌ نُـسَـاءُ ويـومٌ نُـسَـرُّ

* * *

كَـمُـرضِـعَـةٍ أولادَ أُخـرىٰ وضَـيَّـعـتْ بَـنـيـهـا فـلـم تَـرْفـع بـذلـك مَـرْفَـعـا

* * *

كَـتَـارِكـةٍ بـيـضَـهـا فـي الـعَـراءِ ومُـلْـبِـسَـةٍ بَـيْـضَ أُخـرىٰ جَـنـاحـا

* * *

وحَـمَّـلْـتَـنـي ذَنْـبَ امـرِئٍ وتـرَكْـتَـهُ كـذي الـعُـرِّ يُكْـوىٰ غَـيـرُه وهـو راتِـعُ[١]

* * *

لـم أَكُـنْ مِـن جُـنَـاتِـهـا عَـلِـمَ الـلَّـ ـهُ وإنِّـي بِـحَـرِّهـا الـيـومَ صـالِ[٢]

* * *

وجُـرْمٍ جَـرَّهُ سُـفَـهـاءُ قـومٍ فـحَـلَّ بـغـيـرِ جـانـيـهِ الـعَـذابُ[٣]

* * *

وكـنـتُ إذا قَـومٌ غَـزَوْنـي غَـزوْتُـهُـم فـهـل أنـا فـي ذَا يـالَ هَـمْـدانَ ظـالِـمُ[٤]

* * *

وإذا تَـكـونُ كـريـهـةٌ أُدْعـىٰ لـهـا وإذا يُـحَـاسُ الـحَـيْـسُ يُـدْعـىٰ جُـنْـدبُ[٥]

* * *

لـيـت الـغَـمامَ الـذي رعَـدَتْ صـواعِـقُـهُ يـسـوقُـهـنَّ إلـى مـن عـنـده الـدِّيَـمُ[٦]

* * *

مـتـى أَحْـوَجْـت ذا كـرمٍ تَـخـطَّـى إلـيـك بـبـعـضِ أخـلاقِ الـلـئـيـمِ

* * *

---

(١) العر: الجرب. رتع: لَعب ولها وَنعم.

(٢) صلى: شوى. صالٍ: مشوي. أي مكتوٍ بنارها.

(٣) سفهاء القوم: أراذلُهم.

(٤) «يال»: مخفّف «يا آل» أو يا أهْلَ.

(٥) الكريهة: الشدّة في الحرب. يُحاسُ: يُعْمَل. وأصله أنّ رجلاً أُمر بأمر، فلم يحكمه، فذمّه آخر، وقام ليحكمه، فجاء بشرّ منه. فقال الآمر: عاد الحيس يُحاس. والحَيْس: تمر ولبن محمَّض يجهَّز ليطبخ به، يخلطان ويُعجنان ويُسَوَّيان كالثريد. يقال هذا المثل لمن يُذْكَر عند الشدّة ويُنسى في الرخاء.

(٦) الديم: م. الديمة: السحابة الممطرة.

ولا يَـغْـرُرْكَ طـولُ الـحِـلْـم مـنـي فـمـا أبـداً تُـصَـادِفُـنـي حَـلـيـمـا

* * *

وإذا الـذئـابُ اسـتـنـعـجَـتْ لـكَ مَـرَّةً فـحـذَارِ مـنـهـا أنْ تـعـود ذِئـابـا(١)

* * *

تـأتـي عـلـى وَعْـد الـكِـرام فـربـمـا حمَلْتِ من الإلحاحِ سَمْحاً على البُخْلِ(٢)

* * *

وقـد طـوَّفْـتُ فـي الآفـاقِ حـتـى رَضِـيـتُ مِـن الـغَـنـيـمـةِ بـالإيـابِ

* * *

وكـان رجـائـي أن أعـودَ مُـمـلَّـكـاً فـصـار رجـائـي أن أعـودَ مُـسَـلَّـمـا

* * *

لا تَـسْـأَلِ الـمَـرءَ عـن خَـلائـقِـهِ فـي وجْـهِـهِ شـاهِـدٌ مـن الـخَـبَـرِ

* * *

ومهما تَكُنْ عندَ امرئٍ مِنْ خَليقةٍ وإن خالَها تَخفىٰ على الناس تُعْلَمِ(٣)

* * *

فـإنَّـكُـمْ ومـا تُـخْـفـونَ مـنْـهُ كـذاتِ الشَّـيْـب لـيـس لـهـا خِـمـارُ(٤)

* * *

مـا كـان فـي الـمَـخْـدَعِ في أمْـرِكُـمْ فـإنـهُ فـي الـمـسـجـدِ الـجـامـعِ

* * *

وتَـجـلُّـدي لـلـشـامـتـيـنَ أُرِيـهِـمُ أنّـي لِـرَيْـبِ الـدهـرِ لا أتـضـعـضَـعُ(٥)

* * *

ولا خـيـرَ فـيـمـنْ لا يُـوطِّـنُ نـفْـسَـه عـلـى نـائـبـاتِ الـدهـرِ حـيـن تَـنُـوبُ

* * *

---

(١) استنعجت: ظهرت بمظهر النعجة.

(٢) السمح: الجواد. وقد ورد البيت مختلاً، إذ جاء: «تأتي على مواعيد الكرام». . والتصويب من عندنا؟

(٣) خليقة: طبيعة. شيمة.

(٤) الخمار: ما تغطّي به المرأة رأسها.

(٥) لا أتضعضعُ: لا أتداعى، أو أذِلّ وأُهدم.

ضـاقَ مـعـروفُ واضـعِ الـعُـرفِ فـي غـيـر أهـلِـهِ

* * *

نفسَكَ لُمْ يا مُلْقياً بِذَرِهُ بين سِباخٍ إنْ حصَدْتَ العَنا[1]

* * *

أسدٌ عليَّ وفي الحروب نَعامةٌ رَبداءُ تَنفِرُ من صَفيرِ الصافرِ[2]

* * *

إذا صوَّتَ العصفورُ طار فؤادُهُ وليثٌ حديدُ النابِ عند الثرائدِ[3]

* * *

وإذا خَمَصْتُمْ قُلْتُمْ يا عمَّنا وإذا بَطِنْتُمْ قلتُمُ ابنَ الأزورِ[4]

* * *

كالكلب إنْ جاع لم يَعدَمْكَ بَصْبصةً وإنْ ينَلْ شِبَعاً يَنبُحْ من الأشرِ[5]

* * *

قضى اللّهُ في بعض المكارهِ للفتى برُشْدٍ وفي بعض الهوى ما يُحاذِرُ

* * *

ربما خيرُ الفتى وهو للخير كارِهُ

* * *

وقد يَحزَنُ المرءُ مِن فَوتِ ما تكون السلامةُ في فَوتِهِ[6]

* * *

من أماراتِ مُفلسٍ أنْ تَراهُ مُوجِفاً في اقتضاء دَينٍ قديمِ[7]

* * *

إذا ضَيَّعْتَ أوَّلَ كلِّ أمرٍ أبتْ أعجازُهُ إلا التِواءَ

* * *

(١) السباخ من الأرض: ما لم يحرث ولم يُعمر لملوحتها. العناء: التعب الشديد.

(٢) ربداء: غبراء.

(٣) ليث: أسد. الثرائد: واحدها. ثريد وثريدة: طعام من خبز تفته وتبلّه بالمرق.

(٤) خمصتم: ضعف بطنكم من الجوع. بطنتم: عظم بطنكم من كثرة الأكل.

(٥) بصبص بذنبه: حرّكه. الأشر: البطر والمرح.

(٦) فوته: ذهابه. أي ربما فقدانُ شيء أو خسارته، سبيلُ نجاة وخلاص لصاحبه.

(٧) موجفاً: مسرعاً.

كم فُرصةٍ تُركتْ فصارتْ غُصَّةً ... تُشجي بطولِ تلهُّفٍ وتندُّمِ

* * *

تعدو الذئابُ على من لا كلابَ لَهُ ... ويُتَّقى مَرْبِضُ المستنفرِ الحامي[1]

* * *

تَراهُم يَغمِزونَ من اسْتَركُوا ... ويَجْتنِبونَ مَن صدَقَ المصَاعا[2]

* * *

متى تَجْمعِ القلبَ الذكيَّ وصارماً ... وأنْفاً حمياً، تَجْتنِبْكَ المَظالِمُ

* * *

تفرَّقتِ الظباءُ على خِرَاشٍ ... فما يدري خِراشٌ ما يصيدُ[3]

* * *

وعينُ الرضى عن كل عيبٍ كَلِيلةٌ ... ولكنَّ عينَ السُّخْطِ تُبْدي المَسَاوِيا[4]

* * *

والمَرءُ يَعْمىٰ عن مَنْ يُحِبُّ فإنْ ... أَقْصَرَ عن بَعْضِ ما به أَبْصَرْ

* * *

ما قام عمرو في الولا ... يةِ قائماً حتى قَعَدْ

* * *

كم تائهٍ بولايةٍ ... وبعَزْلِهِ يَعْدو البريدُ

* * *

أَكْرِمْ تَميماً بالهَوانِ فإنَّهُمْ ... إن أُكْرِموا فَسَدوا مِن الإكْرامِ

* * *

أَهِنْ عامراً تَكْرُمْ عليها فإنَّما ... أخو عامرٍ مَنْ مَسَّها بهَوانِ

* * *

في الناس إن فَتَّشْتَهُمْ ... مَنْ لا يُعِزُّكَ أو تُذِلُّهْ

* * *

---

(١) الحامي: الذي يحمي ويحرس. أي كل من تسلّح بالقوة وأعدّ لها العدّة رهبته الأعداء، والعكس بالعكس.

(٢) لم نجد (المصاع) ولعله الذي يجمع برأسه ويمتنع على الآخرين، من «صوَعَ الفرسُ» إذا جمح. واستركَ: ضعف وتخاذل. (لسان العرب [صوع] ٨/ ٢١٥).

(٣) خراش: اسم علم، وهو اسم أحد شعراء الهذليين.

(٤) كليلة: كسيرة تعبة.

وفي الشرّ نجاةٌ حيـ ـنَ لا يُنجيكَ إحسانُ

* * *

يُحَمْحِمُ للشعير إذا رآهُ ويَعبِسُ إن رأى وَجهَ اللِّجامِ[1]

* * *

يُواسي الغرابُ الذئبَ في أكل صيدِهِ وما صادَتِ الغربانُ في سَعَفِ النخلِ[2]

* * *

وطَنَّتُ نفسي عن خليليَ أنني متى شئتُ لاقيتُ امرءاً مات صاحِبُهْ

* * *

ولولا كَثرةُ الباكينَ حَوْلي على إخوانِهِمْ لقَتلْتُ نَفسي

* * *

أرى خَلَلَ الرمادِ وميضَ جَمرٍ ويُوشِكُ أن يكونَ له ضِرامُ[3]

* * *

أرىٰ جَذَعاً إنْ يُثْنَ لم يقْوَ رائضٌ عليه، فبادِرْ قبل أن ينثني الجِذْعُ[4]

* * *

وإنّي إذا أدعوكَ عند مُلِمَّةٍ كداعيةٍ بين القبور نَصيرَها[5]

* * *

وإني وإعدادي لِدَهري محمداً كملتَمِسٍ إطفاءَ نارٍ بنافِخِ

* * *

والمستجيرُ بعَمْرٍو عندَ كُرْبتِهِ كالمُسْتَجيرِ من الرَّمضاءِ بالنارِ[6]

* * *

طلبتُ بكَ التكثيرَ فازدَدْتَ قِلَّةً وقد يَخسَرُ الإنسانُ في طلَبِ الرِّبْحِ

* * *

(١) حمحم الحصان: صوت وغمغم. وهو يردّد صوته، تعبيراً عن حاجة ما.
(٢) سعف النخل: أغصان النخل.
(٣) ضرام: اشتعال.
(٤) الجَذَعُ: الصغير السن من الإبل وغيرها، والجِذْع (بالكسر) ساق النخلة.
(٥) ملمّة: مصيبة. أي لا حياة لمن تنادي.
(٦) الكربة: الحزن، الرّمضاء: شدّة الحرّ.

لَيسَ العطاءُ من الكَثير سَماحةً ... حتى تجودَ وما لديكَ قَليلُ[١]

* * *

إنما تُعرَفُ المواساةُ في الشّدْ (م) دِ لا حِينَ تَرخُصُ الأسعارُ

* * *

ما عابَني إلّا اللئا ... مُ وتلكَ مِنْ إحدىٰ المَناقِبْ[٢]

* * *

وإذا أتتْكَ مَذمّتي مِن ناقصٍ ... فهي الشهادةُ لي بأنّيَ كامِلُ

* * *

تَزوَّجَ يَرجو أنْ تَحطّ ذُنوبُهُ ... فعادَ وقد زِيدَتْ عليه ذُنوبُ

* * *

وخرجْتُ أَبغي الأجرَ محتَسِباً ... فرجعتُ موفوراً من الوِزْرِ[٣]

* * *

إذا مَحَاسِنيَ اللاتي أتيتُ بها ... عُدّتْ ذُنوباً فقلْ لي كيف أَعتَذِرُ

* * *

وكم مِنْ موقفٍ حَسَنٍ أُحيلتْ ... محاسِنُه فعادَ من الذنوبِ[٤]

* * *

أُعادِي على ما يُوجِبُ الحُبَّ للفتىٰ ... وأَهدأُ والأفكارُ فيّ تَجولُ

* * *

مَنْ لم يَعُدْنا إذا مَرِضْنا ... إن ماتَ لم نَشْهَدِ الجَنَازَهْ[٥]

* * *

وكم قائلٍ لو كانَ حُبُّكَ صادقاً ... لِبغدادَ لم تَرْحَلْ، فكانَ جَوابِيا

* * *

(١) السماحة: الجود.
(٢) المناقب الأفعال الكريمة.
(٣) الوزر: الحمل، الإثم.
(٤) أُحيلت المحاسنُ، مضى عليها زمن، فتحوّلت أو تغيّر وقعها أو خفّ.
(٥) عاد: زار في المرض.

يُقيمُ الرجالُ الموسِرونَ بأرضِهمْ وَيرْمي النوىٰ بالْمُقتِرينَ المرامِيا[١]

* * *

ومَنْ يَكُ مثلي ذا عيالٍ ومُقْتِراً من الزاد يَطرَحْ نفسَه كلَّ مَطْرحِ

* * *

أرَبٌّ يَبولُ الثُّعلبانِ برأسِهِ لقد ذَلَّ من بالَتْ عليه الثعالبُ[٢]

* * *

وكلُّ بازٍ يَمَسُّهُ هَرَمٌ تَخرىٰ على رأسِه العصافيرُ

* * *

لا يُؤيِسَنْكَ من كريمٍ نَبْوةٌ يَنْبُو الفتىٰ وهُو الجَوادُ الخِضْرِمُ[٣]

* * *

ولربما مَنعَ الكريمُ وما به بخلٌ ولكنْ سوءُ حظِّ الطالبِ[٤]

* * *

أُقلِّبُ طَرْفي لا أرىٰ غيرَ صاحبٍ يَميلُ مع النَّعماءِ حيثُ تَميلُ[٥]

* * *

إخوانُ صِدْقٍ ما رأوكَ بغِبْطةٍ وإذا افتقرْتَ هوىٰ بوُدِّكَ مَنْ هوىٰ[٦]

* * *

يُريدُ أن يَخطُرَ ما لم يَرَني فإذا أسمعتُهُ صوتي انْقَمَعْ[٧]

* * *

يُريكَ البشاشةَ عند اللقاءِ وَيَبْريكَ في الغَيبِ بَرْيَ القَلَمْ

* * *

---

(١) النوى: البعد. المرامي: المقاصد. أي يَسعدُ الأثرياء في إقامتهم ويبتئسُ الفقراء (المقْتِرون).

(٢) أورد ابن منظور في «اللسان»، وقبله الجوهري في «الصحاح» هذا البيت. وقد نُسب لعدد من الشعراء، لإثبات ورود الثُّعلُبان (بضم الثاء) مذكّراً والأنثى ثُعلَبَة. (لسان العرب [ثعلب] ١/ ٢٣٧).

(٣) نَبَا السيف: ارتدّ ولم يقطع. الخضرم: الكثير العطاء.

(٤) ربما تعسّر أو تعذّر على الكريم الجواد، العطاء، لا من البخل ولكن لسوء حظّ السائل.

(٥) النعماء: اليد المعطية الباذلة.

(٦) «هوى» الأولى: سقط ووقع، و«هوى» الثانية: أحبّ.

(٧) انقمع: جلس وحده واحتبس. ولا توافقَ عروضياً بين شطرَيْ البيت.

أبـنـاءُ نَـضـرٍ إنْ غِـبْـتُ قـد أكـلـوا لـحـمـي، وإمّـا حـضـرْتُ وَدُونـي[١]

* * *

إنَّ الـذيـن تـرَوْنَـهـم إخـوانَـكُـمْ يَـشْـفـي غـلـيـلَ قـلـوبـهِـمْ أنْ تُـصْـرَعُـوا

* * *

ذُلُّـهـا أظـهـرَ الـتـودُّدَ مـنـهـا وبِـهـا مـنـكُـمْ كـحـزِّ الـمَـواسـي[٢]

* * *

والـذلُّ يُـظـهِـرُ فـي الـذلـيـل مَـودَّةً وأوَدُّ مـنـه لِـمَـن يَـوَدُّ، الأرْقَـمُ[٣]

* * *

إذا ما قضيتَ الدَّيْنَ بالدَّيْن لم يكُنْ قـضـاءً ولـكـنْ ذاك غُـرْمٌ عـلى غُـرْمِ[٤]

* * *

لـو بِـغَـيْـر الـمـاء حَـلْـقـي شَـرِقٌ كـنـتُ كـالـغَـصَّـان بـالـمـاء اعـتـصـاري[٥]

* * *

كـنـتُ مِـن كُـرْبـتـي أفِـرُّ إلـيـهِـمْ فـهُـمُ كُـرْبـتـي، فـأيـن الـفِـرارُ[٦]

* * *

كُـلْ هـنـيـئـاً فـالـكـلـبُ يـزْدَرِدُ الـ ـعَظْمَ ولكنْ تَنْمى اسْتُه حين يَخرا[٧]

* * *

ولا تَـحْـسِـدِ الـكَـلْـبَ أكْـلَ الـعِـظـامِ فـفـي وقْـتِ إخـراجـهـا تَـرْحَـمُـهْ

* * *

إذا اعـتـادَ الـفـتـى خَـوْضَ الـمـنـايـا فـأهْـوَنُ مـا تَـمُـرُّ بـه الـوحـولُ[٨]

---

(١) ودُوني: دفعوا عني الدِّية؛ وهي مبلغ من المال يدفعه القاتل لوليّ القتيل. يريد أن هؤلاء القوم يأكلون لحمي بالغيبة والنميمة، وعند حضوري يؤدُّون لي ثمن «مقتلي» أثناء غيابي واغتيابي.

(٢) كحزّ المواسي: كقطع السكاكين.

(٣) الأرقم: أخبث الحيّات.

(٤) الغرم: ما يجب أداؤه من غرامة الدَّيْن.

(٥) شرق: غصّ. اعتصر: شربَ الماء قليلاً قليلاً ليُسيغ ما غصّ به من طعام.

(٦) الكربة: الحزن. الكمد.

(٧) يزدرد: يبتلع. استه: مخرجه.

(٨) الوحول: الطين الرّقيق. وهذا البيت للمتنبي في سيف الدولة. أي إذا اعتاد الإنسان خوض المهالك التي هي من أسباب المنايا، لم يبال بالوحول (شرح الواحدي جـ٣/١٠٩٥).

وَمَنْ ذا الذي تُرْضي سجاياهُ كلُّها كفى المرءَ نُبلاً أنْ تُعَدَّ مَعايِبُهْ

* * *

من عاشَ أخْلَقَتِ الأيامُ جِدَّتَهُ وخانَهُ بفناهُ السمعُ والبَصَرُ

* * *

ولا تُبْقي صروفُ الدهـ ـرِ إنساناً على حالِ

* * *

لقد أفلَحَ مَنْ عاش ثمانينَ وما أفلَحْ[1]؟؟

* * *

وما للمرءِ خيرٌ في حياةٍ إذا ما عُدَّ مِن سَقْطِ المتاعِ[2]

* * *

وقد تخرجُ الحاجاتُ يا أُمَّ مالِكٍ كرائمَ من رَبٍّ بهنَّ ضَنينُ[3]

* * *

ألَا ربما ضاقَ الفضاءُ بأهلِهِ وأمْكَنَ من بين الأسنَّةِ مَخْرَجُ[4]

* * *

قد يُدرِكُ الشَّرفَ الفتى ورِداؤهُ خَلَقٌ، وجَيبُ قميصِه مَرْقوعُ[5]

* * *

ولا تُهِنْ رَبَّ طِمْرٍ فالدارُ بالسُّكَّانِ[6]

* * *

سَبَكْناهُ ونَحْسَبُهُ لُجَيناً فأبدى الكِيرُ عن خُبْثِ الحديدِ[7]

* * *

(١) أفلح في أنه بلغ عمراً مديداً وعايش الدنيا طويلاً. لكنه لم يعد يمارس الحياة كما يشتهي بسبب العجز والتداعي.

(٢) المتاع: كل ما يُتمتَّع به من طعام وأثاث وسلعة. وسَقْطُ المتاع، الساقط التافه، الهامشيُّ، من المتاع.

(٣) كرائم المال: نفائسه. ضنين: حريص.

(٤) الأسنة: نصال الرماح.

(٥) خلق: رثّ مهلهل.

(٦) الطمر: الثوب البالي.

(٧) اللُّجين: الفضة، والكير: زقٌّ ينفخُ فيه الحدّاد.

لا تَحسبَنَّ دراهماً جَمَّعْتَها تَمحُو مخازِيَكَ التي بعُمانِ[١]

* * *

لأشكُرنَّكَ معروفاً هَمَمْتَ بِهِ إنَّ اهتمامَكَ بالمعروف مَعْروفُ

* * *

ما كان أَخوجَ ذا الكمالِ إلى عيبٍ يُوَقِّيهِ من العَيْنِ

* * *

أَوْلى الأُمور بضيعةٍ وَفَسَادِ أمرٌ يُدبِّره أبو عبَّادِ

* * *

وأَمرٍ يُدَبِّرُهُ صالحٌ فَأَخْلِقْ بسُرعةِ إدبارِهِ[٢]

* * *

فإلّا تَكُنْ أنتَ المُسيءُ بعينِه فإنَّكَ نَدْمانُ المسيءِ وصاحِبُهْ[٣]

* * *

كأنَّكَ لم تُسبَقْ من الدهر ليلةً إذا أنتَ أدركْتَ الذي كنتَ تطلبُ

* * *

إذا ما نَبَتْ بي أرضُ قومٍ تَركْتُها وسِرْتُ ولي منها ومن أهلها بُدُّ[٤]

* * *

ولا أُقيمُ بأرضٍ لا أَشُدُّ بها سَوْطي إذا ما اعترتْني سَوْرة الغَضَبِ[٥]

* * *

في سَعةِ الخافِقَيْن مُضطربٌ وفي بلاد من أختها بَدَلُ[٦]

* * *

شرُّ البلادِ مكانٌ لا صديقَ بهِ وشَرُّ ما يَكْسِبُ الإنسانُ ما يَصِمُ[٧]

* * *

(١) المخازي: الأعمال الشنيعة ذات العواقب المُذلَّة واحدتُها: مَخْزاةٌ، أو: خِزْي، على غير قياس.
(٢) أخلِقْ به: صيغة بمعنى: ما أجْدَرَه!.
(٣) النَّدمان: هنا: الصاحب والرفيق. وهو غير «النديم»: جليس الشراب وإن تضمن معناه.
(٤) نبتْ الأرضُ بساكنها، ضاقت به، فلم يعد يجد فيها الراحة والسكينة.
(٥) اعترتني: ساورتني. غمرتني. وسورة الغضب: الانفعال الشديد.
(٦) الخافقان: هما أُفق المشرق وأُفق المغرب.
(٧) يَصم: يَعيب.

مــن خُــلِــقَــتْ لــحــيــةُ جــارٍ لــهُ فــلْــيَــسْــكُــبِ الــمــاءَ عــلــى لِــحْــيَــتِهْ[١]

* * *

لا يُـــــدْبِـــــرُ الـــــبـــــقَّـــــالُ إلّا لِــصــالــحِ الــسِّــنَّــوْرِ والــفــارَهْ[٢]

* * *

مــا أثــبــتَ الــنــاس فــي أرزاقِــهــم ذاك عَــطْــشــانُ وهــذا قــد غَــرِقْ[٣]

* * *

لَــشتّــانَ مــا بــيــنــي وبــيــن ابــنِ خــالــدٍ أُمــيَّــةَ فــي الــرزق الــذي الــلَّــهُ يَــقْــسِــمُ

* * *

إنَّ مِــنَ الــحِــلْــم ذُلّاً أنــتَ عــارِفُــهُ والــحِــلْــمُ عــن قُــدْرةٍ فــضْــلٌ مــن الــكَــرمِ

* * *

وَعَــفَــفْــتُ عــن أثــوابــه ولــوَ آنّــنــي كــنــتُ الــمــقــصِّــرَ بــزّنــي أثــوابــي[٤]

* * *

كــفــىٰ حَــزَنــاً أنَّ الــجــوادَ مُــقَــتَّــرٌ عــلــيــه ولا مــعــروفَ عــنــد بــخــيــلِ

* * *

إذا كان من يُعطي فقيراً، وذو الغِنىٰ بخيلاً، فمَن ذا يُسْتَعان على الدهرِ؟

* * *

وغَــيــرُ تــقــيٍّ يــأْمــرُ الــنــاسَ بــالــتــقــىٰ طــبــيــبٌ يُــداوي والــطــبــيــبُ مــريــضُ

* * *

وصــفَ الــمــكَــارمَ وهــو فــيــهــا زاهــدٌ وأرىٰ الــجــمــيــلَ وفــيــه غــيــرُ تــعــاصِ[٥]؟

* * *

وقــد تُــدْرِكُ الــحــادثــاتُ الــجَــبــا نَ ويَــسْــلَــمُ مــنــهــا الــشــجــاعُ الــبَــطَــلْ

* * *

---

(١) المعنى: تهيأ، لقد حان دورك.

(٢) السنّور: الهرّ. وأدْبر ـ هنا ـ فَسَدَ.

(٣) في صدر البيت خلل عروضي، فتعذّر التشكيل المطلوب.

(٤) بزّني: سلبني.

(٥) كذا في الأصل. وفي النسخة الأخرى بعاص. وكلا اللفظين غامض. فلم نجد (تعاطى) و(لا تعاضى)!.

ومُستعجِبٍ مما يَرىٰ من أناتِنا ... ولو زَبنَتْه الحربُ لم يتبرَّمِ[1]

* * *

ولربما تَركَ الزيارةَ مُشفِقٌ ... وغدا على غَلٍّ الضمير الزائر[2]

* * *

إنَّ التباعدَ لا يَضُـ ... ـرُّ إذا تقارَبتِ القُلوبُ

* * *

وإنْ يَقْهروني حينَ غابَتْ عَشيرتي ... فَمِنْ عَجَبِ الأيامِ أن يَقْهروا مثلي

* * *

لو أنَّ في قلبي كَقدْرِ قُلامةٍ ... شَوْقاً، لزرْتُكَ أو أتَتْكَ رسائلي[3]

* * *

تَحمَّقْ مع الحَمْقىٰ إمَّا لَقِيتَهُمْ ... وكُنْ عاقِلا إمَّا لقِيتَ أخا عَقْلِ[4]

* * *

إن جئتَ أرضاً أهلُها كلُّهُمْ ... عُورٌ، فَغَمِّضْ عينَك الواحِدَهْ[5]

* * *

لَتَقْرعَنَّ عليَّ السِّنَّ من نَدَمٍ ... إذا تذكَّرْتَ يوماً بعضَ أخلاقي

* * *

إذا ترحَّلْتَ عن قومٍ وقد قَدَروا ... ألّا تفارِقَهمْ فالراحلون هُمُ

* * *

وفي الناس إنْ رثَّتْ حبالُكَ واصلٌ ... وفي الأرض عن دارِ القِلىٰ مُتحوَّل[6]

* * *

---

(١) زبن: صدم. تبرّم: تضجّر. والأناةُ: الحِلْم والوقار.

(٢) الغلُّ: المتقبِّض الجلد من مرض. أي ربما أحجم عن الزيارة من لا يحتملها، وقام بها المعتلُّ!

(٣) قُلامة الظفر: ما سقط من طرف الظفر. وجاءت: «شوقٌ» (بالرفع)، فَصَوَّبْناها.

(٤) في صدر البيت خلل عروضي. تصويبه بما يلي: (إذا ما) بدل «إمَّا». تحمَّق: اسْلُك سلوك الحمقى!.

(٥) أي أُنظره كما ينظرون، بعين واحدة، وكن مثلهم أعْوَر!

(٦) القلى هنا: البغض. أي لن تنقطع الصلات بين الناس. وهناك غير طريق نتجنب فيها البغض والأحقاد.

لا أُلفِينَّكَ بعد الموت تَندُبُني وفي حياتيَ ما زوّدتَني زادي[(١)]

* * *

تركَ الزيارةَ وهي ممكنةٌ وأتاكَ من مِصرٍ على جَملِ[(٢)]

* * *

فما بَقِيا عليّ تَرَكْتماني ولكن خِفتُما صرَّ النِّبالِ[(٣)]

* * *

اليومَ حاجتُنا إليكَ وإنما يُدعى الطبيبُ لساعةِ الأَوصابِ[(٤)]

* * *

إذا لم يَزلْ حبلُ القرينَينِ يَلْتوي فلا بدّ يوماً من قوّى أن يُجذَما[(٥)]

* * *

واحتمالُ الأذى ورؤيةُ جانيـ ـهِ غذاءٌ تَضوى به الأَجسامُ[(٦)]

* * *

وشِفاءُ ما لا تَشتهيـ ـهِ النفسُ تعجيلُ الفِراقِ

* * *

ليسَ مَنْ مات فاستراحَ بِمَيتٍ إنّما الميتُ ميّتُ الأَحياءِ

* * *

في الموت مِنْ ألمِ المذلّة راحةٌ إنّ الشقيّ حياتُهُ تَعذيبُ

* * *

لا أَعدُّ الإقتارَ عُدماً ولكنْ فَقْدُ مَنْ قد رُزِئتُهُ الإعدامُ[(٧)]

* * *

---

(١) زوّدَ: جهّز الزّاد واتخذه. أي كيف تقوم بالحزن عليّ بعد مماتي، وأنا ما عهدت منك لحظة وُدٍّ واحدة في حياتي.

(٢) لم يقم بزيارتك وهو قريب منك، فإذا به يتجشم زيارتك من بلاد النيل على جَمل. مثال من يُفوّت الفرص المتاحة ويتنكّب المسير في الأوقات العصيبة.

(٣) صرّ: ربط أو صوّت.

(٤) الأوصاب: الأوجاع. واحدها: وَصَب.

(٥) جذم: قطع. والقرينان: الصاحبان المقارنان، أو الزوجان.

(٦) تَضوَى: تضعف.

(٧) عُدماً: فقداناً. الإقتار: البخل. رُزِئته: ابتُليتُهُ.

قَـد يُـخـطِـئُ الـمُـغـتَـرُّ غِـرَّتَـهُ ... وَيـزِلُّ بـالـمـتـثـبِّـتِ الـنَّـعـلُ[١]

* * *

ربـمـا سرَّكَ الـبَـعـيـدُ، وأولاكَ الـ ... ـقَـريـبُ الـنَّـسـيـبُ شَـيْـنـاً وعـارا[٢]

* * *

ربَّ غـريـبٍ نـاصـحِ الـجَـيْـبِ ... وابـنِ أبٍ مـتَّـهـمِ الـغَـيْـبِ[٣]

* * *

نَصَحْنا فلم نُفْلِحْ وغَشُّوا فأَفْلَحوا ... وأنـزَلَـنـي نُـصْـحـي بـدار هَـوانِ

* * *

ألا رُبَّ نُـصْـحٍ يُـغْـلَـقُ الـبـابُ دونَـه ... وغـشٍّ إلى جـنـب الـسـريـر يُـقرَّبُ[٤]

* * *

لا يُـغْـرَنَّـكَ عَـيْـشٌ سـاكِـنٌ ... قـد تـوافـي بـالـمـنـيَّـات الـسَّـحَـرْ[٥]

* * *

قـد يـنـامُ الـفـتىٰ صـحـيـحاً فَـيَـردىٰ ... ولـقـد بـات آمِـنـا مَـسْـرورا[٦]

* * *

وما يُوجِعُ الحرمانُ مِن كفِّ حازمٍ ... كـمـا يُـوجِعُ الـحـرمـانُ من كفِّ رازقِ

* * *

إنَّـا لَـفـي زمَـنٍ تَـرْكُ الـقـبـيـحِ بـه ... من أكثر الـنـاسِ إحـسانٌ وإجـمالُ[٧]

* * *

قـلَّ مِـن خَـيْـركـم نَـصـيـبـي ولـكـنْ ... أنـا مِـنْ شَـرِّكُـمْ كـثـيـرُ الـنـصـيـبِ

* * *

وضـعـيـفـةٍ فـإذا أصـابَـتْ فـرصـةً ... قَـتَـلَـتْ، كـذلـك قُـدْرةُ الـضـعـفـاءِ

* * *

---

(١) غِرّته: غفلته والمثبّتُ: الواثق. النعل: الحذاء.

(٢) الشين: العار والعيب.

(٣) فلان ناصح الجَيْب: أمين. ومتَّهم الغيب، الذي لا يؤتمن في الغياب.

(٤) ورب ناصحٍ تُصَمُّ الآذان حياله، ومُراوغٍ يدخل معك غرفة النوم لشدة ارتياحك له.

(٥) قد توافيكَ المنيَّةُ في أوقات السَّحر، حَيث السكينة التامة.

(٦) يردى: يموت (من الرّدى) الموت. (٧) الإجمال: التحسينُ والإجادة.

فإنَّكَ لم يَفْجُرْ عليكَ كفاجرٍ ضعيفٌ، ولم يَغْلِبْك مثلُ مغلَّبِ

* * *

تُغَطّي بجلبابٍ لها حُرَّ وَجْهِهَا وتُبْدي أَسْتَها؛ هذا الحياءُ المخالِفُ(١)

* * *

مُستحيلُ المعنى: يُصلّي إلى الحُـ ـشِّ ويَنخرا في جانبِ المحْرابِ(٢)

* * *

والمرءُ ما شَغَلتْه فرصةُ لَذَّةٍ ناسي العواقبِ آمنُ الحَدَثانِ(٣)

* * *

ولَرُبَّ لذةِ ساعةٍ قد أورثتْ حُزناً طويلا

* * *

كلُّ شيءٍ إذا تناهى تَواهَى وانتقاصُ البدورِ عند التَّمامِ(٤)

* * *

أَبلَغُ ما يُطْلَبُ النجاحُ به الـ ـطبْعُ وعند التعمُّقِ الزلَلُ

* * *

أَيَذْهَبُ يومٌ واحدٌ، إن أسأْتُه، بِصالحِ أيامي، وحُسْنِ بَلائي؟

* * *

فإنْ يكُنِ الفعلُ الذي ساء واحداً فأفعالُه اللاتي سرَرْنَ، أُلوفُ

* * *

لا تكسحِ الشول بأغبارها إنك لا تَدْري من الناتجِ(٥)

* * *

ليس مَنْ لم تَكُنْ له نخلةٌ يُحْرَمُ الرُّطَبْ

* * *

---

(١) الإست: المؤخّرة والقفا. وقصد بالحياء المخالف: أي المقلوب، بحيث تكشف عورتها من الخلف، وتَسْتر وجهها.

(٢) الحُشّ: الغائط، موضع قضاء الحاجة.

(٣) الحدثان: الصّروف والنوائب.

(٤) المعنى: كل شيء ينتهي ويختفي؛ والبدر، بعد تمامه ينقص.

(٥) كسَحَ: كنَس. وهي هنا: كشط اللبن وهو الشّول: بقيّة اللبن في الضّرْع. الناتج: الذي يقوم بتوليد الناقة.

وما نَفْعُ مَنْ قد ماتَ بالأمس صاديا إذا ما سماءُ اليومِ طال انْهِمارُهَا[١]

* * *

رأيتُ النفسَ تَكرَهُ ما لديها وتَطلُبُ كلَّ مُمْتَنِعٍ عليها

* * *

لولا طِرادُ الصيدِ لم تَكُ لَذةٌ فتَطارَدي لي بالوِصالِ قليلا[٢]

* * *

جَرىٰ طَلِقاً حتى إذا قيل: سابِقٌ تَداركَهُ عِرقُ اللئامِ فبَلَّدا[٣]

* * *

وأَدرَكْنَه خالاتُه فخَذَلْنَه ألا إنَّ عِرقَ السوء لا بُدَّ مُدرِكُ

* * *

إذا رام التخلُّقَ جاذَبَتْهُ خلائِقُه إلى الطبْعِ اللئيمِ[٤]

* * *

وأَسرعُ مفعولٍ فَعلْتَ تَغيُّراً تَكلُّفُ شيءٍ، في طباعِكَ ضِدُّهُ[٥]

* * *

ومِمَّا يَقتُلُ الشعراءَ غَمًّا عَداوةُ مَنْ يَقِلُّ عن الهِجاءِ

* * *

إذا أَتتِ الإساءةُ من وَضيعٍ ولم أَلُمِ المُسيءَ فمَنْ أَلومُ؟

* * *

رُبَّ يومٍ بَكَيتُ منه، فلمَّا صِرتُ في غيره، بكَيتُ عليهِ

* * *

وما مَرَّ يومٌ أَرتَجي فيه راحةً فأُخبِرَهُ أَنْ لا بكَيتُ على أَمسِ

* * *

أتى الزمانَ بنوه في شَبيبتِهِ فسرَّهُمْ وأَتَيناهُ على الهَرَمِ[٦]

---

(١) الصّادي: العطشان. وانهمار المطر: سقوطه بغزارة.
(٢) تطاردي لي: دعيني أطارد وصالك لعلّي أبلغ قلبك!
(٣) بلّد: أصبح بليداً. بطيئاً. والطلق: المنطلق.
(٤) التخلُّق: التحلّي بالأخلاق الحميدة. وجاذبته: نازعته.
(٥) أسرع ما تنقلب الأمور إلى غير ما هي عليه، إقدامُ المرء على فعْل نقيضِ ما هُيِّئ له.
(٦) أي أن أبناء الأمم السالفة كانوا في جدّة الدهر وبداياته، فسرّهُمْ. ونحن أتينا الزمان وقد صار خَرِفاً.

فإنْ يكُ عَتَّابٌ مضى لسبيلِهِ ... فما ماتَ مَن أبقى له مثلَ خالدِ

* * *

قد كنتُ مِن حقي على ثقة ... حتى رأيتُك دونهم خَصْمي

* * *

والمرءُ لا يُرتَجى النجاحُ له ... يوماً إذا كان خصمَهُ القاضي

* * *

يَحْلُبُ غيري وأكونُ الذي ... يَرضى مِن العَنزِ بقَرنَيْنِ[(١)]

* * *

ولستُ كمن يَرضى بما غيرُه الرضى ... ويَمْسحُ رأسَ الذئب والذئبُ آكِلُهْ

* * *

إذا المالُ لم ينفعكَ إلّا بخَزْنِهِ ... فبَرُّ بلادِ اللّهِ مالُكَ والبَحْرُ

* * *

أنتَ للمالِ إذا أمسَكْتَهُ ... فإذا أنفقْتَهُ فالمالُ لَكْ

* * *

وَمن يُنْفِقِ الساعاتِ في جمع مالِهِ ... مخافَةَ فَقْرٍ، فالذي فَعَل: الفَقْرُ

* * *

وألَذُّ ما أهواهُ والموتُ دونَهُ ... كشاربِ سُمٍّ في إناءٍ مُفَضَّضِ[(٢)]

* * *

فلا شغل عنّا باعتذارٍ فإنّما ... تُنَاطُ بكَ الآمالُ ما اتّصلَ الشُغُلُ[(٣)]

* * *

وأنتَ كمثلِ الجوزِ يَمْنَعُ خُبْرَهُ ... صحيحاً ويُعطي خبرَه حينَ يكْسَرُ[(٤)]

* * *

= فلم نَجِد عنده ما يسَرُّنا (شرح الواحدي جـ٤/ ص١٩٣٣) والبيت للمتنبي يرثي فيه فاتكاً الرومي، أحد قواد كافور.

(١) قصد أن الخير الذي يسهر المرء لأجله يذهب لغيره، ولا يبقى له شيء يذكر.

(٢) مفضض: مرصّع بالفضة.

(٣) تناط: تُعلّق.

(٤) أي لا نستطيع معرفة ما في الجوزة واختبارها (خُبْره) إلّا حين كسرها.

قُلْ لِلَّذي يَحْفِرُ بِئْرَ الرَّدَى هَيِّئْ لِرِجْلَيْكَ مَراقِيها[١]

* * *

ومن يَحْتَفِرْ في الشرِّ بئراً لِغَيْرِهِ يَبِتْ هو فيها، لا مَحالةَ واقِعْ[٢]

* * *

ولمَّا لم نَنَلْ مِنهم سُروراً رأينا فيهمُ كلَّ السُّرورِ

* * *

وأفضلُ مِن نَيْلِ الوزارةِ للفتىٰ حياةٌ تُريه مصرعَ الوُزَراءِ

* * *

وتَفرَّقوا فِرَقاً فكلُّ قبيلةٍ فيها أميرُ المؤمنينَ ومِنْبَرُ

* * *

لا يَحْمِلُ المِنبرُ رِدفاً ولا يَصْلُحُ مُلْكٌ بين إثْنَيْن[٣]

* * *

عَصَيْتُ عَواذلي وشَفَيْتُ نفسي وقد يَعْصي لِلَذَّتِهِ الأَريبُ[٤]

* * *

واسْتَبَدَّتْ مَرَّةً واحِدةً إنَّما العاجِزُ من لا يَسْتَبِدّ

* * *

أُريدُ رجوعاً نَحْوكم فيَصُدُّني إذا رمْتُهُ، دَيْنٌ عليَّ ثقيلُ

* * *

وأَوْبَةُ مشتاقٍ بغيرِ دَراهِمٍ إلى أهلِه من أعظمِ الحدَثانِ[٥]

* * *

ما آبَ من آبَ لم يَظفرْ بحاجَتِهِ ولم يَغِبْ طالبٌ للنُّجْحِ لم يَجُبِ[٦]

* * *

(١) المراقي: الدرجات، جمع مِرْقاة. أي فكِّر في الصعود من البئر، بتطهير نفسك. وإلّا دُفِنْتَ في البئر المحفور، أي في حُفَر خطاياك.

(٢) قول معادِلٌ للمثل المعروف: من حفَر حفرةً لأخيه وقع فيها.

(٣) الردف: التابع.

(٤) الأريب: ذو العقل.

(٥) الأوبة: الرجعة، وما أصعبَ رجوع المهاجر إلى أهله خالي الوفاض.

(٦) الذي خرج مسافراً في طلب حاجة وعاد من دونها، كأنما هو في غياب متصل. كذلك هي حال الذي غاب عن موطنه من أجل النجاح، ولم يجُب بلاداً ويغامر في التنقل والترحال.

قد يُدرِكُ المُتَأنّي بعضَ حاجتِهِ ... وقد يكونُ مع المُستعجِلِ الزَّلَلُ

* * *

أردتَ ضِراري فاعتمدْتَ مَسرّتي ... وقد يُحسِنُ الإنسانُ من حيث لا يَدْري

* * *

رُبَّ أمرٍ أتاكَ لا يُحمَدُ الفُعّا ... لُ فيه وتُحمَدُ الأفعالُ(١)

* * *

ومطروفةٍ عيناهُ عن عَيبِ نفسِهِ ... فإنْ بانَ عَيبٌ من أخيهِ تَبصَّرا(٢)

* * *

ما بالُ عينِك لا ترىٰ أقْذاءَها ... وترى الخَفِيَّ من القَذَىٰ بجُفوني(٣)

* * *

ومَن جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ ... يَرىٰ غيرُهُ منه ما لا يَرىٰ

* * *

فلا يُبْعِدِ اللّهُ الشبابَ وَقَوْلَنا ... إذا ما صَبَوْنا صبوةً، سنتوبُ

* * *

إذا ما أهانَ امرؤٌ نَفْسَهُ ... فلا أكرمَ اللّهُ مَن يُكْرِمُهْ

* * *

ما كنتَ إلا كلَحْمِ مَيْتٍ ... دعا إلى أكلِهِ اضطِرارُ

* * *

ألا قاتلَ اللّهُ الضرورةَ إنها ... تُكلِّفُ أعْلا الخَلْقِ أدنىٰ الخلائقِ(٤)

* * *

غيرَ اختيارٍ، قَبِلْتُ بِرَّكَ بي ... والجوعُ يُرضي الأُسودَ بالجِيَفِ

* * *

كمجهودٍ تحامىٰ أكلَ ميتٍ ... فلمّا اضطُرَّ عادَ إليه شَدّا

* * *

---

(١) وردَ البيت، بصيغة المعلوم كما يلي: «. . . يحمدُ الفعّالَ» و«تحمَدُ الأفعالَ» ولم نُسَغْ ذلكَ، فصوّبْناه.

(٢) مطروفة: مصابة بشيء، فهي دامعة. كنى بذلك عن غضّه عن رؤية عيوبه، وبحثه السافر عن عيوب أخيه.

(٣) الأقذاء: جمع. قذى: القشة في العين.

(٤) تكلّف: تحمّل. أي بئس الضرورة التي تضطرُّ كبار النفوس سلوك أذِلّاء الناس.

فـعُـدْنـا لـم نـصِـدْ شـيـئـاً ... ومـا كـان لـنـا أفـلَـتْ

* * *

إذا كنتَ في أرضٍ وحاولْتَ تركَها ... فدَعْها، ومنها إنْ رجعْتَ مَعَادُ[١]

* * *

وإنْ جَلَّ ما خوَّلْتَني يداكَ ... فإنَّ الكَرامةَ عندي أجَلُّ

* * *

وما منزلُ اللَّذاتِ عندي بمَنزِلٍ ... إذا لم أُبَجَّلْ عنده وأُكَرَّمِ

* * *

إذا صحَّ منك الوُدُّ فالمالُ هَيِّنٌ ... وكلُّ الذي فوق الترابِ تُرابُ

* * *

جزاكَ الآلهُ عن النصحِ خيراً ... ولكنْ جاء في الزمنِ الأخيرِ[٢]

* * *

إساءةُ دهرٍ ذكَّرتْ حُسْنَ فِعْلِهِ ... إليَّ، ولولا الشَّرْيُ لم يُعْرَفِ الشُّهْدُ[٣]

* * *

والحادِثاتُ وإنْ أصابَكَ بؤسُها ... فهو الذي أنباكَ كيف نَعيمُها

* * *

وليستْ فَرحةُ الأَوباتِ إلّا ... لموقوفٍ على تَرَحِ الوداعِ[٤]

* * *

إنَّ آثارَنَا تَدُلُّ علينا ... فانظُرُوا بعدَنا إلى الآثارِ

* * *

أخلِقْ بذي الصَّبرِ أنْ يَحظىٰ بحاجَتِهِ ... ومُدْمِنِ القَرْعِ للأبوابِ أنْ يَلِجا[٥]

* * *

---

(١) معاد: رجوع.

(٢) عجز البيت من وزن شعري مغاير أو مختلف عمّا هو عليه صدر البيت. كأنما هما شطران منتزعان من قصيدتين مختلفتين.

(٣) الشرى: الشَّرْيُ: العلقم أو الحنظل. والشهد: العَسَل.

(٤) الأوبات: واحدتها. أوبة: عودة. من آب يؤوب. والترح: الحزن. نقيض الفرح.

(٥) أخلق: أجْدَرُ و«يلجا» يدخل بعد فتح الأبواب.

وإنـي لأدري أنَّ فـي الـصـبـر راحـةً ... ولكنَّ إنفاقي على الصبر من عُمري

* * *

إذا الشـافِعُ استَقْصى لكَ الجهدَ كلَّهُ ... وإنْ لم يَنَلْ نُجحاً، فقد وَجَبَ الشكرُ[1]

* * *

وعـلـيَّ أنْ أسـعـى ولـيـس عـلـيَّ إدراكُ الـنـجـاحِ

* * *

إذا بَـرِمَ الـمـولـى بـخـدمـة عَـبْـدِهِ ... تَجنَّى له ذَنباً وإن لـم يكـنْ ذَنْبُ[2]

* * *

وقـال الـسُّهى لـلشـمس أنتِ خَفيَّةٌ ... وقـال الدجى للصبح لَونُكَ حائِلُ[3]

* * *

حسْنُ الرجالِ بِحُسْنَاهم وفَخْرُهُمُ ... بطَوْلِهِمْ في المَعالي لا بطُولِهِمِ[4]

* * *

وما الحُسْن في وجهِ الفتى شَرَفاً له ... إذا لـم يكـن فـي فِـعْـلِهِ والـخَلائِقِ[5]

* * *

وجَـعـلْـتُ حـبَّـكَ شـافـعـي ... فـأتـيـتُ مـن قَـبْـلِ الـشَّـفـيـعِ

* * *

والـعـاقِـلُ الـنِّـحْـريـرُ مـحـتـاجٌ إلـى ... أنْ يَـسْـتـعـيـنَ بـجـاهِـلٍ مـعـتـوهِ[6]

* * *

أتَـتِ الـبِـشَـارَةُ والـنَّـعـيُ مـعـاً ... يـا قُـرْبَ مَـأتـمِـنـا مـن الـعُـرْسِ

* * *

وأتـانـا الـنَّـعـيُ مـنـكَ مـع الـبُـشْـرى فـيـا قُـرْبَ أوبـةٍ مِـنْ ذَهـابِ[7]!

---

(١) الشافع: المُعين الوسيط في فعل الخير.

(٢) بَرِمَ: مَلَّ وسئم: أي إذا أنفَ السيد عن خدمة عبده وخادمه، تراءى له أن عبده مذنب وإن كان بريئاً.

(٣) السهى: كوكب خفي من بنات نعش الصغرى، يمتحن به الناس أبصارهم. حائل: باهت.

(٤) طَوْلهم: بلوغهم وإدراكهم. والحُسْنى: الأعمال الحسنى.

(٥) الخلائق: مفردها: خليقة: السجيّة والخُلُق.

(٦) النحرير: الحاذق الماهر.

(٧) النعي: نبأ الموت، البشر: البشارة والخبر المفرح.

قد يُنعِمُ الله بالبَلوىٰ وإن عظُمَتْ ... وَيبتلي اللّهُ بعَضَ القومِ بالنِّعَمِ

* * *

عَنِ المَرْءِ لا تَسأَلْ وسَلْ عن قَرينِهِ ... فإنَّ القرينَ بالمقَارِنِ مُقْتَدِ[١]

* * *

مَنْ ذا الذي يَخفَىٰ عليـ ... ـكَ إذا نظرتَ إلى قَرينِهْ؟

* * *

ولا تَعذِراني في الإساءةِ إنهُ ... لئيمُ الرجالِ، مَن يُسيءُ فيُعذَرُ؟

* * *

أيُّ عذرٍ لعاقلٍ؟ إنما يُعذَـ ... ـرُ فيما يكونُ منهُ الجهُولُ؟

* * *

تَرجو الوليدَ وقد أعياكَ والِدُهُ ... وما رجاؤك بعدَ الوالدِ الوَلَدُ؟

* * *

إذا لم يكن عَونٌ مِن الله للفتىٰ ... فأكثَرُ ما يَجْني عليه اجتهادُهُ

* * *

وظُلمُ ذَوي القُربىٰ أَشَدُّ مَضاضةً ... على الحُرِّ من وَقْعِ الحسامِ المُهنَّدِ

* * *

ولم تَزلْ قِلَّةُ الإنصافِ قاطِعةً ... بينَ الرجالِ، ولو كانوا ذوي رَحِمِ

* * *

لا أُبالي أبثَّ بالحزن بَيْنٌ ... أم لَحاني بظهرِ غيبٍ لئيمُ[٢]

* * *

تَرجُو غداً وغدٌ كحاملةٍ ... في الحي لا يَدرونَ ما تَلِدُ[٣]

* * *

تُريدينَ أنْ أرضىٰ وأنتِ بخيلةٌ ... ومَنْ ذا الذي يُرضي الأخلَّاءَ بالبخلِ؟

* * *

---

(١) القرين: المصاحب، المعاشر، وفي بعض الروايات: «فكلُّ قرينٍ بالمقارنِ».

(٢) لحاني: لامني وعذلني.

(٣) استخدم «حاملة» مؤنثاً، للضرورة الشعرية، وصوابها: التذكير (حامل) أي المرأة الحُبلى.

ولستُ بنظّارٍ إلى جانب الغنى ... إذا كانت العلياءُ في جانبِ الفقرِ[١]

* * *

وإذا الحبيبُ أتى بذنبٍ واحدٍ ... جاءت محاسِنُهُ بألفِ شفيعِ

* * *

لا تُهِنّي بَعْد إكرامِكَ لي ... فشديدٌ عادةٌ مُنتزَعَهْ

* * *

فمَن ليَ بالعَينِ التي كنتَ مرّةً ... إليَّ بها في سالف الدهر تَنظُرُ؟

* * *

رأيتُ حياةَ المرء تُرخِصُ قَدْرَهُ ... فإنْ ماتَ أغلتْهُ المنايا الطوائحُ[٢]

* * *

وحَلاوةُ الدنيا لِجاهِلِها ... ومرارةُ الدنيا لِمَنْ عَقَلا

* * *

وأنتَ امرؤٌ منّا خلِقتَ لغيرِنا ... حياتُك لا تُرجى وموتُك فاجِعُ

* * *

وأُقسِم لو رؤيتَ سيفَكَ مِنْ دمي ... لأَوْرَقَ بالوَدِّ الصريحِ وأَثْمَرا

* * *

سَعيدُ الدارِ خيرٌ من أبيهِ ... وكلبُ الدار خيرٌ من سَعيدِ

* * *

وعَنانُ خيرٌ منهمُ ... والكَلْبُ خيرٌ من عنانِ

* * *

وما شيءٌ بأثقَلَ وَهوَ خِفٌّ ... على الأعناقِ من مِنَنِ الرجالِ[٣]

* * *

مِنْ ظُلْمِهِ جارَ على نَفْسِهِ ... كيفَ أُرَجّي حُسْنَ إنصافِهِ؟

* * *

(١) لن أسعى إلى جمع المال والجاه إذا كان المجد إلى جانب الفقراء.

(٢) الطوائح: المجتاحة. المُهلكة. أي ينظر إليه بعد الموت نظرة تقدير وتمجيد.

(٣) خفّ: خفيف. والمنن، ج مِنّة، المعروف والفضل. والمقصود هنا، التذكير بالفضل والتشهير به.

تقولُ سُلَيمىٰ: لو أقمتَ بأرْضِنا ولم تَدْرِ أني للمُقامِ أطوفُ

* * *

فإذا الزمانُ كساكَ حُلَّةَ مُعْدِمٍ فالْبَسْ لها حُلَلَ النوىٰ وتَغَرَّبِ[1]

* * *

فهمُّكَ فيها جِسَامُ الأمورِ وهَمُّ لِدَاتِكَ أنْ يَلعبوا[2]

* * *

الحُرُّ حُرٌّ وإنْ تعدَّتْ عليهِ يوماً يَدُ الزمانِ

* * *

وطالما أُصْلِيَ الياقوتُ جَمْرَ غَضَا ثم انطفا الجمرُ والياقوتُ ياقوتُ[3]

* * *

قد ظلمناكَ بحُسنِ الـ ـظَّنِّ يا أبغضَ الأنَامِ[4]

* * *

أسأتُ إذْ أحسنتُ ظنّي بكُمْ والحزمُ سوءُ الظنِّ بالناسِ

* * *

ما نُبالي إذا بقيتَ سليماً مَنْ تولَّتْ به صُروفُ الليالي

* * *

وأنتَ شريكُ الذئبِ في أكْلِ شاتِهِ وإنْ وثَبَ الراعي وثبتَ مع الراعي[5]

* * *

شكوتُ وما الشكوىٰ لمثليَ عادةٌ ولكنْ تَفِيضُ العَينُ عند امتلائها[6]

* * *

وإذا بَدا سرُّ اللبيبِ فإنَّهُ لم يَبْدُ إلّا والفتىٰ مغلوبُ[7]

---

(١) النوى: الفراق: والحُلَّة: الثوب. والمُعدِم: الشديد الفقر.

(٢) اللدات: الأتراب. من اللِّدَة: الذي وُلد مع آخَر، في وقت واحد.

(٣) الغضا: الواحدة منه غضاة. شجر خشبه من أصلب الخشب، وجمره يبقى طويلاً لا ينطفئ.

(٤) عجز البيت مختلف عروضياً عن صدره.

(٥) الشاة: النعجة.

(٦) فاض بي الحزن والاكتئاب، فخرجتُ عن طوري وطبيعتي.

(٧) اللبيب: الفطن. وهو شبيه بمعنى البيت السابق.

والـعُـمـرُ مـثـلُ الـكـأسِ يَـرْ سُـب فـي أواخـره الـقـذىٰ[1]

* * *

ولا يَـمـوتُ شـجـاعٌ مـوتَ عـافـيـةٍ في الحرب تذهبُ نفسُ الفارسِ البطلِ[2]

* * *

ومـن الـحَـزامَـةِ لـو تـكـون حَـزامـةٌ ألّا يـؤخِّـر مَـنْ بـه يُـتـقـدَّمُ[3]

* * *

وفي الـصـمـتِ سَـتْـرٌ لِـلْـعَـيِـيِّ وإنـمـا صـفـيـحـةُ لُـبِّ الـمـرءِ أنْ يَـتَـكـلَّـمـا[4]

* * *

إنَّ مَـنْ نـاكَ مِـنْ قـيـامٍ فـلا تُـنْـ ـكَـرُ يـومـاً صَـلاتُـه مِـنْ قُـعـودِ[5]

* * *

جـرَّبْـتَ فـي نـفـسِـكَ سُـمَّـا فـمـا أحـمـدْتَ تَـجْـريـبـكَ لـلـسـمْ[6]

* * *

قُـلْ مَـنْ يَـنْـقـادُ لـلـنَّـحـ (م) ـوِ ومَـنْ يُـصْـغـي إلـيـهِ

* * *

يَـأبـىٰ الـفـتـىٰ إلّا اتِّـبـاعَ الـهَـوىٰ وَمَـنْـهَـجُ الـحـقِّ لـه واضِـحُ

* * *

ومـتـىٰ أدعُـهـا لـكـأسٍ مـن الـمـا ءِ أتَـتْـنـي بـصَـحْـفـةٍ مـن زَبـيـبِ[7]

* * *

وإذا الـكـريـمُ تَـقَـطَّـعـتْ أسـبـابُـهُ لـم يَـعْـتَـلِـقْ إلّا بـحَـبْـلِ كَـريـمِ[8]

* * *

(١) القذى: القشة في قعر الكأس. أي النهايات المضطربة المشوبة بالنغص والعذاب.

(٢) أي لا يموت الشجاع البطل حتف أنفه، وعلى الفراش، بل وهو في غمرة القتال والنضال.

(٣) الحزامة (بالفتح) الحَزْمُ.

(٤) العَييُّ: العاجز.

(٥) إنّ من قدرَ على فعل شيء متعسِّر، يستطيع فعله وهو في وضع غير مناسب.

(٦) أحمدْتَ: جعلْتَهُ محموداً.

(٧) الصَّحْفة: القصعة: أو الصحن، جمع صِحَان.

(٨) أسبابه: مودّاته. واعتلق: تعلّق.

وما الناسُ إلّا الرَّقُّ، منه مَصاحِفٌ ومنهُ بأعناقِ القِيانِ طُبُولُ[1]

* * *

مَثلٌ خلَفتُ على الزمانِ رداءَهُ عَوزُ الدراهمِ آفةُ الأَجوادِ[2]

* * *

وكلُّ أذًى فمَضبورٌ عليهِ وليس على قَرينِ السوءِ صَبْرُ[3]

* * *

ومِنْ نَكَدِ الدنيا على الحُرِّ أنْ يَرىٰ عَدوًا لهُ ما مِن صَداقَتِهِ بُدُّ[4]

* * *

كُتِبَ القَتلُ والقِتالُ علينا وعلى الغانياتِ جَرُّ الذيولِ[5]

* * *

لم يَخلُقِ اللَّهُ مسجوناً تُسائِلهُ: ما بالُ سِجنك إلّا قال: مَظلومُ

* * *

رأَوْهُ فازْدَرَوْهُ وهوَ خُرقٌ وَينفعُ أهلَهُ الرجلُ الذَميمُ[6]

* * *

لا تَحقِرَنَّ شَبيباً كم ساقَ خيراً شَبيبُ

* * *

ما استقامتْ قناةُ رأيِيَ إلّا بعدَ ما عوَّجَ الزمانُ قَناتي[7]

* * *

فيا مُوقِداً ناراً لِغَيرِكَ ضوءُها ويا حاطِباً في حَبْلِ غَيرِك تَحطِبُ

* * *

(١) الرَّق: (بالفتح) الجلد يكتب فيه. والقيان واحدها: قَيْنة: الجارية المغنّية. والقَيْنةُ أيضاً، هي الأمة البيضاء. هكذا قيّده ابن السكيت، مغنية كانت أو غير مغنية.

(٢) المثل المطروح هو: أخطر ما يواجه الفتى الجواد، قلّةُ ذاتُ اليد.

(٣) قرين السُّوء: المصاحِبُ الجليسُ.

(٤) النكدُ: كل شيء جرّ على صاحبه شراً وضيقاً وفساداً.

(٥) الغانيات: النساء الجميلات. وجرُّ الذيول، كناية عن الغنج والدلال والتبختر.

(٦) خرق: حُمْق. الذميم: القبيحُ.

(٧) كناية عن التجارب المريرة والنكسات المتتالية.

وما يَنفَعُ المَرموسَ عمرانُ قبرِهِ إذا كان فيه جِسْمُه يتهدَّمُ[١]؟

* * *

يَذمُّونَ دُنيا لا يَغِبُّونَ درَّها ولم أرَ كالدنيا تُذَمُّ وتُحلَبُ[٢]

* * *

لستُ بالناسِك المُشمِّرِ ثَوبَيه ولا الماجِنِ الخَليعِ الوَقاحا[٣]

* * *

ولِلَّهِ مني جانبٌ لا أُضيعُهُ وللَّهوِ منّي والبِطالةِ، جانِبُ

* * *

إنَّما يُذْخَرُ الما لُ لِحَاجاتِ الرجالِ

* * *

إنما تُذخَرُ الدمو عُ لوقتِ الشدائدِ

* * *

إنَّ مَنْ جرَّب الأُمورَ فلن يُلْـ ـدَغُ مِن جُحرِ حَيَّةٍ مرَّتَينِ[٤]

* * *

لو كما تَنقُصُ تَزدا دُ إذاً نِلتَ السماءَ

* * *

لو كما تَجهَلُ تَدري كنتَ لِلَّهِ نبيّا

* * *

ومَنْ ذا الذي في غايةٍ ليس نفسُه إلى غايةٍ أُخرىٰ سواها، تَطلَّعُ

* * *

إنَّ سِرًّا يُصانُ عند زيادٍ لَمُضاعٌ كالماء في الغِربالِ

---

(١) المرموس: المدفون تحت التراب، ولا أثر لقبره على وجه الأرض.

(٢) الغبُّ: أن تَرِدَ الإبلُ الماءَ يوماً وتدَعَه يوماً. و(لا يغبون) من قولهم: لا يَغبُّنا عطاؤه، أي لا يأتينا يوماً دون يوم، بل يأتينا كلَّ يوم. والدَّرُّ: اللبنُ، تسميةً بالمصدر. شبَّه الدنيا بالبقرة الحلوب، التي يُستدرُّ حليبها من غير شكر ولا تقدير.

(٣) الماجن الخليع: المتهتِّك الذي يستحلُّ كلَّ شيء في سبيل لذَّته. والوَقّاح: الوَقِح، نُصبت خبراً لِـ«لَستُ».

(٤) مأخوذ من الحديث النبوي الشريف: «لا يُلدَغُ المؤمنُ من جُحرٍ مرَّتين» أي لا يصاب بخديعة أو إساءة معيَّنة، مرَّتين، إذ لا بدَّ له من الاتِّعاظ في المرة الأولى.

بـــاب

أعـجـاز الأبـيـات

إذا اللّهُ سَنى[١] حلَّ عَقْدٍ تَيسَّرا

* * *

من أَحْسَنَ الظَنَّ بالرحمٰنِ لم يَخِبِ

* * *

وأَضيقُ الأمرِ أدناهُ إلى الفَرجِ

* * *

فبينما العُسْرُ إذ دارتْ مَيَاسِيرُ[٢]

* * *

يَدٌ تَشُجُّ وأُخرىٰ منه تَأْسوني

* * *

ما أَشْبَهَ الليلةَ بالبارِحَة

* * *

وكلُّ إناءٍ بالذي فيه يَنْضَحُ

* * *

وَينطِقُ بالعَوراء مَنْ كانَ مَعْوَرًا[٣]

* * *

وجادتْ بِوَصلٍ حين لا ينفَعُ الوصْلُ

* * *

كَدابغةٍ وقد حلَمَ الأَديمُ[٤]

---

(١) سنى الشيءَ: سهّله ويسّره.

(٢) المياسير، ج ميسور: أي عند تيسُّر الأمور، تعسُّر.

(٣) العوراء: الكلمة القبيحة.

(٤) الأديم: الجلد المدبوغ و(حلمَ الأديمُ) إذا فسد.

عـنـد الـشـدائـدِ تَـذْهَـبُ الأَحـقـادُ

* * *

قـد أنـصـفَ الـقـارة مَـنْ رامـاهـا[1]

* * *

لَمْ يَلْقَ جَهْدٌ مثلَها مذ احتلَمْ

* * *

ومـا كُـلَّ عـامٍ روضـةٌ وغـديـرُ

* * *

مـتـى يَـلْـتـقـي الـمَـيْـتُ والـغـاسِـلُ

* * *

عـنـد الـخـنـازيـرِ تَـنْـفُـقُ الـعَـذِرَة[2]

* * *

هـدايـا مُـقِـلٍّ إلـى مُـكْـثِـرِ

* * *

ولـلـمـسـاكـيـن أيـضـاً بـالـنَّـدىٰ وَلَـعُ[3]

* * *

والـنملُ تَعذرُ في القدر الذي حملا[4]

* * *

إنْ تَـرِدِ الـمـاءَ بـمـاءٍ أكـيـسِ

* * *

---

(١) هذا الشطر مَثلٌ مشهور. والقارة: قبيلة. وفي «مجمع الأمثال» (٢/ ١٠٠ ـ ١٠١) (قد أنْصَفَ القارة من رماها) في حرب كانت بين قريش وبين بكر بن عبد مناف بن كنانة. وكانت القارةُ مع قريش، وهم قومٌ رُماة، فلما التقى الفريقان، راماهم الآخرون فقيل: قد أنصفهم هؤلاء إذ ساوَوْهُم في العمل الذي هو شأنهم وصناعتهم. (انظر أيضاً معجم البلدان جـ٤/ ٢٩٥) والمراماةُ: أنْ يرمي الواحدُ الآخر.

(٢) العَذِرةُ: الغائط الذي هو السَّلح. أي: الأقذار التي تخرج من الإنسان. وتنفق: لا يبقى منها شيء لأن الخنازير تأكلها.

(٣) الندى: العطاء. والولَع: الاهتمام الشديد.

(٤) تعذر: تَسْلَحُ.

سحابةُ صيفٍ عن قليلٍ تَقَشَّعُ[1]

* * *

وصِرتَ بُغاثًا بعد ما كنتَ بازيا[2]

* * *

الصدقُ يُنْبي عنكَ لا الوَعيدُ

* * *

أوسَعْتَهمْ سَبًّا وراحوا بالإبِلْ

* * *

أَشدُّ عيوبِ المرء جَهْلُ عيوبِهِ

* * *

ومَنْ ذا الذي يَدْري بما فيه مِن جَهْلِ؟

* * *

إن الوَرىٰ أعداءُ مَن فَضَل الورىٰ[3]

* * *

أرْمَلَنِي قبل ليلةِ العُرْسِ[4]

* * *

لِمِثْلِها كنتُ أُحسِيكَ الحِسَا[5]

* * *

على أعرافِها تَجْري الجِيادُ

* * *

يَكْفيكَ ما بلَّغكَ المحلَّا

* * *

(١) تقشَّعُ: تنقشع، أي تنحسر.

(٢) البغاث من الطير ما لا يصيد ولا يُرغَب في صيده، لأنه لا يؤكل.

(٣) فضلَ الورى: فاقهم بالفضل والإحسان. والورى: الناس.

(٤) جعلني أرمَلةً.

(٥) أُحسيك: من أَحْسَيْتُه المَرَق فَحَساه. والحِساء: الطبيخُ الرقيق يُحْسى.

وحسبُكَ من غِنى شِبَعٌ وريُ

* * *

كل الحذاء يحتذي الحافي الوَقِعْ[(١)]

* * *

طوالَ الدهرِ عشتُ بغير ليلى

* * *

خَيرٌ قليلٌ وفضَحْتُ نفسي[(٢)]

* * *

والمرءُ يَشْرَقُ بالزُلال البارِدِ[(٣)]

* * *

مَنْ لك يوماً بأخيكَ كُلِّهِ

* * *

متى تُصيب الصاحبَ المهذَّبا؟

* * *

شَديدٌ على الإنسان ما لم يُعَوَّدِ

* * *

ثم اعترفْت بها فصارتْ هُدُبا

* * *

تحْسَبُها حمقاءَ وهي باخِسٌ[(٤)]

* * *

يُريكَ خُرقاً وهوَ الحاذِقُ

---

(١) الوَقِعُ: المريض المشتكي.

(٢) قالته امرأةٌ غاب عنها زوجها. وكان لها عبد، فواقعتْه بعد تردد طويل. فأدركها زوجها بعد أن انتهت المدافعة. فقالت هذا المثل (راجع القصة: مجمع الأمثال جـ١/ ٢٤١ ـ ٢٤٢).

(٣) الزلال: الماء الصافي. يشرقُ: يغصّ.

(٤) الباخس: الظالم. وهذا مثل يضرب لمن يتبالهُ وفيه مكر وخداع. وأصله أن رجلاً من بني العنبر خلط ماله بمال امرأة طامعاً فيها. وقاسمها بعدئذٍ، فلم ترضَ وشكته عند الولاة، ونالت حقَّها، فقال: «تحسبها حمقاء وهي باخس» (مجمع الأمثال ١/ ١٢٣).

إذا لم تَجِدْ ذَنْباً علينا تَجنَّتِ

* * *

شِنْشِنَةٌ أعرِفُها من أَخْزَمِ[١]

* * *

وتأبى الطِّباعُ على الناقلِ

* * *

تمنَّعْ لعلَّكَ أنْ تُنفِقا

* * *

متى يأتي غِياثُكَ[٢] مَنْ تُغيثُ؟

* * *

ومنفعة الغوث قبل العَطَبْ[٣]

* * *

قَبْلَ الرماةِ تُملأُ الكَنائِنْ[٤]

* * *

سقطَ العِشاءُ به على سِرحانِ[٥]

* * *

إذا قَطَعْنَا عَلَماً بدا عَلَمْ[٦]

* * *

إذا غاب منها كوكبٌ لاح كَوكَبُ

* * *

يكفيكَ مما لا تَرىٰ ما قد تَرىٰ

* * *

(١) الشنشنة: الطبيعةُ والعادة. وهذا مثل قاله سعد بن أخزم الطائي في أولاد ابنه الذين كانوا يضربونه كأبيهم «شنشنة أعرفها من أخزم» (مجمع الأمثال جـ١/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠).

(٢) الغياث: المساعدة.

(٣) العطب: الهلاك.

(٤) الكنائن، واحدتها: كنانة: جعبة للنَّبل.

(٥) السرحان: الذئب.

(٦) العلم: الجَبَل.

فِي طلعة الشمس ما يُغنيكَ عن زُحَلِ

* * *

مواعِيدُ عُرقوبٍ أخاه بيَثْرِبِ(١)

* * *

أنا الغنيُّ وأموالي المفاليسُ(٢)

* * *

توكَّلَ بالأدنىٰ وإنْ جلَّ ما يَمْضي

* * *

ليس عليك نسجُهُ فاسْحَبْ وجُرّ(٣)

* * *

من يَزرعِ الشوكَ لا يَحصدْ به العِنَبا

* * *

ليس يَخفىٰ إلَّا الذي لا يكونُ

* * *

والمندل الرطْبُ في أوطانه حَطَبُ(٤)

* * *

عَلِقَتْ مَعَالِقَها وصَرَّ الجُنْدَبُ(٥)

* * *

رِضىٰ المُتَجنّي غايةٌ ليس تُدْرَكُ

* * *

---

(١) عرقوب رجل ضُرِبَ به المثل فيه، لبخله وكذبه (راجع قصة المثل في مجمع الأمثال ٢/ ٣١١).

(٢) عجز بيت للمتنبي قصد فيه أنه يملك صيتاً بالغنى ولكنه خالي الوفاض. وفي ديوان المتنبي: «أنا الغنيُّ وأموالي المواعيدُ».

(٣) أي أنك لم تنصَبْ فيه، فلذلك تفسده (مجمع الأمثال جـ٢/ ١٩٠).

(٤) المندَلُ: العود الطيِّب الرائحة.

(٥) الجندب: الجراد وقيل ذكر الجراد. وصرَّ: اشتد صياحه. وفي «مجمع الأمثال» (٢/ ١٥). أنَّ رجلاً انتهى إلى بئر فعلَّقَ رِشاءَه برشائها. ثم صار إلى صاحب البئر فادعى جواره، فقال له: وما سبب ذلك؟ قال: علقتُ رشائي برشائك. فأبى صاحب البئر وأمره أن يرتحل. فقال علقت الخ: أي جاء الحَرُّ ولا يُمكنني الرحيل.

لا نـاقـةَ لـيَ فـي هـذا ولا جَـمَـلُ[١]

* * *

ويَـبـقـىٰ الـوُدُّ مـا بَـقِـيَ الـعِـتَـابُ

* * *

وتَـزكـي لـلـعـتـاب مِـن الـعِـتـابِ

* * *

إنْ تَـسْـلـم الـجِـلَّـةُ فـالـسَّـخْـلُ هَـدَرْ[٢]

* * *

بجَبْهةِ العير تَفْدي حافِر الفرسِ

* * *

إذا شـئـتَ أَنْ تَـزْدادَ حُـبًّـا فـزُرْ غِـبًّـا[٣]

* * *

ولو لم تَغِبْ شمسُ النهار لمُلَّتِ

* * *

رُبَّ ثـاوٍ يُـمَـلُّ مـنـهُ الـثَّـواءُ[٤]

* * *

وثَـقُـلْـتُ حـتـى آن لـي أن أُخَـفِّـفـا

* * *

وفـي طُـولِ الـمُـعَـاشـرَةِ الـتَّـقَـالِـي[٥]

* * *

إيـاكِ أعـنـي فـاسـمـعـي يـا جـارَهْ

* * *

(١) راجع تفصيل حكاية هذا المثل في مجمع الأمثال ٢/ ٢٢٠ ـ ٢٢١.

(٢) الجِلّة (بالكسر) البَعرُ والروث. السَّخْل: السقط الضعيف. وهَدَرَ: سقط.

(٣) من هذا القول، جاء في الحديث «زرْ غِبّاً تزدَدْ حُبّاً» أي بعد أيام.

(٤) الثواء: الإقامة.

(٥) التقالي اسم من فعل تقلّى تَقْلِيةً: تبَغّض. وكله من الفعل الثلاثي: قَلِيَ قَلْياً: أبغضَ وكرِهَ. أي كلما طالت العشْرة بين اثنين أو أكثر، دخلّها الملل وما ينتج عنه من احتكاك وتباغض.

إنَّ الذبابَ على الماذيِّ وقّاعُ[١]

* * *

والمَشرَبُ العَذْبُ كثيرُ الزِّحَام[٢]

* * *

شغَلَ الحَلْيُ أهلَهُ أن يُعارا[٣]

* * *

لعلَّ له عُذراً وأنتَ تلومُ

* * *

إنَّ المسبِّب للجاني هو الجاني

* * *

أشَدُّ الشدائدِ ما يُضحِكُ

* * *

ومِنْ فَرَحِ النفسِ ما يَقتُلُ

* * *

أخنىٰ عليها الذي أخنى على لُبَدِ[٤]

* * *

كمُبْتغي الصَّيدِ في عَرينة الأَسَدِ

* * *

ورُبَّ مستَحْسِنٍ ما ليس بالحَسَنِ

* * *

ورُبَّ امرئٍ يُزْرِي على خُلُقٍ مَحْضِ[٥]

* * *

(١) الماذي: العسل الخالص.

(٢) الزِّحام: الازدحام والمشهور في القول: «والمورِدُ..».

(٣) أي احتاج أهل الحلى أن يُمَلِّقوه على أنفسهم؛ فلذلك لا يُعيرونه (مجمع الأمثال ١/ ٣٧٤).

(٤) أخنى عليه: أتى عليه وبَرَك بكل ثقله. لبد: آخر نسور لقمان المعمَّرة.

(٥) رُبّ امرئٍ يُحتقر رغم ما يتمتّع به من خصال رفيعة.

وآفَـةُ الـتِّـبْـر ضَـعْـفُ مـنـتـقِـدِهْ[١]

* * *

وَيَقْبُحُ ضوءُ الشمسِ في الأَعْينِ الرُّمْدِ

* * *

والـدَّرُّ يَـقْـطَـعُـهُ جَـفَـاءُ الـحـالـبِ[٢]

* * *

والـدرهـمُ الـزَّيْـفُ لا يَـضِـيـعُ

* * *

وأيدي الندىٰ في الصالحين قُروضُ[٣]

* * *

إنَّ الـمَـعـارِفَ فـي أَهْـلِ الـنـهـىٰ ذِمَـمُ

* * *

وشَـرُّ الـزادِ مـا عـابَ الـخـمـيـصُ[٤]

* * *

ويَـشْـرَبُ مـاءً وَهْـوَ غـيـرُ زُلالِ

* * *

طـبـيـبٌ يـداوي والـطـبـيـبُ مَـريـضُ[٥]

* * *

ومِـن الـعـجـائـبِ أَعْـمَـشٌ كـحَّـالُ[٦]

* * *

لـيـت الـتـشـكّـي كـان بـالـعـوّادِ

* * *

---

(١) التبر: الذهب غير المضروب. والآفة: الداء الشديد أو الشر الأكبر.

(٢) الدّر: الحليب.

(٣) المعنى: إنّ العطاء واجب عند الجياد الصّالحين.

(٤) الخميص: الجائع.

(٥) ويروى:

«طَـبـيـبٌ يـداوي الـنـاسَ وهـوَ عـلـيـلُ»

(٦) الأعمش: ذو العين العمشاء الدامعة. كحّال: مكحّل.

ذكَّرتني الطعنَ وكنتُ ناسيا

* * *

وحسبُكَ داءً أن تَصِحَّ وتَسْلَما

* * *

أسرعُ في نقص امرئٍ تمامُهُ

* * *

وعند التناهي يَقْصُرُ المتطاوِلُ

* * *

وقد يَضْحَكُ الموتورُ وهْوَ حزينٌ[1]

* * *

وقد تَجْمَدُ العينانِ والقَلْبُ موجَعُ

* * *

خَلَفٌ لَعَمْري مِنْ يزيدٍ أَعْوَرُ[2]

* * *

فلا للثمارِ ولا لِلْحَطَبْ

* * *

إنَّ البُغاثَ بأرضِنا يَسْتَنْسِرُ[3]

* * *

والمُلْكُ بَعْدَ أبي ليلى لمن غَلَبا

* * *

يضحكُ في غيرِ أوانِ الضحكِ

* * *

---

(١) الموتور: المظلوم.

(٢) الشِّعر في اللسان [عور] ٤/ ٦١٣. وصحّتُه: (بَدَلٌ لعَمْرُكَ مِنْ يزيدٍ أعْوَرُ) مثلٌ يضرب للمذموم يَخْلِفُ بعد الرجل المحمود. وهو لعبد الله بن همام السلولي، قاله لقتيبة بن مسلم، ووليَ خراسان بعد يزيد بن المهلب، وصدره (أقُتَيْبَ قد قلنا غداةَ أتيتنا) بدل.. الخ..

(٣) البغاث: طائر بطيء الطيران. والمعنى: إنّ من يجاورنا يعظم بنا. واستنسر: جعل نفسه كالنَّسر.

والضحكُ في غير حينه سَفَهُ[١]

* * *

ولكنَّهُ ضَحِكٌ كالبُكا[٢]

* * *

فما الكرَخُ الدنيا ولا الناسُ قاسمُ[٣]

* * *

وفي عُنُقِ الخائنِ الجُلْجُلُ[٤]

* * *

ورُبَّ جوابٍ في السكوتِ بَليغُ

* * *

لَا تَغْزُ إلّا بِغلامٍ قد غَزَا

* * *

إن كنتَ ريحاً فقد لاقَيتَ إعصارا

* * *

ربَّ أخٍ لي لم تَلِدْه أمِّيْ

* * *

ألفى أباه بذاكَ الكَسْبِ يكْتَسِبُ

* * *

لا تَغْذُوَنْ من كلبِ سُوءٍ جَرْوا

* * *

هل تَلِدُ الذئبةُ إلّا ذئبا؟

* * *

---

(١) السَّفهُ: الجهل والحماقة وسوءُ الأدب.

(٢) عجز بيت للمتنبي، في هجاء كافور. وصدر البيت: «وماذا بمصرٍ من المُضحكات» (شرح الواحدي جـ٤/ ١٨٨٤).

(٣) الكرْخ: بلد معروف في بغداد، وحرّك للضرورة.

(٤) الجلجل: جرس صغير يعلّق في عنق الدابة.

والناسُ يُغنونَ أحياناً عن الناسِ

* * *

ويَكتسي العودُ بعد اليَبْس بالوَرَقِ

* * *

مَنْ عزَّ بزَّ ومن لم يمتنِعْ يُرِدِ[١]

* * *

من لم يَكُن ذئباً أُكِلْ

* * *

إنْ قَعَدَ الرزقُ فقُمْ إليهِ[٢]

* * *

وكيف يَرحَلُ مَنْ ليست له إبِلُ

* * *

وهل يَنهضُ البازي بغير جناحِ؟

* * *

وتُقرِّبُ الأحلامُ غيرَ قريبِ

* * *

تُذكِّرُ الناسَ وأنتَ ناسي

* * *

لكلِّ حليمٍ موطنٌ هو جاهِلُهْ

* * *

وللجهلِ من قلب الحكيم نَصيبُ

* * *

وما على مُحمَّلٍ عَتَبُ

* * *

---

(١) من عزّ بزّ: المعنى: من غلَب سَلَبَ.

(٢) إنْ قلَّ الخير والرزق بين يديك، شمِّر عن ساعدِك وانهض لتأمينهما!

جِسْمُ البِغالِ وأحلامُ العصافيرِ

* * *

وعلى الكَريمِ لضيفِهِ الجهدُ

* * *

هانَ على الأملَسِ ما لاقى الدَّبِرْ[1]

* * *

مَن نامَ لم يَشعُرْ بمن قد سَهِرا

* * *

بكلِّ حبلٍ يَخنُقُ الشقيْ

* * *

إنَّ الشقاءَ على الأشقَينَ مصبوبُ

* * *

ويُرجى شفاءُ السمِّ والسمُّ قاتِلُ

* * *

وربما صحَّتِ الأجسامُ بالعِلَلِ

* * *

ما كنتُ أوَّلَ موثوقٍ به خانا

* * *

أسأتَ بنا عَوداً وأحسنتَ باديا

* * *

ما فازَ بالراحةِ إلّا مَنْ رَضي

* * *

لهمْ وِصالُ الغواني والصبابةُ لي

* * *

(١) الدَّبِرُ، من الدَّبَرة: قرحة الدابة والبعير، تكون في خُفِّه، أو في ظهره. وقد ذكر أهل الأمثال هذا المثل، الذي يُضرب في سوء اهتمام الرجل بصاحبه («تاج العروس من جواهر القاموس» للزَّبيدي. الكويت سنة ١٩٧٢، جـ١١/٢٥٦ [دبر]).

خَـوْدٌ تُـزَفُّ إلـى خَـصِـيٍّ مُـقْـمَـدِ[١]

* * *

تَـفـورُ مِـن نِـصْـفِ حَـوْضـه قِـذري

* * *

يرجو الغِنىٰ من إناءٍ قَطُّ ما رَشَحا[٢]

* * *

لا تـفـعـلُ الـخـيـرَ ولا تَـنـويِـهِ

* * *

جـدع بـر عـلـى الـمـدالـى الـقـرح[٣]

* * *

مـا كـلُّ مـاشـيـةٍ بـالـرَّحْـلِ شِـمْـلالُ[٤]

* * *

أَتـوبُ وتَـبـدو فـرصـةٌ فـأعـودُ

* * *

وهل يُصْلِحُ العطارُ ما أفسدَ الدهرُ؟

* * *

أعـمىٰ يُـدلِّـس[٥] نـفـسَـه فـي الـعُـورِ

* * *

إنَّ الـجـوادَ يـرىٰ فـي مـالِـهِ سُـبُـلا

* * *

أُنـظُـرْ إلـى وجـهِـكَ ثـم اعْـشَـقِ[٦]

(١) خَوْد: امرأة شابة حَسَنة الخَلْق، ج: خُود. تُزَفُّ: تُقدَّم باحتفال إلى عريسها.

(٢) يرجو العطاء والثروة ممّن لم يعرف عنهم ملمح واحد أو أثر ضئيل للكرم والإحسان، كالإناء الذي لا يرشح.

(٣) لم نتبيَّن حقيقة المثل لا سياقاً إعرابياً ولا معنى.

(٤) الشملال: الناقة السريعة.

(٥) يُدلِّس نفسه: يخدعها، فيضعُ نفسه بين العور واحدها أعور: وهو الذي ذهبتْ إحدى عينيه.

(٦) كناية عن قبح وجهه الذي تنفر منه المرأة.

أصـابَ الـذي سـمّـاكِ أمُّ جَـمـيـلِ

* * *

جُـهْـدُ الـبـلاءِ تـبـاغُـضٌ وتَـدانـي

* * *

ويَـسْـتَـصْـحِـبُ الإنسانُ مَـنْ لا يـلائِـمُـهْ

* * *

لمحبوبِها يَمْشي ومكروهها يَعْدُو(١)

* * *

ولا يُـخْـسِـنُ الـكـلـبُ إلّا هَـريـرا(٢)

* * *

أذلَّ الـحِـرْصُ أعـنـاقَ الـرجـالِ(٣)

* * *

وفـي الـطـمـعِ الـمـذلّـةُ لـلـرقـابِ

* * *

مـا طـاب عَـذْبٌ شـابَـه أُجَـاجُ(٤)

* * *

قـد كـنـتُ أحْـسَـبُ أنـي قـد مـلأتُ يـدي

* * *

لأَمْـرٍ مَـا يُـسَـوَّدُ مَـنْ يَـسُـودُ

* * *

لا تـأْخُـذوا مِـنّـا ولا تُـعْـطُـونـا

* * *

كـم زاد فـي ذَنْـبِ جـهـولٍ عُـذْرُهُ(٥)

(١) إذا أحبَّتْ شيئاً، سعى إليه بيطء؛ وإن كرهت شيئاً أسرع في طلبه.

(٢) صوتُ الكلب دون النباح. (٣) الحِرْص: الإمساك عن الإنفاق.

(٤) الأُجاج: اللاذع للفم بملوحته. و شابَهُ: خالطَه.

(٥) المعنى: جاء عذر الجاهل أقبح من ذنبه.

وكيف يَعيبُ العُورَ مَنْ هو أَعْوَرُ؟

* * *

ولن يُرْجِعَ الموتى حَنينُ المآتمِ

* * *

ومَنْ يَخْزِنِ الأَموالَ يُنْفِقْ من العِرْضِ(١)

* * *

وشَرٌّ من البخلِ المواعيدُ والمَطَلُ(٢)

* * *

واليأس أَرْوَحُ من عذاب الكاذِبِ

* * *

وتحتَ الرغوةِ اللبنُ الصريحُ

* * *

لا يَعْجَزُ القومُ إذا تَعَاونوا

* * *

قد رَجَعَ الحقُّ إلى نِصَابِهِ

* * *

وبيتُ الغنيْ يُهدىٰ له وَيُزَارُ

* * *

ويأتيك بالأَخبار مَنْ لم تُزَوِّدِ

* * *

وعند الضرورة آتي الكنيفا(٣)

* * *

كم مِنْ نَقيِّ الثوبِ ذي عِرْضٍ دَنِسْ

* * *

---

(١) العرض: حُرمةُ المرأة في الأسرة والجماعة.

(٢) المَطْل. التأجيلُ والتسويف.

(٣) الكنيف: المرحاض.

ورُبَّ ذي أدَبٍ تلقاه في سَمَلِ[١]

* * *

وأين الثريا[٢] مِن يَد المُتَناوِلِ؟

* * *

والنجمُ لا يَحفلُ إن كَلْبٌ عَوىٰ

* * *

هوِّنْ عليكَ ولا تُولَعْ بإشْفاقِ

* * *

من هوَّنَ الصعبَ عليهِ هانا

* * *

محَا السيفُ ما قال ابنُ دارةَ أجمعا

* * *

إن الجوادَ عينُه فُرَّارُهْ[٣]

* * *

وما زالتِ الأشرافُ تُهجىٰ وتُمْدَحُ

* * *

وعَيْبُ مَن أحبَبْتَ مَستورُ

* * *

عسى بَعْد بَيْنٍ أن يكون تَلاقي[٤]

* * *

ولعلَّ ما نرجو يكونُ قريبا

* * *

(١) السمل: الثوب البالي.

(٢) الثريا: مجموعة كواكب في صورة الثور.

(٣) أصله: إنّ الجواد عينُه فرارةٌ. والفرار: النظر إلى أسنان الدّابة لمعرفة عمرها. ويضرب لمن يدلّ ظاهره على باطنه، فيغني عن اختياره.

(٤) بين: فراق.

لا يَفُلُّ(١) الحديدَ غيرُ الحَديدِ

* * *

ولكنَّ صدَّ الشرِّ بالشرِّ أحْزَمُ

* * *

والشمسُ تَكْبرُ عن حَلْيٍ وعن حُلَلِ(٢)

* * *

هيهاتَ تَضْرِبُ في حديدٍ باردِ

* * *

وكلُّ خَيرٍ عندنا مِن عندِهِ

* * *

وأعرضْتُ عنه وهو بادٍ مَقاتِلُهْ

* * *

ويقول، إلّا أنّه لا يَفْعَلُ

* * *

وبعضُ القول يَذْهَبُ في الرياحِ

* * *

إذا ساءني وادٍ تَبدّلْتُ واديا

* * *

وإذا نَأى بكَ مَنزلٌ فتحوّلِ

* * *

على قَدْرِ جِرْمِ الفيلِ تُبْنى قوائِمُهْ(٣)

* * *

مَنْ أَمِنَ الدهرَ أتى من مَأْمَنِهْ

* * *

---

(١) فلّ: برى.

(٢) الحَلْي، والحُليّ: الجواهر. والحُلَل: الأثواب الجميلة واحدتها: حُلّة.

(٣) جرم: جسم.

ولا يَأْمَنُ الأيامَ إلا مُغَفَّلُ

* * *

والدهر ليس بمُعْتِبٍ من يَجْزَعُ

* * *

والدهرُ يُبْلي جِدَّةَ الجديدِ

* * *

وكلُّ جَديدٍ بالجَديدَيْنِ يَخْلَقُ[1]

* * *

والدهرُ يُعْقِبُ صالِحاً بِفَسادِ

* * *

وعند صفْوِ الليالي يَحْدُثُ الكَدَرُ

* * *

وذو العلم مأخوذٌ بما جَرَّ جاهِلُهُ

* * *

كالثورِ يُضْرَبُ لمّا عافتِ البَقَرُ[2]

* * *

وقد يُسوِّد غيرَ السيِّدِ المالُ

* * *

ولم أرَ مثلَ المالِ أَرْفَعَ للنَذْلِ[3]

* * *

وكلُّ غَنيٍّ في العيون جَليلُ

* * *

وما المروءةُ إلّا كَثْرَةُ المالِ

---

(١) الجديدان: الليل والنهار. يَخلَقُ: يبلى أو يصبح قديماً.

(٢) في النسخة المعتمدة ورد: «لما عاقب» وهي مصحفة، والتصويب عن مجمع الأمثال ٢/ ١٤٢. وعافَ: كرهَ. مثالٌ يُضرَب في عقوبة الإنسان بذنب غيره.

(٣) النذل: الجبان، والخسيس.

ومَنْ ذا الذي يُعطى الكمالَ فيَكْمُلُ؟

* * *

مثلُ النعامةِ لا طيرٌ ولا جَمَلُ

* * *

ومن أيِّ نَفْسٍ بَعْدَ نفسي أُقاتِلُ؟

* * *

كلُّ امرئٍ في شأنِهِ ساعِ

* * *

وكلُّ امرئٍ يُجزى بما كان ساعِيا

* * *

عِشْ عُمْرَ نوحٍ والياً فستُعزَلُ

* * *

ألا كلُّ ما قرَّتْ به العينُ صالح[١]

* * *

وأحسَنُ شيءٍ ما به العينُ قرَّتِ

* * *

القولُ يَنفُذُ ما لا تَنفُذُ الإبَرُ

* * *

وجُرحُ اللسانِ كجُرحِ اليَدِ

* * *

ألا رُبَّ إحسانٍ عليكَ ثَقيلُ

* * *

رُبَّ عيشٍ أخفُّ منه الحِمامُ[٢]؟

* * *

(١) قرَّتْ به العينُ: سكنتْ واطمأنَّتْ.

(٢) الحمام: الموت.

وأَوْفاكَ ما زوَّدتَ مِن ذَمٍّ وشُكْرِ

* * *

ولكنْ ما وراءك يا عصامُ[1]؟

* * *

ليس المُجرِّبُ مِثلَ مَنْ لم يَعلمِ

* * *

وما جاهلٌ شيئاً كمن هُوَ عالِمُ

* * *

قد يُصْبِحُ الموتُ أمامَ الساري

* * *

وكيف تُوَقِّي ظهرَ ما أنتَ راكِبُهُ؟

* * *

وليس لِرَحْلٍ حطَّه الله حامِلُ

* * *

حنانيك بَعْضُ الشرِّ أهونُ مِنْ بَعْضِ

* * *

ليس في مَنْعِ غيرِ ذي الحق بُخْلُ

* * *

ولو سكتوا أثنَتْ عليكَ الحقائِبُ

* * *

ومن وَجَدَ الإحسان قَيْداً تقَيَّدا

* * *

لعلَّ غداً يُبْدي لِمُنتَظِرٍ أمْرا

* * *

---

(١) يضرب في الاستخبار من القادم عمّا خلّف. وعصام كان حاجباً للنعمان، منع النابغة الذبياني من الدخول عليه، وهو مريض، وقد جاء لعيادته، فقال:

فإني لا ألومك في دخولٍ ولكن ما وراءك يا عصامُ

وإنَّ غَـداً لِـنَـاظِـرِهِ قَـريـبُ

* * *

والكُفْرُ مَخْبثةٌ لنفسِ المُنْعِمِ

* * *

وما كلُّ مَنْ أوليتَه نِعْمةً شَكَرْ

* * *

لكلِّ زمانٍ دولةٌ ورِجالُ

* * *

هذا بذاكَ ولا عَتْبٌ على الزمنِ

* * *

قَسَتِ القلوبُ ورقَّتِ الألفاظُ

* * *

قلوبُ الأعادي في جُسومِ الأصادِقِ[1]

* * *

وهل جَزَعٌ مُجْدي عليّ فأجْزَعا

* * *

ولا يَردُّ عليكَ الفائِتَ الحَزَنُ

* * *

مُتْلِفُ مالٍ ومُفيدُ مالِ

* * *

والمرءُ ما عاشَ مُفيدٌ مُتْلِفُ

* * *

ينالون من عِرْضي ولولاكَ ما نالوا

* * *

(١) الأصادِق، جمعُ صديق، ويجمع أيضاً على صُدَقاء وصُدْقان وأصدقاء. لسان العرب ١٠/ ١٩٤ [صدق].

ومـــا لِــجُــرحٍ إذا أرضـــاكُـــمُ ألـــمُ

* * *

وما لا تَـراهُ الـعـيـنُ لا يُـوجِـعُ الـقَـلْـبـا

* * *

وفـي دُنُـوِّكَ أخـشـى الـعـارَ والـنـارا

* * *

فـالأرضُ مـن تُـربـةٍ والـنـاسُ مـن رَجُـلِ

* * *

مـا غـبَـنَ الـمـغـبـونَ مـثـلُ عَـقْـلـهِ

* * *

لا علْمَ لي أنّ بَعْضي بَعْضُ أعدائي[1]

* * *

والـزرعُ مـا تـحـصِـدُ لا مـا تَـزرَعُ

* * *

ولـيـس لِـعَـظْـمٍ هـاضَـهُ الـلّـهُ جـابـرُ[2]

* * *

ويُـعْـرَفُ فـضـلُ الـشـمـسِ عـنـد مَـغـيـبـهـا

* * *

والـحُـرُّ يَـصْـبـر خـوفَ الـعـارِ لـلـنـارِ

* * *

دِيَــةُ الــذنْــبِ عــنــدنــا الإعــتــذارُ[3]

* * *

والـحـرُّ يَـعْـذِرُ مَـنْ بـالـحـق يَـعْـتَـذِرُ

---

(١) أي يجهل المرء ما قد تضمرُهُ نفسه من شرور، فتكون نفسُه بعضَ أعدائه. ويمكن النظر إلى (البعض) هنا كالأبناء والأموال التي تعود إلى الرجل، أباً أو صاحب مال.

(٢) هاضه: كسره ودقّه.

(٣) الدِّيَةُ: ثمنُ القتيل، أو الفِدْية.

والشيءُ بعدَ عزِّهِ يَهونُ

* * *

وكُلُّ مَضعدةٍ يوما ستَنْحَدِرُ

* * *

كلُّ امرئٍ مُحتَطِبٌ في حَبْلِهِ[١]

* * *

وكلُّ جانٍ يدُهُ إلى فمِهِ[٢]

* * *

وكلُّ عزيزٍ في السؤال ذليلُ

* * *

وإذا القَريبُ جفاكَ فهو بَعيدُ

فصل

المزدوج(*)

لِلَّهِ أَسرارٌ مِن التدبيرِ يَحارُ فيها بَصَرُ البَصيرِ
* * *
يا رُبَّ مَن أَسخَطَنا بجهدِهِ قد سرَّنا اللَّهُ بغيرِ حَمدِهِ
* * *
الحرُّ يُلحىٰ والعَصا للعبدِ وليس للمُلحِفِ غيرُ الردِّ(١)
* * *
والكلبُ قد يَحتمِلُ الملامَة ما دام مِن ضَربِك في سَلامَة
* * *
يا قارعَ الباب على عبد الصمدْ لا تَقرعِ البابَ فما ثَمَّ أحَدْ
* * *
عند الصباحِ يَحمَدُ القومُ السُّرىٰ وتَنجلي عنهمْ غَياباتُ الكَرىٰ(٢)
* * *
أينَ مَفَرُّ المرءِ مِن أَمرٍ قُدِرْ هيهاتَ لا ينفعُهُ طولُ الحذَرْ
* * *
حتى متى يلعبُ ليتَ شعري سال بك السيلُ ولستَ تَدري
* * *
قد صدقَ القائلُ إنَّ المبتَلىٰ لا يعدَمُ الدهرَ الطويلَ الأَجَلا
* * *

(*) المزدوج: مصطلح بلاغي يطلق على كل ما يؤدي إلى التعادل والازدواج بين الجمل والعبارات؛ وعادةً ما يكون ذلك في التسجيع. وله معنى آخر في الشعر، وهو ما أتى على قافيتين في كل بيت من أبيات القصيدة إلى آخرها، وأكثر ما يأتي على وزن الرجز.

«معجم المصطلحات البلاغية وتطورها» للدكتور أحمد مطلوب. المجمع العلمي العراقي. بغداد سنة ١٩٨٧ جـ٣/ ص٢٤٦.

(١) لُحِيَ: سُبَّ وقُبِّح. ألحف: لجَّ وألحَّ. (٢) السُّرى: السيرُ ليلاً. الكَرى: النوم.

لا تَدَعِ الفرصةَ في يومٍ لِغَدْ   في كلِّ يومٍ عارضٌ من النَّكَدْ[١]

* * *

هيَ المقاديرُ فَلُمْ أو فَذَرْ   إن كنتُ أخطأتُ فما أَخطَا القدَرْ[٢]

* * *

إليكَ إن حَمَّلْتَني ما لم أُطِقْ   ساءك ما سرَّكَ منّي مِن خُلُقْ

* * *

إذا تمنَّى أحمقٌ أُمنيَّةْ   يحسَبُها كائنةً مَقْضيَّةْ

* * *

مَنْ لك بالمَحْضِ وليس مَحْضُ   يَخْبُثُ بعضٌ ويَطيبُ بعضُ[٣]

* * *

إن الشَّبابَ والفَراغَ والجِدَةْ   مفسَدةٌ للدين أيُّ مفسَدَةْ

* * *

ما تَطْلُعُ الشمسُ ولا تَغيبُ   إلّا لأمرٍ شأنُهُ عَجيبُ

* * *

العذرُ ذلٌّ في الوفاء عِزُّ   والصدقُ في بعض الأُمور حِرْزُ[٤]

* * *

خَلِّ مَن قَلَّ خَيرُهُ   لكَ في الناس غيرُهُ

* * *

كم نعيمٍ نَعِمْتُهُ   غيرَ أنّي عدِمْتُهُ

* * *

تَمَّ الكتابُ والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وصحبه وسلَّم. وذلك في عاشر شهر شوال
من شهور سنة سبع وسبعين وثمانمائة
أحسن الله عاقبتها بمحمد وآله.
الحمدُ لله وحده وصلى الله على محمد وآله وصَحْبه وسلَّمَ،
وحسْبُنا الله ونِعْمَ الوكيل

---

(١) النكد، كل أمر يؤدي إلى نغص أو غمّ. والعارض: الحادث، أو صورة له وملمَح.
(٢) ذَرْ: دَعْ.
(٣) المحض: الخالص. أي أنى لك الحصول على الأشياء خالصة، ففيها الخبيث والطيّب؟
(٤) حرز: أمانة ومنجى.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ أمالي المرتضى، المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي. ط٢، بيروت ١٩٦٧.

٣ ـ إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إسماعيل البغدادي مكتبة المثنى ـ بغداد. لا تاريخ.

٤ ـ تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي (أجزاء مختلفة) وزارة الإعلام، الكويت، تواريخ مختلفة بدءاً من سنة ١٩٦٥.

٥ ـ الجامع لأحكام القرآن، المعروف بتفسير القرطبي ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي. تصحيح وتحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، القاهرة ١٩٥٧.

٦ ـ دلائل الإعجاز (في علم المعاني) عبد القاهر الجرجاني. شَكَلَه وشرح غامضه وخرَّج شواهده وقدَّم له ووضع فهارسه، د. ياسين الأيوبي. المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت ٢٠٠٠.

٧ ـ ديوان ابن الرومي، شرح عبد الأمير علي مهنَّا ـ دار ومكتبة الهلال ـ بيروت ١٩٩١.

٨ ـ ديوان عروة بن الورد شرح د. سعدي ضناوي. دار الجيل. بيروت ١٩٩٦.

٩ ـ ديوان ابن يسير الرياشي، تحقيق: مظهر الحجي. دار الذاكرة ـ حمص ١٩٩٦.

١٠ ـ سمط اللآلي في شرح أمالي القالي ـ أبو عبيد البكري الأوبني، بعناية عبد العزيز الميمني. دار الحديث بيروت ١٩٨٤.

١١ ـ سير أعلام النبلاء، الحافظ شمس الدين الذهبي، (معظم أجزائه الثلاثة والعشرين) وهي على التوالي: بإشراف شُعَيب الأرناؤوط. وتحقيق عدد من الباحثين ـ

ـ الجزء الثاني: تحقيق: شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة. طبعة ثالثة بيروت ١٩٨٥.

ـ الجزء الثالث: تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي ومأمون صاغرجي ـ ط٣، ١٩٨٥.

ـ الجزء الخامس: تحقيق: شعيب الأرناؤوط ط٣، ١٩٨٥.

ـ الجزء السادس: تحقيق: حسين الأسد، ط٣، ١٩٨٥

ـ الجزء السابع: تحقيق: علي أبو زيد، ط٣، ١٩٨٥.

ـ الجزء العاشر: تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ط١، ١٩٨٢.
ـ الجزء الحادي عشر تحقيق: صالح السَّمَر، ط١، ١٩٨٢.
ـ الجزء الثاني عشر: تحقيق: صالح السَّمَر، ط١، ١٩٨٤.
ـ الجزء الثالث عشر: تحقيق: علي أبو زيد، ط٢، ١٩٨٤.
ـ الجزء الرابع عشر: تحقيق: أكرم البوشي، ط٢، ١٩٨٤.
ـ الجزء الخامس عشر: تحقيق: إبراهيم الزيبق، ط٢، ١٩٨٤.
ـ الجزء السادس عشر: تحقيق: أكرم البوشي، ط٢، ١٩٨٤.
ـ الجزء السابع عشر: تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ط١، ١٩٨٣.
ـ الجزء الثامن عشر: تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ط١، ١٩٨٤.
ـ الجزء التاسع عشر: تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط١، ١٩٨٤.
ـ الجزء العشرون: تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ط١، ١٩٨٥.
ـ الجزء الواحد والعشرون: تحقيق: د. بشار معروف عواد ود. محيي الدين هلال السرحان، ط١، ١٩٨٤.
ـ الجزء الثاني والعشرون: تحقيق: د. بشار عواد معروف ود. محيي الدين هلال السرحان، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط١، ١٩٨٥.
ـ الجزء الثالث والعشرون: تحقيق: د. بشار معروف عواد ود. محيي الدين هلال السرحان، ط١، ١٩٨٥.

١٢ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، دار المسيرة، ط٢، بيروت ١٩٧٩.

١٣ ـ ديوان الحماسة، أبو علي أحمد المرزوقي. نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون، القاهرة ١٩٣٤.

١٤ ـ شرح ديوان الحماسة: الخطيب التبريزي، مطبعة بولاق ١٢٩٦/١٨٧٨م.

١٥ ـ شرح المعلقات العشر. د. ياسين الأيوبي ود. صلاح الدين الهواري. عالم الكتب بيروت ١٩٩٥.

١٦ ـ شرح الواحدي لديوان المتنبي، عني به فريدرخ ديتريصي، ضبطه وشرحه وقدَّم له وعلَّق عليه وخرَّج شواهده: د. ياسين الأيوبي ود. قصي الحسين (خمسة أجزاء) دار الرائد العربي ـ بيروت آخر ١٩٩٩.

١٧ ـ الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: عبد الغفور عطار. دار العلم للملايين ط٢، بيروت ١٩٧٩.

١٨ ـ **فوات الوفيات، ابن شاكر الكتبي**، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٧٤.

١٩ ـ **كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني**، أجزاء مختلفة، من طبعة مصورة عن دار الكتب بالقاهرة (١ ـ ١٦) وبعض الأجزاء اللاحقة (١٧ ـ ٢٤) بإشراف محمد أبو الفضل إبراهيم ـ الهيئة المصرية العامة القاهرة ١٩٧٠ ـ ١٩٧٢.

٢٠ ـ **الكامل في اللغة والأدب**، أبو العباس محمد بن يزيد **المبرِّد**، عارضه بأصوله وعلّق عليه: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة. لا تاريخ.

٢١ ـ **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجّي خليفة**، مكتبة المثنى، بغداد. لا تاريخ.

٢٢ ـ **لسان العرب**، جمال الدين **ابن منظور**. دار صادر ـ بيروت، بيروت ١٩٦٨.

٢٣ ـ **مجمع الأمثال، أبو الفضل الميداني**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة ١٩٥٥.

٢٤ ـ **معاهد التنصيص** على شواهد التلخيص، عبد الرحيم بن أحمد **العباسي**. حققه وشرحه: محمد محيي الدين عبد الحميد ـ المكتبة التجارية، مصر، ١٩٤٧.

٢٥ ـ **معجم الأدباء، ياقوت الحموي**. مطبوعات دار المأمون ودار إحياء التراث العربي بيروت. لا تاريخ.

٢٦ ـ **معجم البلدان**، ياقوت الحموي ـ دار صادر ـ بيروت، بيروت ١٩٧٧.

٢٧ ـ **معجم الشعراء**، أبو عبد الله محمد بن عمران **المرزباني** ـ تحقيق: عبد الستار أحمد فراج. عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة ١٩٦٠.

٢٨ ـ **المنصف في نقد الشعر وبيان سرقات المتنبي ومشكل شعره**. أبو محمد الحسن **علي بن وكيع التنِّيسيّ**. قرأه وقدّم له وعلّق عليه: د. محمد رضوان الداية. دار قتيبة. دمشق ١٩٨٢.

٢٩ ـ **المؤتلف والمختلف**، (أبو القاسم الحسن بن بشر) **الآمدي**. تحقيق: عبد الستار أحمد فراج. القاهرة ١٩٦١.

٣٠ ـ **الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي**. بعض أجزائه ـ الصادرة عن فرانز شتاينر بفيسبادن ـ ألمانيا وهي كما يلي:

ـ **الجزء الثالث**، طبعة ثانية. باعتناء س. ديدرينغ ١٩٧٤.

ـ **الجزء الرابع**، طبعة ثانية. باعتناء س. ديدرينغ ١٩٧٤.

ـ **الجزء الثامن**، بعناية د، محمد يوسف نجم ١٩٧١.

ـ **الجزء الحادي عشر**، باعتناء شكري فيصل ١٩٨١.

ـ **الجزء الثاني عشر**، باعتناء رمضان عبد التواب ١٩٧٩.

ـ **الجزء السادس عشر**، باعتناء وداد القاضي ١٩٨٢.

ـ **الجزء السابع عشر**، باعتناء دوروتيا كرافولسكي ١٩٨١.

ـ **الجزء الثاني والعشرون**، باعتناء رمزي بعلبكي ١٩٨٣.

٣١ ـ **وفيات الأعيان وأنباء الزمان**. شمس الدين أحمد بن **خلّكان** تحقيق: د. إحسان عباس. دار صادر، بيروت ١٩٧٨.

٣٢ ـ **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، أبو منصور **الثعالبي**، حققه وفصله وضبطه وشرحه: محمد محيي الدين عبد الحميد طبعة ثانية، المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة ١٩٥٦.

ثانياً: أهم المراجع

٣٣ ـ **الأعلام**، خير الدين **الزركلي**. طبعة سابعة. دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٨٦.

٣٤ ـ **تاريخ الأدب العربي** د. **عمر فروخ** ـ الجزء الأول. الطبعة الخامسة. دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٨٤.

٣٥ ـ **ابن شرف القيرواني**، الشاعر الناقد. د. **مصطفى عبد الواحد**. نادي مكة الأدبي ـ مكة ١٩٨٢.

٣٦ ـ **معجم الشعراء في «لسان العرب»** د. **ياسين الأيوبي**. طبعة ثالثة ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٨٧.

٣٧ ـ **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**. د. **أحمد مطلوب**، المجمع العلمي العراقي ـ بغداد ١٩٨٦.

٣٨ ـ **معجم المؤلفين**، **عمر رضا كحالة**. مكتبة المثنى. ودار إحياء التراث العربي ـ بيروت ١٩٥٧.

٣٩ ـ **المعجم الوسيط**. مجمع اللغة العربية ـ القاهرة، ط٢ ١٩٧٢.

فهرس المحتويات

قائمة بأعمال الشارح
الصادرة عن المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت

١ ـ مسافر للحزن والحنين، (مجموعة شعرية) ١٩٧٧.
٢ ـ الحية في التراث العربي (تقديم ومراجعة) ١٩٩٧.
٣ ـ الخيل في قصائد الجاهليين والإسلاميين (إشراف ومراجعة) ١٩٩٧.
٤ ـ الشعر والشعراء في كتاب «العمدة» لابن رشيق. (إشراف ومراجعة) ١٩٩٧.
٥ ـ شعراء الأمكنة وأشعارهم في «معجم البلدان» لياقوت الحموي (مجلدان). (إشراف ومراجعة) ١٩٩٧.
٦ ـ البلاغة الشعرية في كتاب «البيان والتبيين» (إشراف ومراجعة) ١٩٩٨.
٧ ـ فنّ المديح النبوي في العصر المملوكي (إشراف ومراجعة) ١٩٩٨.
٨ ـ الفكاهة والضحك في التراث العربي المشرقي (تقديم ومراجعة) ١٩٩٨.
٩ ـ فقه اللغة وأسرار العربية، لأبي منصور الثعالبي (تقديم وشرح وحواشٍ وفهارس موسّعة) ١٩٩٩.
١٠ ـ دلائل الإعجاز (في علم المعاني) لعبد القاهر الجرجاني (تقديم وشرح وضبط وحواشٍ وفهارس) ٢٠٠٠.
١١ ـ واقعية الأدب وبلاغة الحبك القصصي في رواية «آنا كارينينا» لتولستوي ٢٠٠١.
١٢ ـ رواية: آلام فرتر لـ وولفجانج جوته (قدّم لها بدراسة تحليلية مطوّلة) ٢٠٠١.
١٣ ـ كتاب الآداب. لابن شمس الخلافة. ضبطه وشرحه وعلّق حواشيه ٢٠٠١.
١٤ ـ شرح التلخيص في علوم البلاغة. لجلال الدين القزويني. شرحه وعلّق حواشيه ووضع فهارسه ٢٠٠١.
١٥ ـ المتنبي في عيون قصائده: اختار القصائد وعلّق عليها وشرحها ٢٠٠١.

يصدر له عن المكتبة العصرية

ـ طوق الحمامة (لابن حزم الأندلسي) (تقديم ومراجعة).
ـ ديوان الإنشاء أو أسلوب الحكيم، لأحمد الهاشمي (تقديم ومراجعة).